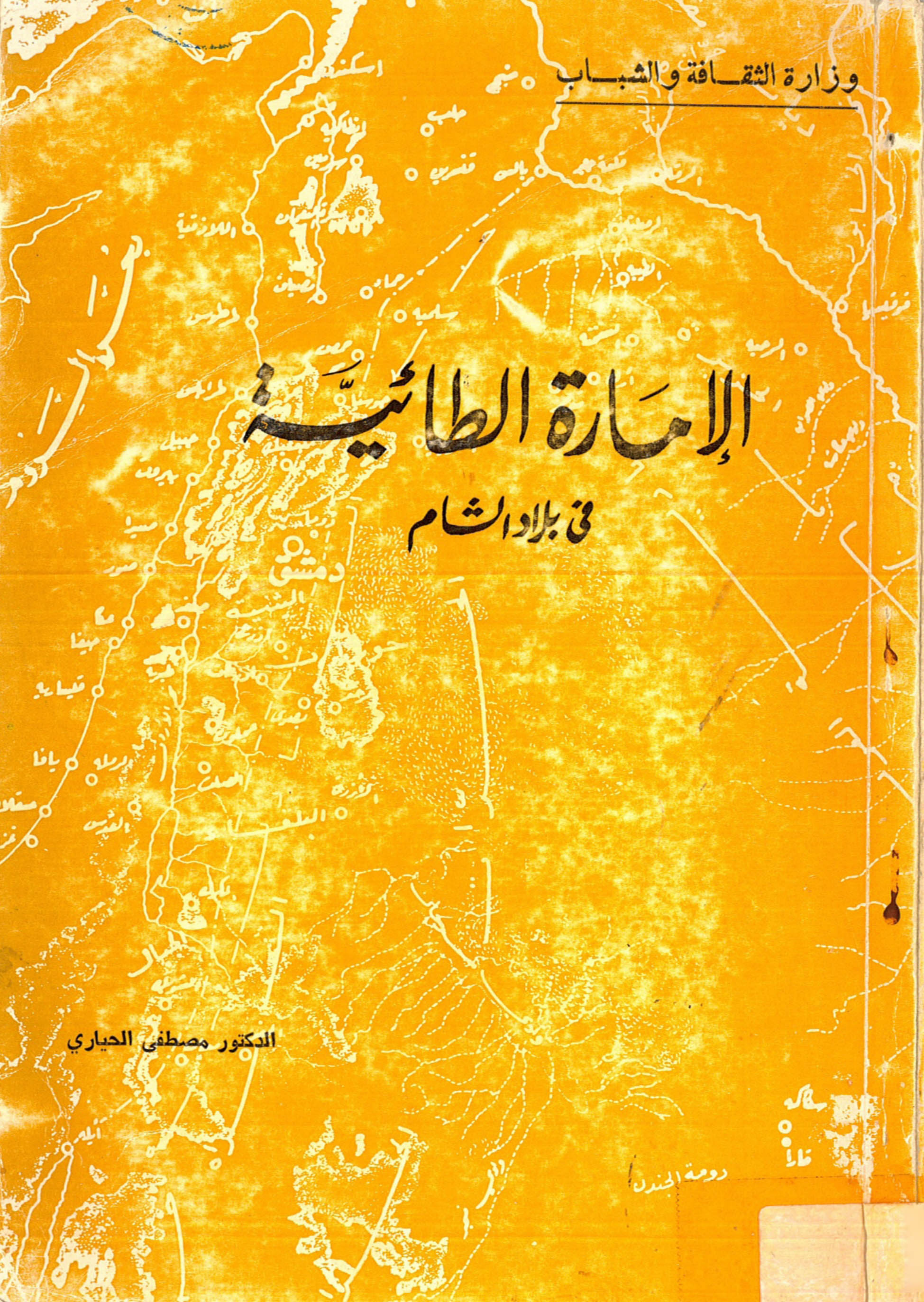


وزارة الثقافة والشباب

الإمارة الطائية

في بلاد الشام

الدكتور مصطفى الحياري

الإمارة الطائية

في بلاد الشام

تأليف

الدكتور مصطفى الحياري

وزارة الثقافة والشباب

عمـــان

المملكة الاردنية الهاشمية

الطبعـــة الاولى

١٩٧٧

تمهيد

اعدت هذه الدراسة سنة ١٩٦٩ كرسالة ماجستير قدمت لقسم التاريخ في الجامعة الاميركية في بيروت . ومنذ ذلك الوقت ، وعلى الرغم من اطلاعي على عدد كبير من المخطوطات والدراسات الحديثة التي لم تساعدني الظروف اذ ذاك من الاطلاع عليها والتي أفدت منها في اجراء تعديلات جزئية وطفيفة ، هذا وقد اضفت بعضا منها الى قائمة المصادر والمراجع .

وارجو أن تكون هذه الدراسة قد حققت بعض ما هدفت اليه ، خاصة ما يتعلق بتاريخ القبائل العربية في العصور الوسطى ودورها في حياة بلاد الشام والبلاد المجاورة ، هذا الموضوع الذي أهمل من قبل الباحثين المحدثين . كما وارجو ان تثير هذه الدراسة اهتمام دارسي تاريخ بلاد الشام خاصة بما يتعلق بموضوع تاريخ القبائل العربية في مختلف الفترات التاريخية .

ويرحب كاتب هذه الدراسة بالملاحظات الموضوعية حول ما اثير في هذه الدراسة من موضوعات وافكار قد تساعد في توضيح او تعديل بعض جوانب هذا الموضوع والتي لم يتمكن الكاتب ، بسبب من نقص مصادر المعلومات من معالجتها بصورة مناسبة .

واخيرا لا يسع الكاتب الا ان يتقدم بجزيل الشكر الى كل من ساعد في هذه الدراسة باية صورة من الصور حتى خرجت بالشكل الذي تجدونه بين ايديكم .

عمان في ١٩٧٧/١٠/٢

مصطفى الحياري

العناوين المختصرة التي استعملت في الحواشي

آثار البلاد	**آثار البلاد واخبار العباد** للقزويني
احسن التقاسيم	**احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** للمقدسي
اخبار مصر	**اخبار مصر** لابن ميسر
الاعلاق الخطيرة	**الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة** لابن شداد
اعلام النبلاء	**اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء** للطباخ
انباء الغمر	**انباء الغمر بابناء العمر** لابن حجر العسقلاني
بدائع الزهور	**بدائع الزهور في وقائع الدهور** لابن اياس
البداية والنهاية	**البداية والنهاية في التاريخ** لابن كثير
بسط الارض	**بسط الارض في الطول والعرض** لابن سعيد
بغية الطلب	**بغية الطلب في تاريخ حلب** لابن العديم
تاريخ ابن الفرات	**تاريخ ابن الفرات** لابن الفرات
تاريخ ابن الفرات (الرباط)	لمخطوطة مكتبة الزاوية الناصرية بالرباط
تاريخ ابن الفرات (م. خوري)	للقطعة من الجزء السادس التي حققها ميخائيل خوري
تاريخ بيروت	**تاريخ بيروت واخبار الامراء البحتريين** لصالح بن يحيى
تاريخ العراق بين احتلالين	**تاريخ العراق بين احتلالين** لعباس العزاوي
تاريخ يحيى بن سعيد	**تاريخ يحيى بن سعيد** الانطاكي
تتمة المختصر	**تتمة المختصر في اخبار البشر** لابن الوردي
التعريف	**التعريف بالمصطلح الشريف** لابن فضل الله العمري
التعريف بابن خلدون	**التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا** لابن خلدون
الجامع المختصر	**الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير** لابن الساعي

الخطط	**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** للمقريزي
الدر الفاخـــر	**الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر** للدواداري
الدر المنتخب	**الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب** لابن الشحنة
الدرر الكامنـــة	**الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة** لابن حجـــــر العسقلاني
درة الاســـلاك	**درة الاسلاك في دولة الاتراك** لابن حبيب
الدرة المضية	**الدرة المضية في تاريخ الدولة الفاطمية** للدواداري
الدرة المضيئـــة	**الدرة المضيئة في الدولة الناصرية** لابن صصري
ذيل تاريخ الاســـلام	**الذيل على تاريخ الاسلام** لابن قاضي شهبة
ذيل تاريخ دمشق	**ذيل تاريخ دمشق** لابن القلانسي
ذيل مرآة الزمـــان	**ذيل مرآة الزمان** لليونيني
زبدة الحلب	**زبدة الحلب من تاريخ حلب** لابن العديم
زبدة الفكـــرة	**زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** لبيبرس الدوادار
زبدة كشف الممالك	**زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالـــــك** لابن شاهين الظاهري
السلـــوك	**السلوك لمعرفة دول الملوك** للمقريزي
شذرات الذهب	**شذرات الذهب في اخبار من ذهب** لابن عمـــــاد الحنبلي
صبح الاعشى	**صبح الاعشى في صناعة الانشاء** للقلقشندي
صفة جزيرة العرب	**صفة جزيرة العرب** للهمداني
صورة الارض	**صورة الارض** لابن حوقل
الضوء اللامع	**الضؤ اللامع لاهل القرن التاسع** للسخاوي
العبر	**العبر وديوان المبتدأ والخبر** لابن خلدون
الكامـــل	**الكامل في التاريخ** لابن الاثير
المختصر	**المختصر في اخبار البشر** لابي الفداء
مسالك الابصـــار	الجزء الثالث ــ من مخطوط طبقبوسراي ــ **من مسالك الابصار في ممالك الابصار** لابن فضل العمري
مسالك الابصار (ايا صوفيا)	من مخطوط ايا صوفيـــا
مسالك الابصار (طبقبوسراى)	من مخطوط طبقبوسراى
المسالك والممالك	**المسالك والممالك** للاصطخري
المنتظـــم	**المنتظم في تاريخ الامم والملوك** لابن الجوزى

المنهل الصافي	**المنهل الصافي والمستوفى** بعد الوافي لابن تغــرى بــردى
النجــوم الزاهرة	**النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهــرة** لابن تغرى بردى
نخبة الدهــر	**نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** لشيخ الربــوة الدمشقي
نهايــة الارب	**نهاية الارب في معرفة الادب** للنويري

Ascensus Barcoch	**Ascensus Barcoch** by De Mignanelli in **Arabica.**
BSOAS	**Bulletin of the School of Oriental and African Studies.**
Egypt and Syria	**Egypt and Syria Under the Sircassian Mamluks**
EI (1)	**First** edition of the **Encyclopaedia of Islam.**
EI (2)	**Second** edition of the **Encyclopaedia Islam.**
Feudalism	Poliak's **Feudalism in Egypt, Syria and the Lebanon.**
GAL	Brockelmann's **Geschechte der Arabischen Literatur.**
GALS	Brockelmann's **Supplement to GAL.**
JRAS	**Journal of the Royal Asiatic Society.**
Urban Life	Ziadeh's **Urban Life in Syria Under the Early Mamluks.**

مقدمة

تهدف هذه الدراسة الى البحث في تاريخ الامارة الطائية في بلاد الشام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين .

وكانت امارة آل الجراح من طيء زمن الفاطميين امارة قبلية ليس لها ارتباط رسمي بالدول التي قامت في بلاد الشام .و لكنها اصبحت ، في فترة امرة بني ربيعة من آل الجراح ، امارة رسمية لها ارتباط بملوك الايوبيين في دمشق وحلب خلال النصف الاول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، ثم بسلاطين المماليك في القاهرة بعد سيطرة المماليك على مصر وبلاد الشام .

وكان آل فضل من ربيعة طيء ، زمن المماليك ، اصحاب الامرة على جميع « عرب الطاعة » في بلاد الشام والبادية ، ولذلك فقد ارتبطت الامارة الطائية بالامارة الرسمية على العرب . فقد كان أمير آل فضل من طيء ، أمير جميع عرب الشام في الوقت ذاته .

وتهدف هذه الدراسة ايضا الى البحث عن الدور الذي لعبته الامارة الطائية في الحياة السياسية للمنطقة الواقعة بين البحر المتوسط غربا ونهر الفرات شرقا . ولكن بحث هذا الدور من ناحية ، والتعرف على تاريخ الامارة الرسمية من ناحية اخرى ، يتطلب دراسة الجذور التاريخية للامارة الطائية من بداية نفوذها في بلاد الشام الى ان اصبحت لها السيطرة والنفوذ في جميع مناطق بادية العرب الشمالية ، كما يتطلب ايضا دراسة تطور هذه الامارة منذ أن كانت امارة قبلية صغيرة بين عدد آخر من الامارات القبلية الى أن اعطيت لها الامارة الرسمية على العرب والحقت بها معظم القبائل العربية في بلاد الشام والبادية .

ولذلك فقد جرى معالجة الموضوع في هذه الدراسة على الشكل التالي :

فبعد عرض موجز للمصادر التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة ، وتحليل لاهميتها لدراسة تاريخ الامارة الطائية وتاريخ القبائل العربية التي كانت على علاقة بالامارة الرسمية للعرب ، عرضنا في الفصل الاول لمحة جغرافية عن المنطقة التي اطلقنا عليها

أسم « بادية العرب الشمالية » . وركز في هذا العرض على مواطن القبائل العربية في البادية أو على اطرافها وعلى البلدان التي كان لها علاقة بالقبائل والتي كان بعضهـا اقطاعات لآل فضل بن ربيعة زمن المماليك البحرية .

وتحتل هذه المقدمة الجغرافية القسم الاول من الفصل الاول ، اما القسم الثاني فقد خصص لعرض موجز لتوزيع القبائل العربية وحركتها في بادية العرب الشمالية مع التركيز على ثلاث فترات : الاولى ما كان عليه توزيع القبائل في القرن السادس للميلاد، والثانية ما اصبح عليه وضع القبائل في القرن العاشر للميلاد ، واخيرا ما استقرت عليه اوضاع ومناطق نفوذ القبائل خلال فترة امرة طيء الرسمية على العرب في بلاد الشام وباديتها في القرن الرابع عشر للميلاد .

اما الفصل الثاني فقد عالـج جذور الامـارة الطائية من بداياتها الاولى زمن الفاطميين ، عندما كان يقتصر نفوذها على المناطق الجنوبية من فلسطين وشرقـي الاردن . ولم يقتصر ، في هذا الفصل ، على بحث تطورات الامارة الطائية الداخليـة ، وانما درست علاقاتها بالقوى التي اثرت في حياة بلاد الشام السياسية ابتداء من النصف الثاني للقرن العاشر للميلاد وحتى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي .

وخصص الفصل الثالث لمعالجة الامارة الرسمية لآل فضل بن ربيعة من طيء على جميع العرب . وقد أخذ بعين الاعتبار ، في هذا الفصل ، كيفية نشوء الامارة الرسمية، ونوعية العلاقة الرسمية التي كانت بين امراء العرب وسلاطين المماليك . واعطيت ، في القسم الاخير من هذا الفصل ـــ حتى تكتمل صورة الامارة الرسمية للعرب ـــ لمحات من سير اشهر الامراء الذين تولوا منصب (امير العرب) مثل مانع بن حديثة ، وعيسى بن مهنا ، واحمد بن حجي وغيرهم . واختير هؤلاء الامراء على اساس طول المدة الزمنية التي تولوا فيها منصب امير العرب ، وذلك لتوضيح علاقة امارة العرب الرسميـة بالمماليك في ضوء علاقة هؤلاء الامراء بالسلاطين .

وبحث موضوع دور امارة العرب الرسمية في الحياة السياسية في بلاد الشام في الفصول : الرابع والخامس والسادس .وقد وضعت هذه الفصول الثلاثة تحت عنوان واحد هو « امراء العرب وسلطنة المماليك » . فالفصل الرابع يبحث في الامور التالية : في ان امرة العرب كانت منصبا رسميا ، وان السلطان يعين أمير العرب ويعزله ، وفي

مهام أمراء العرب وقبائلهم تجاه الدولة المملوكية خاصة المحافظة على طرق المواصلات، والامتيازات التي حصل عليها امراء العرب مقابل المهام التي كانوا يقومون بها خاصة الاقطاعات التي كانت جزءا من النظام الاقطاعي المملوكي .

والفصل الخامس يبحث في دور العرب اصحاب الامرة على القبائل واثرهم في اوضاع بلاد الشام الداخلية من تدخلهم في شؤون السلاطين والدولة ، الى علاقاتهم بالقبائل العربية والتركمانية ، الى دورهم — وهذا هو القسم الهام من الفصل — في الحركات التي قام بها بعض الامراء والنواب المماليك في بلاد الشام ضد السلاطين مثل حركات سنقر الاشقر زمن السلطان قلاوون الالفي ، وقراسنقر زمن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ويلبغا الناصري ومنطاش ضد السلطان الظاهر برقوق .

اما الفصل السادس فقد خصص لمعالجة دور العرب من آل فضل في الصراع بين المماليك والتتار ، ذلك ان هؤلاء العرب لعبوا ، بحكم موقعهم الجغرافي بين ارضي الدولتين وعلاقتهم الرسمية مع دولة المماليك ، دورا كان له اثره في النزاع بين هاتين القوتين مدة قرن ونصف من الزمان .

وفي الفصل الاخير (السابع) حاولت استخلاص بعض النتائج عن دور امارة العرب في بلاد الشام ، وتقييم هذا الدور — وكذلك الاثر — الذي كان لاصحاب امرة العرب على اساس مقارنة دورهم واثرهم في فترتين زمنيتين متساويتين تقريبا : فترة ما قبل الامارة الرسمية وفترة الامارة الرسمية ، وذلك لمعرفة نجاح امارة العرب او فشلها في تحقيق الاهداف التي انشئت من اجلها .

مصـــادر البحـــث

عـــرض وتحليـــل

تعددت المصادر التي اعتمد عليها في هذه الدراسة وتنوعت . ويرجع هذا التعدد وذلك التنوع الى طبيعة الموضوع ذاته ، ذلك ان مجاله الزمني يمتد على فترة تبدأ من النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وتمتد حتى نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) . هذا بالاضافة الى ان مثل هذه الدراسة تتطلب : الالمام بجغرافية المنطقة التي كانت مسرحا للاحداث ــ بلاد الشام والبادية حتى نهر الفرات شرقا وهضبة نجد الشمالية ــ ، كما عرفها وصورها الجغرافيون المسلمون خلال تلك الفترة ، والتتبع لحركات تنقل القبائل العربية فيها ، ولنفوذ القبائل السياسي وانتقاله من مجموعة قبلية الى اخرى الى ان استقر في نهاية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) او بداية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) لفروع قبيلة طيء ببلاد الشام ، آل فضل وآل مرا من بني ربيعة من طيء .

واصبح لفروع طيء هذه الامارة على جميع العرب . ونتج عن ذلك قيام علاقات رسمية مع السلطة المركزية المملوكية في القاهرة ، وأخرى مع القبائل العربية الاخرى بحكم كونها صاحبة الامرة عليها جميعا . يضاف الى ذلك انها كانت تحتل مركزا جغرافيا ممتازا بين السلطنة المملوكية في مصر والشام ودولة التتار في العراق .

ولذلك فقد شملت المصادر التي تم الرجوع اليها كتب : الجغرافية والرحلات ، والحوليات ، والتراجم ، وسير السلاطين ، والموسوعات والنظم .

ولم تكن الاستفادة من هذه المصادر واحدة ، وانما تفاوتت بتفاوت الموضوعات والفترة الزمنية التي تعرض لها كل مصدر ، باستثناء الموسوعات (**كمسالك الابصار** لابن فضل الله العمري ، **وصبح الاعشى** للقلشندي) وبعض الحوليات (**كالكامل في التاريخ** لابن الاثير ، **والمختصر في اخبار البشر** لابي الفداء ، **والسلوك لمعرفة دول الملوك** للمقريزي) التي تعددت موضوعاتها وامتدت فتراتها الزمنية التي عالجتها اكثر من غيرها .

ولما كان اهتمامنا في هذه الدراسة هو دور القبائل العربية في بادية الشام وقبيلة طيء منها بشكل خاص ، فسيكون التركيز ، عند البحث في اهمية كل مصدر من المصادر التالية ، على مقدار ما يساعد على توضيح جانب او اكثر من جوانب حياة « العربان » ـ او الاعراب او العرب ـ في البادية وعلى اطرافها ، بايراده معلومات جديدة لم تتوفر عند غيره ، سواء أكان ذلك مباشرة ونتيجة لمعاصرة الاحداث ، او غير مباشرة بالنقل عن مصادر معاصرة مفقودة او غير متوفرة لدينا . وعلى ذلك فان الاسس التي اتخذت منطلقا في عرض وتحليل مصادر هذه الدراسة هي :

١ ـ معاصرتها للاحداث التي سجلتها . (١)

٢ ـ قرب اصحاب هذه المصادر او بعدهم عن الاحداث التي دونوها . (٢)

٣ ـ المادة الجديدة التي تقدمها مباشرة او غير مباشرة (٣) .

يمكننا تقسيم مصادر هذه الدراسة الى المجموعات التالية (٤) .

١ ـ الجغرافية والرحلات .

٢ ـ الحوليات : العامة ، والاقليمية ، والمتعلقة بفترة حكم سلطان من السلاطين

٣ ـ التراجم .

٤ ـ الموسوعات .

---

(١) مع الاهمية الكبيرة لمعاصرة المؤلفين للاحداث التيدونوها ، الا ان هنالك ظاهرة تسترعي الانتباه في التأليف زمن المماليك ـ وربما قبل ذلك خاصة فيكتب الحوليات ، وهي ، كثرة الاخبار المدونة عن الفترة السابقة لزمن المؤلف وقلتها في الفترة التي عاصرها ـ رغم ان هذه القلة هامة جدا . وربما كان سبب ذلك هو ان المؤلف نقل ، في ما تعلق بالفترات السابقة ، عن مؤلفات جاهزة بين يديه ، اما فترته فهي من نتاجه الخاص الذي اعتمد فيه على جهده الشخصي ومدوناته الخاصة .

(٢) هنالك مثلا المؤلفون الذين كانوا موظفين رسميين في الدولة ، والمؤلفون الذين كانوا قريبين من السلاطين ونوابهم ، ومنهم من كان من رجال العلم والبعض من الناس العاديين .

(٣) نجد مثلا ابن ايبك الدواداري ينقل ، في **الدرة المضية في تاريخ الدولة الفاطمية** عن مؤلفات كانت معاصرة للاحداث .

وابن العديم ينقل في **كتاب في تاريخ حلب** (الجزء الاول من **بغية الطلب في تاريخ حلب**) معظم ما تعلق بتاريخ قبائل حلب عن كتاب محمد ابن احمد الاسدي **ديوان العرب وجوهرة الادب وايضاح النسب:** (مخطوط كتاب ابن العديم مصور وموجود في مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت رقم MS 956. 8 : I 131 KA)

(٤) لم احاول ان اتطرق في هذا العرض للمصادر الاجنبية سوى لمؤلفين احدهما كتاب وليم الصوري **A History of Deeds Done Beyond the Sea**(English Trans. New York, 1943.)

وسيرة برقوق لـ De Mignanelli التي ترجمها ولترفشل بعنوان
Ascensus Barooch, **Arabica**, Vol. (1959) pp. 57-114 & 153-172.

وسأقوم في القسم التالي من هذا العرض بدراستها على أساس هذا الترتيب :

١ ـ الجغرافية والرحلات

اهتم الجغرافيون والرحالة المسلمون منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بدراسة جغرافية العالم الاسلامي ووصف اقطاره واهم مراكز الحياة السياسية والعلمية فيها لاغراض كثيرة يهمنا منها تلك التي تتعلق بموضوع القبائل ومواطن سكناها في « بادية العرب الشمالية » (٥) . وما طرأ على هذه المواطن من تغير نتيجة للظروف السياسية لهذه المنطقة . ونتج عن هذا الاهتمام عدد من المؤلفات التي اهتم اصحابها فيها بوصف الطرق والمسالك والمراكز الحضرية وما هو خارج عنها ، وبوصف حياة الناس في المدن الكبيرة والبلدان الصغيرة من عادات واخلاق ومذاهب سياسية ومعاملات تجارية ، وتحدث بعضهم عن مواطن سكنى القبائل العربية في البادية وعلى اطرافها قرب المراكز الحضرية ، ومن استقر منها في هذه المراكز وترك حياة التنقل بين المصائف والمشاتي التقليدية (٦) .

ومصادر هذا القسم ، بالنسبة لهذه الدراسة ، تتكون من فئتين : الاولى تلك التي وصفت البادية ومراكز البريد على اطرافها ، ومدنها وبلدانها ، والثانية تلك التي حاولت تحديد مراكز تجمع القبائل في بادية بلاد العرب الشمالية وحتى في المناطق الجبلية والساحلية .

وتضم الفئة الاولى مجموعة كبيرة من المؤلفات (٧) التي وصلتنا كاملة او اجزاء منها . ولعل اهم كتب هذه المجموعة **المسالك والممالك** للاصطخري ، **وصورة الارض**

(٥) سيوضح المقصود بهذا المصطلح في الفصل الاول .

(٦) فصل كراتشكوفسكي في كتابه **تاريخ الادب الجغرافي العربي** (قسم ١ ترجمة صلاح الدين هاشم ، القاهرة ، ١٩٦٠) القول عن الجغرافيين .

(٧) من المؤلفات الجغرافية : **المسالك والممالك** لابن خرداذبه (ت : نهاية ق٣هـ/٩م) ، **وكتاب البلدان** لابن الفقيه الهمذاني (ق ٣هـ/٩م) **والمسالك والممالك** للاصطخري (ت : النصف الاول من ق ٤هـ/١٠م) ، **وصورة الارض** لابن حوقل (ت : النصف الثاني من ق ٤هـ/١٠م) ، **واحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** للمقدسي (ت حوالي ٣٩٠هـ/١٠٠٠م) . كل ماتقدم حتى نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. وابتداء من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي تكثر كتب الرحلات وغيرها من الكتب الجغرافية وكتب الجغرافيا التاريخية مثل **سفرنامة** لناصر خسرو (ت حوالي ٤٨٠هـ/١٠٨٨م) ، **ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق** للادريسي (ت ٥٦٠هـ/١١٦٠م) ومؤلفات ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) مثل **بسط الارض في الطول والعرض** ، وكتاب **الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة** لابن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) **وكتاب من تاريخ حلب** لابن العديم (ت ٦٦٠/١٢٦٢م) ، **ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر** لشيخ الربوة الدمشقي الانصاري (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م) ، **وتقويم البلدان** لابي الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) ، والاقسام الجغرافية **من مسالك الابصار** لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) **وصبح الاعشى** للقلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، **وزبدة كشف الممالك** لابن شاهين الظاهري (٨٧٢هـ/١٤٦٨م) . هذا عدا عن رحلتي ابن جبير وابن بطوطة المشهورتين .

لابن حوقل خاصة الثاني منها الذي اصبح مصدرا هاما لكل من كتب في المسالك والممالك بعد ذلك كابن سعيد المغربي،وابي الفداء وابن فضل الله العمري والقلقشندي وغيرهم. اما المقدسي ، فرغم انه يختلف عن سابقيه في اتساع مجالات كتابه ، فانه لا يختلف عنهم في وصفه للمدن والطرق والمسافات وموارد المياه والآبار . واهم قسم في كتابه بالنسبة لنا هو ذلك الذي افرده للبادية ومناهلها والطرق التي تخترقها ، والذي وضعه خدمة للمسافرين والحجاج .

ورحالة هذه الفئة كناصر خسرو والادريسي وابن جبير لا يبدون اهتماما خاصا ببادية العرب الشمالية وقبائلها مثل ما فعلوا عند كتابتهم عن المدن والبلدان الجبلية والساحلية . ومع ذلك فالملاحظات القليلة التي ترد عندهم عن البلدان الواقعة على اطراف البادية تساعد ، ولو قليلا ، في معرفة احوالها . وقد كتب ناصر خسرو بشكل خاص ، ملاحظات قيمة عن عرب وسط الجزيرة العربية وشرقها ضمن عرضه لرحلته من مكة الى البصرة عبر البادية . وهذه الملاحظات تصلح لان تقال عن الاعراب ليس في وسط الجزيرة فحسب ، بل ربما في كل مكان شبيه بمكانهم . اما ابن سعيد المغربي ، الجغرافي والرحالة والمؤرخ ، فان له ملاحظات قيمة عن منازل القبائل في زمانه لا نجدها كلها في مؤلفاته المطبوعة وانما لدى المؤرخين المتأخرين كأبي الفداء وابن خلدون .

اما جغرافيو عصر المماليك ورحالته فانهم كانوا على الاغلب نقلة لاقوال من سبقهم . وبعضهم كان يصرح بمصادره كأبي الفداء الذي ينقل كثيرا عن ابن حوقل والمهلبي (٨) (ت : ق ٤ هـ / ١٠م) ، وآخرون لا يذكرونها كشيخ الربوة الدمشقي . ومع ذلك فان معلوماتهم الخاصة تضيف اشياء جديدة عن احوال البلدان الواقعة على اطراف البرية،تاريخيا **كأعلاق** ابن شداد وجغرافيا **كتقويم** ابن‌الفداء **ونخبة** شيخ الربوة.

ورحلة ابن بطوطة (ق ٨هـ/١٤هـ) لا تزودنا بالكثير عن جغرافية البادية ، لكن فيها من المعلومات التاريخية عن بعض امراء آل فضل من ربيعة طيء ما لم أجده عند اي رحالة او مؤرخ آخر (٩) .

---

(٨) الف كتاب **المسالك والممالك** للخليفة العزيز الفاطمي ، وقد عرف هذا الكتاب بعد ذلك باسم **العزيزي**.
(٩) اورد قصة لامير من آل فضل كان في الهند . ارجع الى **رحلة ابن بطوطة** (بيروت ، ١٩٦٠) . وما سجله عن دور آل فضل في المحافظة على طريق‌الحاج العراقي .

والفئة الثانية من مجموعة المصادر الاولى هي تلك التي تبحث في مواطن القبائل. وهذه المجموعة من المصادر تشارك الفئة الاولى في الاهتمام بتحديد الطرق والمناهل ووصف المدن والبلدان ، الا انها تختلف عنها في اهتمام واضعيها بتحديد اماكن سكنى المجموعات القبلية .

فاليعقوبي (ت نهاية ق ٣هـ/٩م) ، صاحب **كتاب البلدان** ، يركز عند ذكر كل بلد او منطقة يوردها على تحديد من يسكنها ، حاضرها وبرها ، وبعمله هذا قدم لنا صورة واضحة عن منازل قبائل العرب في البادية او قريباً منها . ووضع الهمداني (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٩م) كتاب **صفة جزيرة العرب** ، وهذا الكتاب وكتاب اليعقوبي والفقرات الموجودة في كتاب ابن حوقل احسن ما وصلنا من معلومات عن القبائل ومواطن سكناها في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ومطلع القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) (١٠) .

يبقى اخيرا مجرد ذكر (١١) ما اورده ابن فضل الله العمري في **مسالك الابصار** (١٢) عن القبائل ومواطنها في القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) ، وهو المصدر الوحيد ، حسب ما اعرف ، الذي جمع اخبار القبائل في تلك الفترة . وقد اعتمد في اخبار القرن السابع علي الحمداني النسابة ، اما القرن الثامن فقد اعتمة فيه على مصادره الخاصة (١٣) .

٢ ـ الحوليات (١٤)

كانت معالجة المؤرخين لاحوال آل فضل وآل مرا وغيرها من قبائل بلاد الشام ، تقتصر على الفترات التي اثرت فيها هذه القبائل وأحلافها على الحياة في المراكز الحضرية

---

(١٠) وضع البكري (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) مقدمة طويلةلكتابه **معجم ما استعجم** (ط. القاهرة ، ١٩٤٥) ص‌ص ١ ـ ٩٠ بحث فيها في تفرق القبائل العربيةفي الجزيرة العربية وخارجها قبل الاسلام . وارجع ايضا الى ص ٢ حاشية ١ عن كتاب الاسدي ، **ديوان العرب** ، الذي توجد مقتطفات منه في كتاب ابن العديم . كما ان كتاب **بلاد العرب** للاصفهاني (الرياض ، ١٩٦٨) وكتاب **ابو علي الهجري وابحاثه في تحديد المواضيع** (الرياض ، ١٩٦٨) لحمد الجاسر فيها معلومات من هذه الفترة عن مواطن القبائل .

(١١) سيرد ذكره بتفصيل اكثر عند بحث الموسوعات .

(١٢) ج ٣ من مخطوطة طبقبوسراي باسطنبول ص ١ ـ ٧٥ .

(١٣) سترد بعض المعلومات عن الحمداني عند بحث كتاب **مسالك الابصار** .

(١٤) اعتبرت سير السلاطين مثل **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** لابن شداد ، **والروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** ، **وتشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور** ، لابن عبد الظاهر **والدر الفاخر في سيرة الملك الناصر** لابن ايبك الدواداري ، من كتب الحوليات ، لانها تعالج (عدا الاول) موضوعها على اساس ترتيب السنين .

مثل حلب ودمشق وحماه ، واحيانا لارتباط نشاط هذه القبائل بالخلفاء والسلاطين ، او نتيجة للاهتمام الشخصي للمؤرخ كما هي الحال عند ابن فضل الله العمري مثلا . وادى موقف المؤرخين هذا الى ظهور فجوات كثيرة في اخبار فروع قبيلة طيء منذ بداية امارتها زمن الفاطميين ولاربعة قرون تلت . والامثلة على ذلك كثيرة ، فالفترات بين ٤٢٢هـ/١٠٣١م — ٥٠٠هـ/١١٠٧م و ٥٢٨هـ/١١٣٤م — ٥٨٥هـ/١١٨٩م تكاد تكون خالية من اخبارهم . ومع ذلك فان في المصادر المعاصرة لهذه الفترات ما يكفي لتكوين صورة واضحة ومتصلة زمنيا ، عن امراء فروع طيء الشام وبعض نشاطهم ، لكنها تبقى غير متوازنة في كثير من جوانبها .

وقسمت هذه المجموعة الى فئتين : الاولى التي تبحث في الفترة بين ٣٥٠هـ/ ٩٦١م — ٦٥٠هـ/١٢٥٢م والثانية من ٦٥١هـ/١٢٥٣م — ٨٠٠هـ/١٣٩٧م (١٥) . وكل مؤرخي الفترة الاولى من الشام والعراق . اما مؤرخو الفترة الثانية فمن الشاميين والمصريين . وهذا التمييز بين المؤرخين له اثره في دراسة موضوعنا ، فالمصادر الشامية تزودنا بمعلومات ، عن عرب آل فضل وآل مرا من ربيعة طيء ، اوفر من غيرها . وسبب ذلك واضح ، فقد كانوا اقرب الى مصادر المعلومات من اقرانهم المصريين ، وكان لهم اهتمام خاص لا نجده الا عند من عرف عن قرب ما كان يجري في بلاد الشام من الامور . ولكن المؤرخين المصريين اكثر فائدة في ناحية اخرى وهي العلاقة الرسمية بين القبائل والسلطنة المملوكية في القاهرة . وهذا التحديد ليس نهائيا ، ولا ينطبق على المؤرخين المتأخرين من الجانبين الذين وجدوا امامهم مؤلفات شامية ومصرية فنقلوا عنها (١٦) .

ومن المؤرخين المعاصرين (١٧) لبداية الفترة الاولى مسكوية (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) صاحب كتاب **تجارب الامم** ، والوزير ابو شجاع محمد بن الحسين الروذراوري

---

(١٥) وضع هذا التقسيم لمجرد التنظيم ، ولا علاقة لاختيار التواريخ باحداث معينة .

(١٦) لم تتوافر لدي اية مصادر توضح وجهة نظر الجانب العراقي عن دور القبائل في الصراع بين المماليك والتتار ، والكتاب المنسوب لابن الفوطي — **الحوادث الجامعة** — ليس فيه معلومات تذكر . كما ان عباس العزاوي ، في مؤلفه **تاريخ العراق بين احتلالين** ، الذي ينقل عن مصادر فارسية وتركية لا يورد شيئا من هذه المصادر مما له علاقة بالقبائل التي كان المؤلف يهتم بأخبارها . ويؤكد ذلك ان ما نجده في **جامع التواريخ** (الترجمة العربية ج٢ قسم ١ — ٢) عن القبائل ، وعن العلاقات مع المماليك شيئا لا يكاد يذكر .

(١٧) اطلعت بعد مدة من كتابة هذا البحث على قطعة من كتاب **اخبار مصر وفضائلها** للمسجي ، وفيها معلومات هامة خاصة عن العقد الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

(ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م) الذي وضع **ذيلا** لكتاب مسكوية — . والمؤلفان لم يعاصرا الاحداث التي يدونانها ، والاغلب انهما نقلا عن مصادر سابقة لهما — ،ويحيى بن سعيد الانطاكي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م) الذي كتب **تكملة** لتاريخ ابن البطريق (ت٣٢٨هـ/٩٣٩ — ٩٤٠م) المعروف باسم **التاريخ المجموع على التحقيق والتدقيق** الذي انتهى به الى حوادث سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م . واذا كان مسكوية وابو شجاع يذكران احداثا معينة لها علاقة بآل الجراح من طيء في بلاد الشام — وهي هامة — فان يحيى بن سعيد يقدم لنا معلومات مفصلة عن آل الجراح وغيرهم من العرب لفترة تزيد على نصف قرن من الزمان . ولا يقتصر ما يورده على علاقات آل الجراح مع الفاطميين والقبائل الاخرى ، وانما يفصل علاقاتهم مع الروم في فترة تجدد فيها اهتمام الاباطرة البيزنطيين ببلاد الشام . وهذه المعلومات هي الوحيدة ، بتفصيلها ، التي وصلت الينا . ومما يلفت النظر ان المتأخرين من المؤرخين المسلمين الذين نقلوا عن ابن سعيد او غيره ، اهملوا ما تعلق بلجوء آل الجراح الى بلاد الروم (١٨) .

هذا بالنسبة للقرن الاول من هذ هالفترة الاولى . أما النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) فلا تتوفر مصادر معاصرة عنه ، وكل ما نعرفه مستمد من مصادر كتبت خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . وهذه المصادر تمدنا ليس فقط باخبار الفترة المعاصرة وانما بما قبلها .

فابن القلانسي (ت ٥٥٠هـ/١١٥٥م) كتب **ذيل تاريخ دمشق** الذي هو ذيل لتاريخ هلال بن المحسن الصابي (١٩) (ت ٤٤٨هـ/١٠٥٦م) . وهو ينقل عن تاريخ هلال وذيل ابنه محمد (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٧م) عليه او من مصادر اخرى . وأيا كان مصدر معلوماته، فانها من الاهمية بحيث لا يستغنى عنها في هذه الدراسة ، فكثير من المعلومات التي نجدها عنده توضح بعض الجوانب في حياة القبائل والتي لم تؤرخ في المصادر الاخرى .

والمؤرخ العظيمي (ت ٥٥٦هـ/١١٥٦م) كان معاصرا لابن القلانسي ، وقد وضع **تاريخا** (٢٠) مرتبا على السنين ركز فيه اهتمامه على اخبار الشام . واخباره اشد ايجازا

---

(١٨) ترد عند ابن القلانسي ، وابن الاثير ، وابن العديم ، وابي الفداء بعض هذه الاشارات الا انها غامضة ولا يمكن ان تفهم دون الرجوع الى « **تاريخ** يحيى بن سعيد » .

(١٩) وهذا بدوره كتبه ذيلا لتاريخ ثابت بن سنان .

(٢٠) يوجد مختصرا له نشره كلود كاهن Claude Cahen بعنوان "La chronique Abregee D'al Azimi" in **Journal Asiatique,** Vol. 230 (Juill-Sep. 1938) pp. 353 ff.

من اخبار معاصره ، وتتشابه واياها بالنسبة لموضوعنا ، وتقدم احيانا معلومات جديدة ومفيدة .

وجدير ان يذكر مع ابن القلانسي والعظيمي المؤرخ المجهول الذي ترك تاريخا مرتبا على السنين شمل اخبار اجزاء من القرنين الخامس والسادس الهجريين (الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين) (٢١) . ويبدو انه نقل عن ابن القلانسي او عن العظيمي او كليهما .

اما عماد الدين الكاتب الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م) فهو من اشهر مؤرخي الحروب الصليبية المسلمين . وكتابه المنشور **الفتح القسي في الفتح القدسي** فيه ذكر لاخبار العربان ولاخبار اربعة من امراء ربيعة طيء كانوا مع صلاح الدين في حروبه ، احدهم ابن أمير من أمراء وادي موسى في الشراة من الاردن والذي كان صديقا لاسامة ابن منقذ (٢٢) (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م) . وهذه الاشارة من الاهمية بمكان كبير ، ذلك انها توضح انساب آل مرا من ربيعة طيء خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . واما كتاب العماد الثاني الذي له اهميته فهو **البرق الشامي** ، ولكن لا يمكننا قول شيء عنه ، فهو او ما هو موجود منه غير مطبوع ولم اتمكن من الاطلاع على المخطوط منه . ومع ذلك فان بعض الاشارات تدفع الى الاعتقاد بفائدته لهذه الدراسة (٢٣) .

ولا يقل ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) شأنا عن العماد الاصفهاني كمؤرخ للحروب الصليبية واخبار الدولتين الزنكية والايوبية ، لكنه محدود الفائدة بالنسبة

---

(٢١) نشره ايضا كلود كاهن بعنوان

Une chronique Syrienne Du VIe/XIIe Siecle' Le "Bnstan Al-Jami". **Bulletin D'Etudes Orientales,** Institut Francais De Damas, T. VII-VIII (1937-38), pp. 113-158.

(٢٢) ساعدت هذه الاشارة مع تلك التي في **كتاب الاعتبار** لاسامة بن منقذ على توضيح شجرة نسب آل ربيعة ، كما حددت مواطن بعض طيء — الشراة من الاردن — والتي كانت من مواطنهم في بداية حكم الفاطميين .

(٢٣) اورد ابن خلدون ، **العبر** ، ج ٥ ص٩٣٧ (ط. بيروت)، وج ٦ ص ٩٠ (ط. بولاق) اشارة صريحة انه ينقل عن **البرق الشامي** . كما ان هاملتون جب يرجع في مقالته « جيوش صلاح الدين » في **دراسات في حضارة الاسلام** . (الترجمة العربية، بيروت ، ١٩٦٤) الى عدة اجزاء من هذا الكتاب . ارجع الى بروكلمان **GAL, I, 315; GALS, II, 548**

وتذكرة النوادر من المخطوطات العربية (حيدر اباد الدكن ، ١٣٥٠) حيث ورد في ص ٨١ رقم ٩٠ ذكر لسبع مجلدات من الكتب في متحف بطرسبرغ .

لدراستنا ــ عن آل فضل وآل مرا وليس تاريخ القبائل ــ ، فكتابه **الباهر في الدولة الاتابكية** ليس فيه شيء يذكر ، **والكامل في التاريخ** فيه الشيء الكثير عن دور القبائل في العراق والجزيرة الفراتية وحلب ، والقليل عن قبائل بلاد الشام الجنوبية وباديتها . واخباره عن قبائل جنوبي الشام وبني ربيعة طيء معروفة لدينا من المصادر السابقة ، الا اشارة واحدة لاحظ ابن خلدون اهميتها فنقلها وثبتها في تاريخه في اكثر من موضع ، وتلك هي التي يذكرها في حوادث سنة (٥٠١هـ/١١٠٨م) والتي لا نجدها عند غيره من المؤرخين الذين جاءوا قبله او كانوا معاصرين له . وتتعلق هذه الاشارة بالامير فضل بن ربيعة الذي ينسب اليه آل فضل امراء العرب في بلاد الشام زمن المماليك .

ويرد عند ابن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٥م) في كتابه **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** اشارات قليلة عن القبائل رددها من بعده مؤرخو الدولة الايوبية : ابو شامة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) في **الروضتين في اخبار الدولتين** ، وابن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م) في**مفرج الكروب في اخبار بني ايوب** .

وجدير ان نذكر هنا وليم الصورى (William of Tyre) مؤلف تاريخ بعنوان :

Historia rerum in partibus transmarinis gesturum

ففي كتابه (٢٤) ملاحظات ذكية تتوافق وما يورده معاصروه من المؤرخين المسلمين في مضمونها العام ، كما يبدي ملاحظات هامة عن اخلاق البدو العسكرية نجد مثلها عند ابن فضل الله العمري (٢٥) .

هنالك ظاهرة عند مؤرخي الدولة المملوكية تستحق ان نشير اليها وهي ان اكثرهم كان له ارتباط مباشر او غير مباشر بالجهاز الاداري للدولة (٢٦) . وساعدهم ذلك على معرفة احوال البلاد واخبارها على المستوى الرسمي . ولذا فقد جاءت تواريخهم متشابهة ، في كثير الحالات ، في اخبارها عن قبائل بلاد الشام وعلاقتها بسلاطين المماليك . ويستثنى من ذلك التواريخ المتأخرة التي نقلت عن مصادر شامية اضافة لما اخذت عن المؤرخين المصريين الاول . اما المؤرخون الشاميون فقد كان ارتباطهم

---

(٢٤) ترجم الى الانجليزية بعنوان :
A History of Deeds Done Beyond the Sea, by E.A. Babock & A.C. Krey, New York, 1943.

(٢٥) نقل ابن فضل الله عن الحمداني النسابة رواية في نفس المعنى . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٩ .

(٢٦) مثل : ابن عبد الظاهر ، وابن شداد ، وبيبرس الدوادار ، ووالد ابن ايبك .

بالادارة الرسمية قليلا حتى في مراكز الممالك في الشام ، وكانوا في أغلبيتهم من العلماء الذين اهتموا بتراجم الرجال كثيرا ، وربما اكثر من الاحداث ، في المؤلفات التي وضعوها (٢٧) . ومع ذلك فأن احداثهم تختلف عن الاحداث التي يوردها المؤرخون المصريون .

وناحية ثانية تستلفت النظر هي الفرق بين المؤرخين الشاميين والمصريين في تدوين اخبار امراء قبائل الشام . فالمصريون ركزوا على الرسمي منها ، بينما نجد معاصريهم من الشاميين يهتمون بمعظم الحوادث المتعلقة بهؤلاء الامراء . ونجد حتى عند المتأخرين من مؤرخي هذه الفترة فرقا في معلوماتهم ، فابن الفرات وابن قاضي شهبة والعيني (٢٨) يختلفون في ما يقدمونه عن المقريزي وابن تغرى بردى ، وقد كانوا جميعا نقلة لما وجدوه في المصادر السابقة لهم — هذا اذا استثنينا الفترات التي عاصروها .

وأول مؤرخي هذه الفترة ابن عبد الظاهر (٢٩) (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م) مؤلف سير ثلاثة من اشهر سلاطين المماليك البحرية : **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** ، **وتشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور** ، **والالطاف الخفية في السيرة الاشرفية** (٣٠) . وليس في هذه المؤلفات ما يخص موضوعنا سوى اشارات قليلة رسمية في معظمها ، ومن هنا كانت اهميتها .

واليونيني (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) وابن الجزري (ت ٧٣٨هـ/١٣٣٨م) مؤرخان شاميان عاصرا الربع الاخير من القرن السابع الهجري (الرابع عشر الميلادي) . وكتب

---

(٢٧) مثل اليونيني وابن كثير .

(٢٨) لابن قاضي شهبة كتاب **الذيل على تاريخ الاسلام** في مجلدين منه ميكروفيلم مصور عن النسخة في المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٥٩٨ ، في مكتبة الجامعة الاميركية رقم .GALS, II, 33 . اما كتاب العيني (ت ٨٥٥/١٤٥١م) **عقد الجمان** فيقع في النسخة المصورة في دار المكتب بالقاهرة (ج٥ ص ص ٢٦٧ — ٢٦٩ من الفهرس ، ورقم ٧١ م تاريخ) في ٢٣ جزءا في ٦٩ مجلدا .

(٢٩) ويعاصر ابن عبد الظاهر المؤرخ ابن شداد الذي الف **سيرة الملك الظاهر** ، التي لم اتمكن من الاطلاع عليها لانها لا تزال مخطوطة ، في ادريانوبل ، مكتبة سليم . انظر GAL, I, 312

(٣٠) ما هو منشور من هذه الكتب : قطعة من **الروض الزاهر** نشرتها فاطمة صديقي مع ترجمة انجليزية ضمن دراستها عن حياة الظاهر بيبرس بعنوان **Baybars I of Egypt** (Pakistan, 1956) والقسم الذي وجد من **تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور** الذي نشره مراد كامل (القاهرة ، ١٩٦١) ونبذة من **الالطاف الخفيفة في السيرة الاشرفية** التي نشرها موبرغ (ليبسك ، ١٩٠٢) .

الاول **ذيلا لمرآة الزمان** والثاني **تاريخا** مرتبا على السنين (٣١) . والمؤلفان هامـــان لدراستنا ، الاول لاهتمامه باخبار آل فضل وآل مرا والعلاقات بينهما ، ويبدو الثانـي وكأنه لا يختلف كثيرا عن سابقه لكن لا مجال للحكم عليه لان ما وصلنا منه قطعة واحدة ليست بلغتها الاصلية وانما ملخصة ومترجمة الى الفرنسية (٣٢) .

اما بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م) فقد الف كتاب **زبدة الفكرة في تاريـخ الهجرة** الذي يمكن ان يعتبر في اجزائه الاخيرة من ابرز المصـــادر عن تاريخ المماليـك البحرية وعلاقاتهم مع التتار لكثرة ما فيه من الوثائق (٣٣) ، الا انه كان قليل العنايـة باخبار العرب الا ما كان له علاقة مباشرة بالسلاطين ، علما بأنه تولى نيابة الكرك مدة من الزمن ، وكان على معرفة وثيقة باخبار عربانها .

ويمكن ان يوصف كتابا **النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد** لابن ابي الفضائل (ت بعد ٧٥٩هـ/١٢٦١م)**وتاريخ سلاطين المماليك** الذي نشره زيترستين، بانهما من الكتب الهامة لدراسة تاريخ المماليك الا انهما لا يختلفان كثيرا عن **زبدة الفكرة** — وربما اقل اهمية — في ما تعلق باخبار القبائل .

ويأتي كتاب ابن ايبك الدواداري (ت حوالي ٧٥٠هـ/١٣٥٠م) عن الملك الناصر محمد بن قلاوون، متمما من ناحية لكتاب **زبدة الفكرة** — في اجزاء منه — ومكملا لسلسلة سير ابن عبد الظاهر من ناحية اخرى . فكتابه **الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر** هـام لدراستنا لناحيتين توفرتا فيه اولاهما بضع فقرات عن محطات البريد بين مصر والشام ودور العربان في المحافظة عليها ، وثانيتهما قصة قراسنقر وهروبه الى التتار ودور امير

---

(٣١) ارجع الى بروكلمان GALS, II, 33. ، حيث ذكر اسم **كتاب حوادث الزمان** الذي اعتبره تكملة لكتاب العماد الكاتب من حوادث ٥٩٣ — ٦١٩هـ . منه قطعة من المكتبة الوطنية بباريس رقم ٦٧٣٩ تحـت عنوان **جواهر السلوك في الخلفاء والملوك** .

(٣٢) وقد لخص سوفاجيه هذه القطعة بالفرنسية ونشرها تحت عنوان :
La chronique de Damas d'al-Jazari, (Paris, 1949).

وذكر عباس العزاوي (**مجلة المجمع العلمي العربي** ، م ١٩ سنة ١٩٤٤ ، صص ٥٢٤ — ٣٠) ان منه قطعة باسطنبول (كوبريلي زاده رقم ١٠٣٧) تشمل حوادث السنوات ٧٢٦هـ — ٧٣٨هـ — انظـر ايضا **فهرس دار الكتب المصرية** ، ج٥ ، رقم ٩٩٥ تاريخ .

(٣٣) ما تمكنت من الاطلاع عليه هو الجزء العاشر . ميكروفيلم عن مخطوطة المتحف البريطاني رقم (١٢٣٣). وهو يحتوي على حوادث السنوات ٦٥٥ — ٧٠٩ مع بعض النقص . ارجع بروكلمان
GAL, I, 44; GALS, II, 43.

العرب من آل فضل في ذلك ، كما رواها بيخان مملوك قراسنقر . ولا نجد هــــذه المعلومات عند غيره من المؤرخين .

ومن بين مؤرخي الشام البارزين ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) الذي وضــع تاريخا اطلق عليه اسم **المختصر في اخبار البشر** . والجزء الاكبر من هذا المؤلف ، كمــا يصرح هو نفسه ، منقول عن **الكامل في التاريخ** لابن الاثير ، لكن القسم المعاصر منــه ، رغم ايجازه ، من ادق واشمل ما كتب عن علاقات قبائل الشام ــ واصحاب الامرة منها خاصة ــ مع نواب الشام وملوك الايوبيين بحماه ودولة التتار في العراق . اما **تتمــة** هذا الكتاب التي وضعها ابن الوردي (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩ ــ ١٣٥٠م) ففقيرة فــــي احداثها ، محدودة الفائدة في وفياتها . ومع ذلك فالاشارات القليلة التي ترد فيها لهــا اهميتها التي لا تنكــر .

وابن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) من مؤرخي الشام البارزين ايضا ، وكتابه **البداية والنهاية** مرجع اساسي لتاريخ بلاد الشام السياسي والاجتماعي . والاجزاء منه التـــي تبحث في احداث القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، اما منقولة عن تاريخ البرزالي (٣٤) (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م) او غيره من المؤرخين ، او من مشاهداته ومصادره الخاصة . وهو يصرح بذلك اذ يذكر متى توقف عن الاخذ عن البرزالي ، وما يهمنا مــن معلوماته ، بالاضافة الى ما اورد من اخبار آل فضل ، هو ما ذكره عن علاقة هـــؤلاء الامراء بالشيخ احمد بن تيمية وغيره من الشخصيات الدينية في بلاد الشام ، وهـــي معلومات معاصرة لم اجدها عند غيره من المصادر التي اتيح لي الاطلاع عليها .

وابن حبيب (ت ٧٧٧هـ/١٣٧٥م) مؤرخ آخر معاصر لابن كثير ، الف كتابا فــي تاريخ دولة الاتراك (٣٥) سماه **درة الاسلاك في دولة الاتراك** ، واهتم فيه بالصناعـــة اللفظية اكثر من اهتمامه بالاخبار التاريخية . وقد يعد مصدرا مفيدا لدراسة تاريـــخ المماليك البحرية الا ان ما تضمنه من اخبار تهمنا يكاد يقتصر على من توفى ممن ولـــي الامرة من آل فضل دون غيرهم من امراء ربيعة طيء او امراء القبائل الاخرى .

---

(٣٤) له تاريخ على السنين من ٦٠١هـ ــ ٧٣٦هـ . انظر بروكلمان GALS, II, 34-35; GAL, II, 36.

(٣٥) المقصود بذلك دولة المماليك الاولى او البحريــة التي غلب عليها العنصر التركي .

ومن المؤرخين الذين سجلوا نهاية دولة المماليك البحرية وقيام دولة المماليك الجراكسة ابن الفرات (ت ٨٠٧هـ/٤٠٤م) وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) . ومؤلفاتهما (٣٦) اكثر المصادر التي اطلعت عليها — مع **مسالك الابصار** — غني بالمعلومات الجديدة والوافية عن الامارة الطائية في بلاد الشام . فابن الفرات الذي اتبع اسلوب الحوليات يورد ، في الاجزاء التي تمكنت من الاطلاع عليها ، حقائق ووثائق عن احوال امارة قبائل العرب في بلاد الشام لا نجدها عند غيره من المؤرخين (٣٧) ، خاصة ما وقع منها في الفترة التي عاصرها ، والفترة بين (٦٢٥هـ/١٢٢٨م — ٦٤٨هـ/١٢٤٠م) (٢) ، حيث تشكل المعلومات الموجودة لديه عن الفترة الاخيرة المادة الوحيدة تقريبا عن آل فضل في الفترة الاولى من قيام الامارة الرسمية. اما ابن خلدون الذيعاصر الاحداث في مصر والشام في الجزء الاخير من النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، وكان على اتصال بالسلطان برقوق وابنه السلطان فرج ، فان اهميته لا ترجع الى ذلك فحسب ، وانما تعود الى معالجته لموضوع الامارة الطائية (آل فضل) كموضوع مستقل ، واعتبارها مثلا من الامثلة التي توضح نشوء الامارات. وهو بعمله هذا يقدم لنا معلومات وحقائق جديدة مستمدة من مصادر مفقودة او غير مطبوعة .

ولابن صصري (ت بعد ٨٠٠/١٣٩٧م) تاريخ اسمه **الدرة المضيئة في الدولة الناصرية** ، والمطبوع منه يضم فترة تسع سنوات تكاد تقتصر حوادثها على حركتي « الناصري » ، و « منطاش » ضد السلطان برقوق . وهو معاصر للاحداث التي يدونها ، ولديه معلومات مفصلة عن هذه الحركات ودور آل فضل وآل مرا فيها ، كما يحتوي على اشارات هامة عن دور « العشير » والفلاحين في هذه الاحداث .

ولكي تكتمل الصورة عن كتب الحوليات واهميتها لدراستنا ، لا بد من ذكر مجمل لثلاثة من اشهر مؤلفات عصر المماليك : **السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي**

---

(٣٦) **تاريخ ابن الفرات** ، وهو مرتب على السنين . وما تمكنت من الاطلاع عليه الاجزاء المطبوعة ٧، ٨، ٩، والجزء السادس (ميكروفيلم مصور عن مخطوطة الزاوية الناصرية بالرباط ، في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت تحت رقم AS 128) ، والقسم الاول من الجزء السادس من مخطوطة فينا (رسالة ماجستير في مكتبة الجامعة الاميركية رقم T : 83A) والقسم الاول من الجزء الرابع (ط. البصرة ، ١٩٦٧) . اما تاريخ ابن خلدون ، **العبر** ، فمطبوع في طبعتين غير محققتين في القاهرة وبيروت . وله كتاب اخر هو **التعريف بابن خلدون** لم استفد منه بالنسبة لتاريخ القبائل .

(٣٧) يرد بعضها بشكل موجز جدا عند ابن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، ج٣ (ط. دمشق ، ١٩٦٨) .

(ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) **وذيل تاريخ الاسلام** لابن قاضـــي شهبـــة (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م) **والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** لابن تغري بردى (ت بعد ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) . وهذه المؤلفات من اهم المراجع عن تاريخ دولة المماليك ، لكنها محدودة الفائدة لدراستنا خاصة وان المادة الكثيرة فيها عن القبائل اصبحت متوفرة في مصادرهـــا الاصليـــة والمعاصرة . ومع ذلك فلكل منها جانب خاص يستحق الذكر . فالمقريزي لديه معلومات جديدة تبحث في تجارة الخيول بين امراء العرب والسلاطـــين واثرها الاقتصـــــادي والاجتماعي على العربان بسبب الاموال التي كانوا يحصلون عليها من السلطان مقابل ذلك ، ويضاف الى ذلك اشارات اخرى متفرقة لها اهميتها . وابن قاضي شهبة مؤرخ جامع ومنظم حاول المقابلة بين ما وجده عند المؤرخين الشاميين والمصريين في الاحداث التي ينقل اخبارها ، كما ينقل عن مؤرخيين لا تزال مؤلفاتهم غير مطبوعة . اما ابـــن تغري بردي فمادته اقل وتقتصر على الاحداث البارزة التي يعالجها كوحدة ضمن سير السلاطين .

وجدير بالذكر اخيرا سيرة السلطان الظاهر برقوق التي وضعها De Mignanetli والمعروفة بـــــ **Ascensus Barcoch**

وقد عاش المؤلف في مصر ودمشق مدة وكان معاصرا للاحداث الاخيرة في سلطنة الظاهر برقوق . وفي سيرته الموجزة معلومات جيدة عن ثورة منطاش ودور العرب فيها تتفق في كثير من جوانبها مع روايات المؤرخين المعاصرين .

٣ ـــ التراجـــــم

تعتبر كتب تراجم الرجال من المصادر الرئيسية لدراسة تاريخ الدول الزنكيـــــة والايوبية والملوكية ، ذلك لانها نقلت ونظمت الاخبار المتناثرة المتعلقة باخبار الشخصيات التي تترجم لها ، من المصادر المعاصرة على اختلاف انواعها . واكثر كتب التراجم التي اتيح لي الاطلاع عليها ليس فيها من معلومات جديدة لا نجدها في المصادر الاخـــــرى المعاصرة . واحيانا نرى ان النص الواحد يتكرر في اكثر من مصدر واحد من هــــذه المصادر . فما نجده من اخبار لها علاقة بموضوعنا عند ابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٦م) **في تاريخ دمشق** نراه مكررا عند ياقوت (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) في **معجم الادبـــاء** ، وابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) في **وفيات الاعيان** (٣٨) مع ان هـــذا المؤلف الاخير فيـــــه

(٣٨) لم اجد في كتاب ابن شاكر الكتبي **فوات الوفيات** اي شيء يذكر .

معلومات اكثر من غيره وبعض هذه المعلومات موجودة عند ابن الصيرفي (ت ٥٤٢هـ/ ٤٧ ــ ١١٤٨م) في كتابه **الاشارة الى من نال الوزارة** . اما ابن العديم (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) فانه وضع مؤلفا ضخما عن رجالات حلب ــ على غرار ما عمله ابن عساكر ــ وسماه **بغية الطلب في تاريخ حلب** . وما تمكنت من الاطلاع عليه من هذا المؤلف لا يكفي للحكم عليه ، لكننا نجد فيه ترجمة وافية للامير حسان بن المفرج الطائي ، اشهر امراء آل الجراح زمن الفاطميين ، لا نجدها عند غيره .

ولدينا من فترة المماليك عدد من كتب التراجم التي نجد فيها الكثير من المعلومات المنقولة عن المصادر السابقة لها ، لكنها قليلة الفائدة لموضوعنا . واول هذه الكتب **الوافي بالوفيات** للصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)**والدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة** لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م) **والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** لابن تغري بردى (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) . وما هو مطبوع من الكتاب الاول ، وما تمكنت من الاطلاع عليه من المخطوط (٣٩) لا يكفي للحكم عليه، والاشارات القليلة التي وجدتها فيه لا تختلف عما اوردته مصادر فترة المماليك الاولى .ومثل ذلك يمكن ان يقال عن الكتاب الثالث المذكور،ذلك ان الجزء الاول المنشور منه والملخص الذي نشره جاستون فيت (G. Wiet) باللغة الفرنسية للكتاب كله لا يكفيان لابداء رأي حول اهميته ، لكن يبدو ان مادته غزيرة وتبحث في تراجم امراء آل فضل وآل مرا بشيء من التفصيل (٤٠) . اما كتاب ابن حجر العسقلاني فمعلوماته غزيرة ايضا وفي اغلبها منقولة عن ابن فضل الله العمري وغيره من اصحاب التراجم . ومع ذلك فان فيه شيئا جديدا ، ذلك انه يورد خبرا يتعلق بأحد امراء آل فضل تولى امارة الموصل مدة من الزمن في عهد التتار .

٤ ــ الموسوعات والنظم

ثلاثة من كتب الموسوعات لها اهمية خاصة في دراسة تاريخ القبائل العربية في الشام هي **مسالك الابصار في ممالك الامصار** لابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) **وصبح الاعشى في صناعة الانشاء** لقلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م / **والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** للمقريزي . وكتاب **مسالك الابصار** افضل مصدر لدراسة تاريخ القبائل العربية في القرنين السابع والثامن الهجري (الثالث عشر والرابع عشر

---

(٣٩) الموجود منه في المعهد الالماني الشرقي ببيروت .

(٤٠) ترد مقتطفات من تراجم المنهل الصافي عند العماد الحنبلي في **شذرات الذهب في اخبار ذهب** ، ومحمد راغب الطباخ في **اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، وقد نشر فيت الملخص بعنوان :
Les biographies du Manhal Safi (Le caire, 1932).

الميلاديين) ، **وصبح الاعشى** مصدر هام ايضا لسبب يختلف عن ذلك المتعلق بكتاب ابن فضل الله العمري . اما **الخطط** فمفيدة في دراسة النظم المملوكية وعلاقة القبائل بها .

واذا كانت مؤلفات ابن فضل الله العمري والقلقشندي بهـذه الاهمية التـي افترضناها ، فلا بد من اعطاء فكرة اكثر وضوحا عنها .

يهمنا من كتاب ابن فضل الله ثلاثة اشياء متفرقة في اجزائه العديدة : الاول وصفه لطرق الحجاج ، وليس المهم هو وصفه الطرق بحد ذاتها وانما الاجراءات التي اتخذها سلاطين المماليك لتنظيم اشراف قبائل العرب القاطنة على الطريق او قريبا منها . وكان مصدره في ذلك المشاهدة والخبرة المباشرة . والثاني « الباب » الذي خصصه في نهاية بحثه « للقسم » الاول من الكتاب ــ الارض ــ ورتبه تحت عنوان « في ذكر العـرب الموجودين في زماننا ... » ، ومصادرة لهذا الباب موثوقة : الحمداني المهمنـدار (٤١) (ت ٧٠٠هـ/١٣٠١م) الذي عاش قريبا من قرن من الزمان وشغل منصب المهمندارية، وكان نسابة ، ووضع كتابا عن قبائل العرب في زمانه ، وامراء العرب الذين عاصرهم المؤلف وقابلهم وتحدث معهم ووثق بكلامهم ، وملاحظاته الشخصية . والثالث ما نجده في الجزء الاخير من القسم التاريخي من كتابه ، من وثائق ومعلومات قيمة .

واذا كان القلقشندي قد انقل حرفيا ــ مع اضافات احيانا ــ عن **مسالك الابصار** بعض الاقسام وتوسع في بحثها معتمدا على مصادر اخرى ، ونسخ معظم ان لم يكن كل كتاب **التعريف بالمصطلح الشريف** ــ الكتاب الثاني لابن فضل الله ــ ، فان في **صبح الاعشى** من المعلومات ما لا نجده عند ابن فضل الله والمقريزي،كالملاحظات التي اضافها والوثائق الكثيرة التي زودنا بها من مراسيم ومناشير كتبت لامراء عربان الشام في ذلك الزمان ، وهي معلومات لا يمكن الاستغناء عنها في معرفة نوع العلاقة التي كانت قائمة بين امراء العرب والدولة المملوكية .

ولا يمكن ان نختتم هذا العرض دون الاشارة السريعة الى المصادر الكثيرة التي لم يتناولها التعليق في ما تقدم ، ككتاب **ابناء الغمر في ابناء العمر** لابن حجر العسقلاني (٤٢)،

---

(٤١) له ترجمة في **الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة** (ط. دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن) ج٤ صص ٤٥٥ ــ ٤٥٦ .

(٤٢) طبع الجزء الاول من هذا الكتاب في حيدر اباد الدكن سنة ١٩٦٨ .

وبدائع الزهور في وقائع الدهر لابن اياس ،**وتاريخ بيروت** لصالح بن يحيى ، **والجوهـــر الثمين في سيرة نور الدين** لابن قاضي شهبة . وكذلك المصادر التي لم اتمكن من الاطلاع عليها في الوقت الذي كتب فيه هذا البحث ــ لانها لا تزال مخطوطة وغير متوافرة لدي ــ مع اهميتها **كتاريخ الاسلام** للذهبي، **وعقد الجمان** للعيني والاجزاء التي لا تزال مخطوطة من **السلوك** للمقريزي (٤٣) .

---

(٤٣) نشر منذ كتابة هذه الدراسة عدد من المؤلفــات المتعلقة بتاريخ المماليك كما واطلعت على عدد آخر في مكتبات اسطنبول ولندن واكسفورد وباريس . ولم اجد فيها معلومات جديدة الا حول بعض النقـــاط التفصيلية . وقد وردت هذه التفاصيل في مقالة لي باللغة الانجليزية تجدونهاضمن قائمة مصادر ومراجع هذه الدراسة .

الفصل الاول

باديـــة العرب الشمالية

وتوزيـــع القبائـــل العربية وحركة تنقلها

تتكون المنطقة الواقعة بين البحر الابيض المتوسط غربا ، ونهر الفرات شمالا وشرقا ، وبلاد نجد جنوبا من عدة اقسام جغرافية هي ، من الغرب الى الشرق ، : السهل الساحلي ، وسلسلة الجبال الغربية ، والسهول والوديان ، وسلسلة الجبال الشرقية ، والبادية . فالسهل الساحلي ضيق في معظم اجزائه لكنه يتسع بالتدريج كلما اتجهنا جنوبا مع الساحل الفلسطيني . اما سلسلة الجبال الغربية فتمتد من الشمال ، حيث تتصل بجبال طوروس ، الى الجنوب حيث تنتهي بالنقب الذي كان يعرف عند الجغرافيين المسلمين بتيه بني اسرائيل . وتختلف ارتفاعات هذه الجبال لكن اكثرها ارتفاعا هي جبال لبنان الغربية . ويتخلل سلاسل الجبال هذه مجاري انهار وعدد من الوديان . والى الشرق من سلسلة الجبال الغربية تقع سهول ووديان انهار ، مثل سهل العمق الذي يجري فيه نهر العاصي ، وسهل البقاع الذي يجري فيه نهر الليطاني ، وغور الاردن الذي يجري فيه نهر الاردن . وتعرف هذه الوديان « بحفرة الانهدام » . وتطل على حفرة الانهدام هذه سلسلة الجبال الشرقية التي تمتد جنوبا حتى تتصل بجبال غربي الجزيرة العربية . وهذه الجبال ، كالجبال الغربية ، شديدة الانحدار باتجاه « حفرة الانهدام » لكنها تنخفض بالتدريج كلما اتجهنا شرقا حتى تتصل ببادية العرب الشمالية التي تغطي القسم الاكبر من المنطقة التي حددناها اعلاه (١) .

ومعظم بادية العرب الشمالية هذه سهوب مستوية تتخللها احيانا بعض الهضاب والمرتفعات مثل « جبل بشرى » شمالي تدمر ، و « الجبل الشرقي » شمالي شرقي دمشق وجبل بني هلال المعروف بـ « جبل الدروز » جنوبي شرقي دمشق ، و « جبل شمر » في هضبة نجد الشمالية . وتتكون هذه البادية من عدة اقسام اهمها (٢) : الوديان وهي تضم المنطقة الواقعة الى الشرق من تدمر والرطبة وتمتد الى وادي الفرات والمنطقة بين تدمر والقريتين ، ووادي السرحان ، والحماد وهو المنطقة الممتدة من جنوبي تدمر حتى صحراء النفود جنوبا ، والحرات الواقعة الى الجنوب الشرقي من من جبل العرب ، والحجرة الممتدة بمحاذاة الجزء الجنوبي من حوض الفرات الغربي بين الكوفة والبصرة (٣) .

---

(١) يقصد « ببادية العرب الشمالية » في هذه الدراسة المنطقة الواقعة بين سفوح الجبال الشرقية لبلاد الشام (شرقي الخط الواصل بين بالس (مسكنه حاليا) على نهر الفرات ، وأيلة او العقبة على خليج العقبة) وبلاد نجد الشمالية وامتدادها غربا الى البحر الاحمر وشرقا الى الخليج العربي .

(٢) وصفي زكريا ، **عشائر الشام** (دمشق ، ١٩٤٥) ج١ ص ٢٦ — ٢٨ ، عبد الجبار الراوي ، **البادية** (بغداد ، ١٩٤٩) ص ٥ — ٧ .

(٣) هنالك اقسام اخرى وردت في مصادر الحاشية رقم ٢ مثل « المناظر » و « الدو » التي اوردها وصفي زكريا ، **عشائر الشام** ، ص٢٤ — ٢٦ ، و « الدبدبة » و « الرحاب » التي اوردها الراوي ، **البادية**، ص ٦ — ٧ .

وهذه البادية — باستثناء صحراء النفوذ — قليلة الرمال وكل ما فيها من مناطق رملية محصور في الاجزاء الواقعة الى الشرق من تدمر ، وما بين العراق والكويت (٤) .

اهتم الجغرافيون والرحالة المسلمون ، خلال العصور المختلفة ، بالبادية وطرقاتها والمراكز التي كانت تقع فيها او على اطرافها . ويرجع سبب هذا الاهتمام الى اهميتها بالنسبة للمواصلات بين اجزاء العالم الاسلامي . ففيها او على اطرافها كانت تسير طرق الحجاج والقوافل التجارية القادمة من العراق والشام ومصر ، ومن اجزاء العالم الاسلامي الاخرى . ولذلك فقد اهتموا بدراستها وتحديد طرقاتها ومراكزها التجارية . فقد اعتبرها قسم من الجغرافيين امتدادا للجزيرة العربية (٥) مع ضمها اداريا للوحدات الادارية القريبة منها : الاجناد في بلاد الشام والامصار في العراق . اما المقدسي ، الذي ادرك اهميتها اكثر من غيره ، فقد اعتبرها وحدة جغرافية منفصلة « لان احدا من أهل الاقاليم الثلاثة عشر (حسب تقسيمه) لا طريق له الى مكة في البر الا فيها ولا غنى له عن معرفتها » (٦) .

ورغم الاختلاف بين المقدسي وسابقيه من الجغرافيين حول اهمية البادية (٧) وكيفية اعتبارها جغرافيا ، الا انه لا يختلف عنهم في تعيين حدودها . وحدودها في رأيه تبدأ من أيلة على بحر القلزم الى بالس على نهر الفرات والى عبادان على الخليج العربي . فمن أيلة الى الشراة والبلقاء من عمل فلسطين (او دمشق) ، الى اذرعات وحوران والبثنية من عمل دمشق ، الى سلمية من عمل حمص ، الى بالس من عمل قنسرين (٨) . ومن بالس يسير الحد مع نهر الفرات حتى يصل الى الانبار التي كانت

---

(٤) **عشائر الشام** ، ج١ ، ص٢٩ ، **البادية** ، ص٧ .

(٥) الاصطخري ، **المسالك والممالك** (القاهرة ، ١٩٦١) ص ٤٣ ، ابن حوقل ، **صورة الارض** (ليدن ، ١٩٣٩) ص ٦٥ ، وقد تبعهم في ذلك معظم من جاء بعدهم من الجغرافيين . انظر : البكري ، **معجم ما استعجم** (القاهرة ، ١٩٤٥) ج١ ص ١ — ٤٧ ، ياقوت ، **معجم البلدان** (بيروت ، ١٩٥٥ — ١٩٥٧) ج٢ ص ١٣٧ ، ابو الفداء ، **تقويم البلدان** (باريس ، ١٨٥٤) ص ٧٧ — ٧٨ .

(٦) المقدسي ، **احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم** (ليدن ، ١٩٠٦) ص ٢٤٨ .

(٧) ذكر المقدسي كل الطرق التي كانت تخترق البادية في زمانه ، **المصدر السابق** ، ص ٢٤٩ — ٢٥٢ ، كما قدم وصفا عاما وجيدا لها لا نجد مثله عند غيره من الجغرافيين السابقين او المعاصرين له ، فقد وصفها بانها « بادية ذات مياه وغدران وآبار وعيون وتلال ورمال وقرى ونخيل ، قليلة الجبال ، كثيرة العرب ، مخيفة السبل ، خفية الطرق ، طيبة الهواء ، ليس بها بحيرة ولا نهر الا الازرق ، ولا مدينة الا تيماء » . وقد اعتبر مدينة تدمر من المعمور وليس من البادية . **المصدر ذاته** ، ص ٢٤٨ .

(٨) حاولت جعل الخط بين أيلة وبالس مستقيما بعض الشيء فحذفت بعض المراكز التي جعلها الجغرافيون من الحدود مثل زغر مدينة قوم لوط، ونواحي بعلبك ، وتدمر ، والخناصرة .

تعتبر الحد الفاصل بين الجزيرة الفراتية والعراق (٩) . ومن الانبار يأخذ الحد بالابتعاد عن النهر الى جهة الغرب فيسير مع المدن والبلدان الواقعة على اطراف البادية جهة العراق كالكوفة والقادسية حتى يصل عبادان على خليج البصرة . اما ما بين عبادان وأيلة فيكاد يسير خط الحدود مستقيما ، ويمر من صحراء النفود قريبا من الاطراف الشمالية لهضبة نجد عند جبلي طيء (١٠) .

وقد قسم الجغرافيون الاوائل هذه البادية الى عدة بواد حسب المنطقة القريبة منها ، ولذلك نجد عندهم ذكرا لبادية الشام وبادية الجزيرة وبادية العراق والسماوة وبرية خساف (١١) . ومجموع هذه البوادي هو الذي اطلقنا عليه اسم « بادية العرب الشمالية » .

كانت القبائل العربية تقيم مضاربها ، صيفا وشتاء في البادية او على اطرافها ، في الاماكن التي كان يتوفر فيها الماء والمرعى . فقد كانت تنتقل في اواخر الربيع واوائل الصيف من مناطقها الشتوية المألوفة الى الاطراف المزروعة من الريف حتى تتمكن من اطعام مواشيها مما يترك في الارض بعد موسم الحصاد . وتبقى في هذه المناطق حتى فصل الخريف وبداية الشتاء،عندها تنتقل الى المناطق القريبة من أرياف العراق والشام، ثم الى المناطق الداخلية من القفار « لرعي شجرها ، ونتاج ابلهم في رمالها ، ... وفرارا بأنفسهم وظعانهم من أذى البرد لدفاء مشاتيها ، فلا يزالون كل عام مترددين بين الريف والصحراء ... صاعدين ومنحدرين على ممر الايام » (١١) .

والمناطق التي كانت تلجأ اليها القبائل في تنقلها المستمر هي تلك التي تقع على اطراف الارض المزروعة ، ومجاري الوديان الغنية بالمياه ، والمراكز التي تتوفر فيها

---

(٩) **صورة الارض** ، ص ٢٣١ ، **تقويم البلدان** ، ص٣٥١ عن ابن حوقل ،
مجلة كلية الاداب — بغداد
M.R. Al-Feel, "Iraq and al-Jazira as Described by Ibn Said al-Maghribi in vol.5 (1962, EnglishSec.) p. 95.

(١٠) كانت منطقة نجد الشمالي موطن قبيلة طيء وغيرها من القبائل التي استوطنت بعض فروعها فيما بعد العراق والجزيرة والشام ، ولذلك اعتبرت هنا تابعة للبادية الشمالية .

(١١) **المسالك والممالك** ، ص ٢١ — ٢٥ ، **صورة الارض** ، ص ٢١ — ٢٢ ، **معجم البلدان** ، ج٣، ص ٢٤٥ .
وكتاب **Hudud al-'Alam** (اكسفورد ، ١٩٣٧) ص ٣١ .

(١٢) **العبر** ، ج٢ ص ٢٦ ، ابن سعيد ، **كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب** (ميكروفيلم في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم .Mic-A 133) ورقة ١٧ ، وكانت منازل هذه القبائل ، الصيفية والشتوية محدودة ومعروفة ، ولم تكن دائمة التنقل دون استقرار — انظر :
W.R. Smith, **Kinship and Marriage in Early Arabia** (ed. S.A. Cook & E. Peters, Boston, N.D.) p 41.

البرك والصهاريج التي يخزن بها ماء المطر . وهي نفس المناطق التي كانت تمر بها طرق المواصلات في البادية ، كما كانت اهم مراكز تجمع القبائل مختلف فصول السنة . وهذه المناطق هي : نجد الشمالي وامتداده الى الشمال الشرقي بمحاذاة طريق الحجاج العراقي ، والى الغرب حيث تقع تيماء وتبوك ، والمنطقة الواقعة على طول الخط الذي اعتبر حدا فاصلا بين الشام والبادية والممتد من أيلة جنوبا حتى بالس شمالا ومارا بحوران وحدود دمشق وحمص وحماه الشرقية ، ومناطق الوديان والينابيع والآبار كتدمر والازرق ووادي السرحان الذي يصل بين سهول حوران وصحراء النفود وهضبة نجد الشمالية . هذا بالاضافة الى المراكز القريبة من الفرات والتي يتردد ذكرها كثيرا في اخبار القبائل التي استوطنت الاجزاء الشمالية والشرقية من البادية .

ونظرا لاهمية هذه المناطق لهذه الدراسة ، فان اعطاء فكرة مجملة عنها شيء ضروري .

١ ــ نجد الشمالي

يقع جبلا أجأ وسلمى المعروفان بجبلي طيء (شمر في الوقت الحاضر) على الطرف الشمالي لهضبة نجد والحد الجنوبي لصحراء النفوذ الكبرى . وجعل هذا الموقع المتوسط لمنطقة الجبلين بين بلاد العرب اهمية خاصة ، حيث كانت مركزا للمواصلات تمر بها او قريبا منها طرق الحجاج القادمة من العراق والشام (١٣) ، لتوفر المياه فيها من ناحية ، ولانه كان يتم في محطاتها البيع والشراء بين الحجاج وبين الاعراب من ناحية اخرى (١٤) .

ومن اهم المراكز التي كانت على طريق الحجاج العراقي وقريبا من جبلي طيء ، فيد (١٥) . فقد كانت المكان الوحيد الذي « يستقل بالعمارة والاهل طوال السنة » (١٦) .

(١٣) عن طريق الحجاج العراقي خاصة انظر : ابن خرداذبه ، **المسالك والممالك** (ليدن ، ١٨٨٩) ص ١٢٥ ــ ١٢٧ ، قدامة بن جعفر ، **كتاب الخراج** (ليدن، ١٨٨٩) ص ١٨٦ ، **احسن التقاسيم** ، ص ٢٥٣ ــ ٥٤ ، ابن بطوطة ، **رحلة ابن بطوطة** (بيروت ، ١٩٦٠) ص ١٧٣ ــ ٧٦ . اما طريق الحجاج الشامي فقد كان يمر من طرف نجد الغربي .

(١٤) ابن سعيد ، **بسط الارض في الطول والعرض** (تطوان ، ١٩٥٨) ص ٦٥ ، ابن جبير ، **رحلة ابن جبير** ، (القاهرة ، ١٩٥٥) ص ١٩١ ، **رحلة ابن بطوطة** (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص ١٧٣ .

(١٥) عن فيد ارجع الى **كتاب الخراج**، ص ١٨٦ ، ابن خرداذبة ، **المسالك والممالك** ، ص ١٨٦ ، **Hudud al-,Alam, p. 148.** ، **احسن التقاسيم** ، ص ٢٥٤ ، **رحلة ابن جبير** ، ١٩١ ، **معجم البلدان** ، ج٤ ص ٢٨٢ ــ ٨٣ ، ابن عبد الحق ، **مراصد الاطلاع**، ج٢ ص ٣٧ ــ ٧٦ ، **تقويم البلدان** ، ص ٩٦ نقلا عن **كتاب العزيزي** للمهلبي ، **رحلة ابن بطوطة** ، ص ١٧٤ ، EI(2), III, pp. 893

(١٦) **احسن التقاسيم** ، ص ٢٥٤ .

وتكثر فيها الاسواق خاصة في موسم الحج . كما كانت مركز العامل (الوالي) في زمن قدامة بن جعفر . (١٧) . اما اهلها فقد كانوا « بادية » من طيء (١٨) .

والى الشمال من جبلي طيء تمتد صحراء النفود ، وعلى الطرف الشمالي لهذه الصحراء تقع دومة الجندل . اما تيماء وتبوك فقد كانتا الى الغرب من الجبلين . ولا تذكر المصادر الجغرافية عن هذه المراكز الا ما تعلق بتحصيناتها ، وتوفر المياه فيها ، واهميتها للبادية (١٩) . فتيماء « ممتار البادية » (٢٠) ، وتبوك « حاضر طيء » .

٢ — اطراف البادية الغربية (٢٢)

يقع على طول الخط الذي رسم كحد فاصل بين بلاد الشام — في عرف الجغرافيين الاولين (٢٣) — والبادية ، عدد من المراكز التي كان لها علاقة دائمة مع القبائل العربية المجاورة خاصة فروع قبيلة طيء في بلاد الشام وباديتها :

فمدينة أيلة كانت مدينة عامرة ذات نخيل واسماك (٢٤) ، ومن قواعد اليهود التي خربت (٢٥) ، ثم اصبحت قرية صغيرة يأوى اليها العرب ويتصرفون في امورها (٢٦) ،

---

(١٧) **كتاب الخراج** ، ص ١٨٦ .

(١٨) **المسالك والممالك** ، ص ٢٤ ، **صورة الارض** ، ٣٣ ، **احسن التقاسيم** ، ص ٢٥٤ . و « بادية » بدو او اعراب .

(١٩) عن دومة الجندل ارجع الى ابن خرداذبة ، **المسالك والممالك** ، ص ١٢٩ ، الادريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الافاق** (نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم MS 910 : 121 nuA) ص ٢٣٧ ، **معجم البلدان** ، ج٢ ص ٨٨ ، EI(2) II, pp. 592-594. وعن تيماء : **المسالك والممالك** ، ص ٢٥ ، **صورة الارض** ، ص ٣٤ ، **احسن التقاسيم**، ٢٥٢ — ٥٣ ، **نزهة المشتاق** ، ص ٢٣٨ ، **معجم البلدان** ، ج٢ ص ٦٧، EI(1), IV, pp. 622-623

(٢٠) **المسالك والممالك** ، ص ٣٥ ، **صورة الارض** ، ٣٤ .

(٢١) **كتاب تقويم البلدان** ، ص ٨٧ نقلا عن **كتاب العزيزي** .

(٢٢) ادخل ضمن هذه المنطقة بعض المراكز التي تقع خارجها مثل الرملة والازرق ، الاولى لاهميتها في دراسة تاريخ قبيلة طيء ، والثانية لوفرة المياه فيها .

(٢٣) جعل الجغرافيون الشام المنطقة الواقعة الى غربي الخط الذي رسمناه : **صورة الارض** ص ١٦٥ ، ابن شداد ، **الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة** ج١ (مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الاميركية رقم 956. 9 : I 138 a IA)نقلا عن ابن العديم ، **تقديم البلدان** ، ص ٢٢٥ ، Le Strange, Palestine Under the Moslems (Beirut, 1965) p. 27.

(٢٤) **احسن التقاسيم** ، ص ١٧٨ .

(٢٥) **بسط الارض** ، ص ٨٤ .

(٢٦) **نزهة المشتاق** ، ص ٢٣٦ .

وبها كان يجتمع حجيج الشام ومصر (٢٧) ، ثم صارت اخيرا مركزا لوال يعين من مصر زمن ابي الفداء (٢٨) .

اما منطقة الجبال والشراة (٢٩) فقد كانت كثيرة القرى (٣٠) ، وغاية في الخصب والسعة (٣١) . وكان سكانها زمن الفاطميين من العرب المتغلبين عليها ، ثم اصبحت غالبيتهم زمن المماليك من الفلاحين (٣٢) .

ومدينة الرملة من أشهر مدن فلسطين في فترة صدر الاسلام . فقد كانت مركز الجند ، عامرة كثيرة البنيان والسكان (٣٣) . ثم توالى عليها الخراب والعمار في القرون التالية (٣٤) ، الى ان اصبحت مركز « اقليم » صغير في القرن التاسع الهجري (٣٥) (الخامس عشر الميلادي) .

والى الشمال من الشراة تقع كورة البلقاء « معدن الحبوب والاغنام » (٣٦) ، وهي في ذلك مشابهة لحوران والبثنية (٣٧) الرستاقين العظيمين (٣٨) . وقد تقلبت الاحوال

---

(٢٧) القزويني ، **آثار البلاد واخبار العباد** (بيروت ، ١٩٦٠) ، ص ١٥٣ .

(٢٨) **تقويم البلدان** ، ص ٨٧ .

(٢٩) من مدن هذه المنطقة وقراها أذرح ومآب ومعان. **المسالك والممالك** ، ص ٤٨ ، **صورة الارض** ، ص ١٧٣ ، ١٨٥ ، **احسن التقاسيم** ، ص ١٧٨ .

(٣٠) **احسن التقاسيم** ، ص ١٧٨ .

(٣١) **المسالك والممالك** ، ص ٤٤ ، **صورة الارض** ، **احسن التقاسيم** ، ص ١٧٨ .

(٣٢) **بسط الارض**، ص ٨٥، **تقويم البلدان**، ص ٢٢٨.

(٣٣) **المسالك والممالك** ، ص ٤٤ — ٤٨ ، **صورة الارض** ، ص ١٧١ ، **احسن التقاسيم** ، ص ١٦٤ — ٦٥ .

(٣٤) ابن شداد ، **الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة (بيروت** ، ١٩٦٣) ج٢ قسم ٢ ص ١٨٢ — ٨٣ ، **نزهة المشتاق** ، ص ٢٣٩ ، **تقويم البلدان**، ص ٢٤٠ — ٤١ ، **رحلة ابن تطوطة** ، ص ٦٠ .

(٣٥) ابن شاهين الظاهري ، **زبدة كشف الممالك** (باريس ، ١٨٩٤) ، ص ٤٢ .

(٣٦) **احسن التقاسيم** ، ص ١٧٥ ، **معجم البلدان** ، ج١ ص ٣٣٨ **EI(2), I, pp. 997-998,**

(٣٧) كان يطلق على جزء من حوران والبثنية اسم « النقرة » وهو قلب هذه المنطقة **EI(1), III, p. 951, EI(2), I, pp. 1275f.**
وليس اسم النقرة حديثا كما تصور E. Honigmann في مقالة Al-Nukra في **EI(1), III, p. 951**
فقد ورد ذكرها عند العماد الكاتب في **الفتح القسي في الفتح القدسي** (القاهرة ، ١٣٢١) ص ١٣٨ — ١٣٩ .

(٣٨) **المسالك والممالك** ، ص ٤٩ ، **صورة الارض**، ص ص ١٨٥ **الاعلاق الخطيرة** ، ج٢ قسم٢ ص ٥٥ ، ٥٦، **EI(2), I, p. 1093** « والرستاق » السواد والقرى ، معرب رستا .

بهذه المناطق كثيرا حسب الظروف السياسية للمنطقة كلها (٣٩) ، لكنها كانت دائما من المراكز الرئيسية لتجمع القبائل خاصة في فصلي الربيع والخريف . ومن مدن حوران المشهورة بصرى وصرخد « صلخد » واذرعات « درعا » وزرع « اذرع » (٤٠) . ويقع الازرق الى الجنوب من صرخد والى الشرق من عمان . وهو الماء الغزير الوحيد في البادية في نظر المقدسي حتى انه عده نهرا (٤١) ، وقد بنى الملك المعظم عيسى الايوبي عليه قلعة (٤٢) للمحافظة على طريق الحاج الشامي (٤٣) .

ومن ضواحي مدينة دمشق الشرقية وحتى نصل الى بلدة بالس على نهر الفرات نجد عددا من المدن الواقعة على طرف البرية والتي اصبحت زمن المماليك اقطاعات لامراء العربان . وهذه المدن هي سلمية ومعرة النعمان وسرمين (٤٤) . اما بالس فقد كان لها اهمية خاصة لانها كانت تعتبر الحد الفاصل بين الجزيرة الفراتية والشام ، ومركزا لالتقاء طرق القوافل التجارية القادمة من العراق والجزيرة الى الشام . واذا كانت المدن الثلاثة الاولى قد اشتهرت بخصبها وكثرة زراعاتها وبساتينها ، فان شهرة بالس ترجع الى كونها مركزا تجاريا وصناعيا . وقد مر على هذه المدن جميعا الكثير من التقلبات من عمار وخراب وازدهار وبوار تبعا للظروف السياسية المتغيرة التي تعاقبت على شمالي بلاد الشام والجزيرة الفراتية (٤٥) .

(٣٩) ارجع الى مصادر حاشية (٣٨) و **معجم البلدان** ، ج١ : ٣٣٨ ، **احسن التقاسيم** ، ص ١٦٠ ، **تقويم البلدان** ، ص ٢٥٣ ، القلقشندي ، **صبح الاعشى في صناعة الانشاء** (القاهرة ، ١٩١٣ — ١٩) ج٤ ص ١٠٥ ، ابن فضل الله العمري ، **مسالك الابصار** ، ج ٣ : ٧٣ ، القزويني ، **اثار البلاد** ، ص ١٨٥ ، **EI(2), I, pp. 12275f.**

(٤٠) ارجع الى مصادر الحاشيتين ٣٨ ، ٣٩ .

(٤١) **احسن التقاسيم** ، ص ٢٤٨ .

(٤٢) **بسط الارض** ، ص ٨٦ .

(٤٣) **بسط الارض** ، ص ٨٦ ، **معجم البلدان** ، ج١ ص ١٦٨ ، **تقويم البلدان** ، ص ٢٢٩ حاشية ١ نقلا عن ابن سعيد المغربي .

(٤٤) لم تكن سرمين على طرف البادية كسلمية لكنها كانت من اقطاع آل فضل .

(٤٥) انظر عن سلمية ومعرة النعمان وسرمين وبالس وما طرأ عليها من تطورات : **المسالك والممالك** ، ص ٤٦ ، **صورة الارض** ، ص ٨٠ ، ١٧٨ ، **معجم ما استعجم** ج٣ ص ٧٥١ ، **احسن التقاسيم** ، ص ١٥٥ ، ناصر خسرو ، **سفرنامه** (القاهرة ، ١٩٤٩) ص١١ ، **بسط الارض** ، ص ص ٨٦ — ٨٨ ، **معجم البلدان** ، ج١ ص ٣٢٨ — ٣٢٩ ، ج٣ ص ٢١٥ — ٢٤٠ ، ج٤ ص ١٥٦ ، ابن العديم ، **كتاب في تاريخ حلب** (خط) ج١ الاوراق ٩٤ ، ٢٨٥ — ٢٩٠ ، **الاعلاق الخطيرة** (خط) ج١ ورقة ١٢٥ ، **نخبة الدهر** ص ٢٠٢ — ٢٠٧ ، **تقويم البلدان** ، صص ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ابن فضل الله العمري ، **التعريف بالمصطلح الشريف** (القاهرة ، ١٣١٢ هـ) ص ١٧٩ ، **صبح الاعشى** ، ج٤ ص ١١٤ — ١٢٦ ، ، ١٤٢ ، **زبدة كشف الممالك** ، ص ٤٩ — ٥٠ . EI(2), I, pp. 995-996, EI(2), IV, pp. 90-93 ، **مجلة كلية الاداب** (بغداد ، ١٩٦٢) ، ص ٨٥ من القسم الانجليزي .

٣ ــ تدمر وما حولهـا من البلاد

تقل الحواضر كلما ابتعدنا عن خط الحدود ــ الذي وصف في السابق ــ وتوغلنا في البادية . وتتركز هذه البلدان والقرى حول الينابيع والآبار والبرك التي كان يجمع فيها مياه الامطار . ولا نجد في مثلث البادية الذي رأسه القريتين وقاعدته الفرات الممتد بين بالس (٤٦) والرحبة (٤٧) سوى عدد قليل من المراكز تتجمع في الجزء الجنوبي منه . واشهر هذه المراكز تدمر ، المركز التجاري الهام في وسط القسم الشمالي من البادية . ويحيط بتدمر من جهة الشمال وجهة الجنوب بلدان اخرى اقل شأنا منها مثل السخنة وأرك وعرض . ويتوفر الماء في هذه المراكز جميعا ، وان كانت مياه كبريتية . وادى ذلك الى شهرتها بكثرة البساتين والمزروعات . وكانت هذه المنطقة من مواطن القبائل العربية منذ فترة ما قبل الاسلام (٤٨) وحتى زمن المماليك ، كما اصبحت تدمر منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) جزءا من اقطاعات امراء القبائل من آل فضل من ربيعة طيء .

واما مدينة الرحبة على الفرات فانه لم يكن لها اهمية تذكر في الفترات السابقة لحكم المماليك رغم كثرة من سيطر عليها من الدول . لكنها اصبحت ذات شأن زمن المماليك لانها اصبحت من الثغور الاسلامية (المملوكية) الرئيسية التي اقيمت لمواجهة التتار ، فقد انشأوا فيها قلعة وجعلوها نيابة وشحنوها بالمماليك من « الجند والخيالة والكشافة ومختلف طوائف المستخدمين » (٤٩) ، ليكونوا عيونا تراقب حركات اعداء السلاطين على حدود البلاد .

ويجدر بنا اخيرا ان نذكر الوديان المنتشرة على طرف البادية الشرقي والتي تنحدر نحو الفرات ، ووادي السرحان الذي تصب فيه وديان فرعية من الجانبين . فقد كانت هذه الوديان من مراكز تجمع القبائل المشهورة ، خاصة في فصل الشتاء . ففي هذا

---

(٤٦) بلدة مسكنة الحالية .

(٤٧) كانت تقع الى الجنوب الشرقي من مدينة دير الزور الحالية .

(٤٨) عن تدمر واهميتها انظر : **احسن التقاسيم** ، ص ١٥٦ ، **بسط الارض** ، ص ٨٨ ــ ٨٩ ، **معجم البلدان** ، ج٢ ص ١٧ ، **تقديم البلدان** ، ص ٨٩، آثار البلاد ، ص ١٦٩ ، **رحلة ابن بطوطة** ، ص ٦٥٠ ابن فضل الله العمري ، **مسالك الابصار** (مخطوطة أيا صوفيا) ج٣ ورقة ١٧٣ ب ، **صبح الاعشى** ، ج٤ ص ١١٤ ، ابن الشحنة ، **الدر المنتخب فيتاريخ مملكة حلب** (بيروت ، ١٩٠٩) ص ٢٥٧ ، وعن السخنة وأرك وعرض انظر : **معجم البلدان** ، ج١ ص ١٥٣ ، ج٣ ص ١٩٦ ، ج٤ ص ١٠٣ ، **نخبة الدهر** ،ص ٢٠٢، **رحلة ابن تطوطة**، ص ٦٥٠.

(٤٩) **التعريف** ، ص ١٨٠ . ايضا : **صبح الاعشى** ، ج٤ ص ١١٥ ، **زبدة كشف المماليك** ، ص ٥٠ .

الفصل كانت تترك القبائل مراكزها الصيفية الى هذه المناطق حيث يتوفر الدفء لهما والمرعى لمواشيها (٥٠) .

استقر عدد من القبائل العربية ، منذ فترة ما قبل الاسلام ، في بادية العرب الشمالية . وقد انتقلت هذه القبائل تدريجيا من الجزيرة العربية الى اطراف العراق والجزيرة الفراتية والشام . وتعددت الاسباب التي كانت تدفع القبائل او بطون منها الى ترك مواطنها والانتقال الى مواطن جديدة . ولعل من اهم الاسباب هو النزاع المستمر بين القبائل المختلفة وحتى بين فروع القبيلة الواحدة ، اذ ان ذلك كان يؤدي الى انتقال القبيلة او الفرع المغلوب على امره واللجوء الى قبيلة من القبائل والتحالف معها (٥١) او طرد قبيلة اضعف منها عن مواطنها والاستيلاء عليها .

وقد كانت حركة القبائل داخل الجزيرة العربية وخارجها ، حركة مستمرة ، بطيئة احيانا سريعة احيانا اخرى ، حسب الظروف التي اثرت فيها . وسنرى في القسم التالي من هذا الفصل كيف كان توزيع القبائل العربية وحركتها في بادية العرب الشمالية من الفترة السابقة لظهور الاسلام مباشرة وحتى القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) .

وكانت مواطن القبائل العربية ، في القرن السابق لظهور الاسلام مباشرة ، موزعة على الشكل التالي : (٥٢)

---

(٥٠) ارجع الى الخارطة رقم ١ .

(٥١) من امثلة ذلك ما حصل لفرع جديلة من طيء بعد « حرب الفساد » التي كانت بينها وبين الغوث من طيء ايضا ، فقد لحقت بعد هزيمتها بكلب واقامت عندهم . ابو الفرج الاصفهاني ، **الاغاني** (بيروت ، ١٩٥٨) ، ج ٢٣ صص ٩ — ١٠ ، ابن الاثير، **الكامل في التاريخ** (ط. بيروت ، ١٩٦٥ — ١٩٦٧) ، ج١ ، صص ٦٣٥ — ٦٣٦ . وانتقل قسم منها الى منطقة حلب واستقروا في « حاضر قنسرين » الذي عرف فيما بعد « بحاضر طيء » . البلاذري ، **فتوح البلدان** ، ص ١٩٧ — ١٩٨ ، المسعودي ، **التنبية والاشراف** (ليدن ، ١٨٩٣) ص ٢٠٨ ، **كتاب في تاريخ حلب** ، ج١ ورقة ٩٣ .

(٥٢) استند في تحديد مواطن القبائل هنا بالمصادر التالية : **معجم ما استعجم** ، ج١ صص ١ — ٩٠ ، **العبر** ج٢ صص ٤٩٤ — ٦٩٩ ، احسان النص ، **العصبية القبلية في الشعر الاموي** (بيروت ، ١٩٦٧) صص ١٣٠ — ١٣٤ ، والمقالات المتعلقة بالقبائل في **دائرة المعارف الاسلامية** (بالانجليزية ، الطبعتان الاولى والثانية) ، والخرائط التالية : خارطة لتوزيع القبائل في
The Historical Atlas of Islamic Peoples, p. 2
والخرائط في كتاب رابين **Ancient West - Arabian** (London, 1951)
والخارطة ضمن المقال عن « البدو » في **دائرة المعارف الاسلامية** (بالانجليزية ، الطبعة الثانية) ج١ ص ٨٩١ .

ففي منطقة نجد الشمالي كانت تسكن قبائل : طيء في منطقة الجبلين اجأ وسلمى وما حولهما ، واسد الى الجنوب والشرق من طيء على جانبي طريق الحاج العراقي .

والى الشرق من منازل اسد كانت مواطن قبيلة تميم في اليمامة ، ثم عبد قيس في البحرين وساحل خليج البصرة .

اما القبائل التي كانت تسكن الى الغرب من جبلي طيء وفي شمالي الحجاز فقد كانت بلي ، وجذام ، ولخم التي كان يمتد نفوذها شمالا الى جنوبي فلسطين والاردن .

وفي المنطقة الواقعة بين البصرة جنوبا وبالس شمالا كانت تقطن قبائل : بكر ، والنمر ، وتغلب في الجزيرة الفراتية (٥٣) .

واما بقية مناطق البادية فقد سكنتها سليح وبهراء في اجزائها الشمالية وكلب التي سيطرت على الاجزاء الداخلية ، والوسطى والجنوبية ، ولم يخالطها فيها من القبائل المشهورة الا اياد (٥٤) .

كان هذا هو التوزيع التقريبي لاشهر القبائل ومواطنها عندما جاء الاسلام وبدأت حركة التوسع باتجاه العراق وبلاد الشام والشمال الافريقي والتي تعرف بالفتوحات العربية الاسلامية .

ولم تكن حركة القبائل العربية التي رافقت الفتوحات شبيهة بالهجرات التي تمت في السابق . ذلك ان دوافع هذه الحركة كانت تختلف عن اسباب تلك الهجرات . ومع ذلك فقد اعطت الفتوحات مجالا لحدوث تغير في مواطن القبائل على اطراف البادية . فقد تركت القبائل (او بطون منها) التي اشتركت في الفتوحات مواطنها واستقرت في المناطق التي فتحتها ، في الاجناد في بلاد الشام والامصار في المناطق الاخرى . وادى هذا الانتقال لبعض بطون القبائل الى استيلاء القبائل التي بقيت في مواطنها على المنازل التي تركها اهلها . وغالبا ما كانت تستولي القبائل المجاورة على المنازل المهجورة وتجعلها من مناطق نفوذها (٥٥) . ولكن هذا التغير في مواطن القبائل لم يؤثر كثيرا

---

(٥٣) كانت مواطن اغلب هذه القبائل متركزة على الجانب الغربي للفرات . وقد كانت تنوخ تسكن قرب الفرات ثم رحلت الى الحيرة ، ثم الى الشام . **معجم ما استعجم** ، ج١ ص ٢٧ .

(٥٤) ارجع الى الخارطة رقم ٢ .

(٥٥) استمر هذا الاتجاه فيما بعد . انظر **العبر** ، ج٢ ص ٦٦٢ — ٦٣ ، ٦٣٥ ، بالنسبة لاسد وغطفان واستيلاء طيء وغيرها من القبائل على منازلها .

على توزيعها وانما ساعد في دفع افواج جديدة انضمت الى القبائل السابقة . وغالبا ما كانت هذه الافواج تنتمي الى نفس اصل القبيلة او القبائل التي التحقت بها .

تم فتح الشام من قبل جيوش خرجت من الجزيرة العربية ، اما فتح العراق فقد بدأ من قبل بعض بطون القبائل العربية التي كانت تسكن هناك . ثم اخذ الخلفاء بتزويد جيوش الشام والعراق بالامدادات . وهنالك ظاهرة تسترعي الانتباه بالنسبة لهذه الامدادات الاولى وهي : ان من كان منها من القبائل العدنانية او القبائل اليمانية كان يميل الى الذهاب الى بلاد الشام مع حاجة جبهة العراق الى هذه الامدادات (٥٦) . وكان سياسة عمر بن الخطاب — في البداية — في ارسال الامدادات ، ان ترسل بحيث « يصير كل قوم مع من احبوا » (٥٧) ، لكن هذه السياسة ادت الى اختلال التوازن في تزويد الجيوش العراقية والشامية بما كانت تحتاج اليه من الجند (٥٨) ، كما ادت الى تركز غالبية القبائل القضاعية واليمانية في الشام ، والقبائل العدنانية في العراق والجزيرة الفراتية (٥٩) .

واستقر من اشترك من القبائل في الفتوحات في الامصار والاجناد التي انشئت . واقتضى التنظيم الاداري الذي وضع زمن عمر بن الخطاب بقاء كل اهل مصر او جند في منطقته حتى يتمكن من ترتيب العطاء في الدواوين ، ولكي يصبح اهل الامصار جنودا متفرغين للجهاد مستعدين للمشاركة في الحرب كلما دعت الحاجة الى ذلك (٦٠) . واستمر هذا الوضع زمن الخلفاء الراشدين وعصر الامويين وفترة من العصر العباسي، ولم يستجد فيه شيء الا في حالات الانتقال الفردية وبعض حالات الانتقال الجماعية . ففي حالات الانتقال الفردية كان يشطب الفرد من ديوان مصره او جنده السابق ليسجل في ديوان المكان الذي انتقل اليه . اما حالات انتقال الجماعات فقد كانت تؤدي احيانا

---

(٥٦) ارجع الى الطبري ، **تاريخ الرسل والملوك** (ليدن ١٨٧٩ — ١٩٠١) ١ : ٢١٨٦ — ٢١٨٩ ، ٢٢١٨ — ٢٢٢٢ ، النص ، **العصبية القبلية** ، ص ٢٣٥ .

(٥٧) الطبري ، **تاريخ الرسل والملوك** ، ١ : ٢١٠٨ .

(٥٨) يبدو ان القبائل اليمنية التي كانت مستعدة للمشاركة في الامدادات كانت اكثر من القبائل العدنانية . فقد واجه عمر بن الخطاب مشكلة تمثلت في تزويد جيش العراق بما كان يحتاج اليه من امدادات . فقد كان معظم من تقدم اليه من اهل اليمن ، وكانوا جميعا يرغبون في الذهاب الى الشام « فان اسلافنا بها » ، وحل عمر المشكلة بأن قسم الامدادات نصفين : نصف يذهب الى العراق ، والنصف الاخر الى الشام . الطبري ، **المصدر ذاته** ، ١ : ٢١٨٦ ، ٢٢١٨ .

(٥٩) ذلك لا يمنع وجود عناصر يمانية في العراق وعناصر عدنانية في الشام ، وانما كان ذلك هو الاتجاه العام.

(٦٠) صالح العلي ، **التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية في القرن الاول الهجري** (بغداد ، ١٩٥٣) ص ١٤٢.

الى استحداث اجناد جديدة ، كما فعل معاوية بن ابي سفيان الذي استحدث جند قنسرين لاهل العراق من انصاره الذين شاركوا في حرب صفين ، وكما فعل هارون الرشيد الذي استحدث جند العواصم حتى يكون الجند فيه بشكل دائم بدلا من خروجه من الامصار والاجناد كلما دعت الحاجة الى ذلك (٦١) .

ولا يهمنا هنا أمر القبائل التي استقرت في الاجناد والامصار ، وانما امر اهل البادية منها . وقد كان وضع هذه القبائل ، خلال القرون الثلاثة الاولى من الاسلام ، يختلف عن وضع اهل الامصار . فعدم استقرار اهل البادية ادى الى حرمانهم من العطاء الدائم (٦٢) ، وبالتالي لم يكن لهم سجل في الدواوين (٦٣) . اما من كان ينتقل منهم من البادية الى مراكز الامصار والاجناد ، فانه كان يخرج عن حكم اهل البادية ، ويصبح كغيره من اهل هذه المراكز من حيث الحقوق والواجبات .

واستقرت اوضاع القبائل خلال القرنين الاول والثاني الهجريين على هذه الحال رغم كثرة الفتن التي شهدها عصر الامويين والعصر العباسي الاول . ولم يحدث تبدل جذري في مواطنها حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . فقد كان لا بد من مرور فترة من الزمن قبل قيام حركة هجرة جديدة (٦٤) . ففي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بدأت حركة من نجد باتجاه الشمال الشرقي ، فخرجت قبيلة اسد نحو العراق ، واستولت طيء على المواطن التي تركتها. وحوالي نهاية القرن الثالث الهجري بدأتحركة القرامطة بالاتجاه نحو العراق والشام. وبسبب هذه الحركة خرجت عقيل الى الجزيرة الفراتية وكلاب الى منطقة حلب ، وطيء الى الاطراف الجنوبية من بلاد الشام (٦٥) . وتمكنت هذه القبائل من تأسيس امارات خاصة بها : فقامت امارة بني اسد في الحلة وغربي الفرات ، وامارة عقيل في الجزيرة الفراتية (الموصل) مكان الامارة الحمدانية ، وامارة طيء في فلسطين والاردن . كما قامت اماراتاخرى في بقية بلادالشام والبادية،كأمارة كلب فيمنطقة دمشق وامارة كلاب

(٦١) **نخبة الدهر** ، ص ١٩٢ ، ٢١٤ ، Le Strange, **Palestine Under the Muslims**, pp. 25-26.

(٦٢) صالح العلي ، **التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية**، ص ٣١ — ٣٥ . وقد كان اهل البادية يأخذون حصتهم من الغنائم في حالة اشتراكهم في الحرب . **نفس المصدر** ، ص ٣٢ .

(٦٣) الشيباني ، **شرح كتاب السير الكبير** (القاهرة ، ١٩٥٧) ج1 ، ص ٩٤ — ٩٥ ، صالح العلي ، **التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية** ، ص ٢٨٥ — ٢٨٦ عن **كتاب الجامع الكبير للشيباني** ، ص ٢٠٧ — ٢٠٩ .

(٦٤) W. Caskel, "Al-'Arab", in EI(2), p. 528.

(٦٥) W. Caskel, "Al-'Arab", in EI(2), II, p. 528.

في حلب وما حولها (٦٦) . ولكن نفوذ هذه الامارات لم يدم طويلا ، فقد اختفى معظمها خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر الميلادي) نتيجة للغزو السلجوقي الذي تمكن من القضاء عليها والاستيلاء على معظم المناطق التي كانت تابعة لها (٦٧) .

واصبح توزيع القبائل العربية ومناطق نفوذها في العراق والشام والبادية نتيجة للحركة الجديدة كالتالي : (٦٨)

كانت تسكن بادية البصرة عدة احياء وقبائل ، لكن اغلبها كان من تميم التي كان يمتد نفوذها الى البحرين واليمامة حيث تتصل بعبد قيس (٦٩) . وكان بنو اسد يحتلون المناطق الواقعة الى الشمال من البصرة وحتى حدود الجزيرة الفراتية (٧٠) ، واغلبهم « اهل وبر » (٧١) . اما منطقة الجزيرة الفراتية فقد كان فيها من قبائل ربيعة ومضر ، تغلب واياد ونمير وعقيل وكلاب وهم اهل « مدر ووبر » (٧٢) . وفي بادية الجزيرة كانت تسكن احياء من ربيعة واليمن واكثرهم من كلب (٧٣) .

وقد تعددت القبائل التي كانت تسكن بلاد الشام وباديتها في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وبعض هذه القبائل كان اهل « مدر » وبعضها الاخر اهل « مدر ووبر » (٧٤) . فقد كان يسكن بادية السماوة — من دومة الجندل الى عين التمر —

---

(٦٦) F. Krenkow, "Kilab" in EI(1), II, 1005.

(٦٧) لم يبق من هذه الامارات بعد الاحتلال السلجوقي سوى امارة اسد التي استمرت حتى منتصف القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . اما امارة طيء في جنوبي فلسطين والاردن فقد خضعت معظم المناطق التي كانت تابعة لها للصليبيين ، وما تبقى كان تحت النفوذ الفاطمي .

(٦٨) اعتمد في هذا التوزيع الجديد على مصادر من النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ككتاب **البلدان** لليعقوبي، والنصف الاول من القرن الرابع الهجري ككتاب **صفة جزيرة العرب** للهمداني .

(٦٩) **صورة الارض** ، ص ٣٤ ، **المسالك والممالك** ، ص ٢٥ .

(٧٠) **صورةا لارض** ، ص ٢٢ . وكان يجاورهم بنو خفاجه في منطقة عين التمر .

(٧١) ابن العديم ، **كتاب في تاريخ حلب** ، ج٣ ورقة ٢٤١ . وكان في الحيرة نصارى من سليم وتميم وطيء ، اليعقوبي ، **كتاب البلدان** (ليدن ، ١٨٩١) ص ٣٠٩ . و « اهل الوبر » سكان بيوت الشعر .

(٧٢) ابن العديم ، **كتاب في تاريخ حلب** ، ج٣ الاوراق ٢٤٥أ — ٢٥٤ب ، **المسالك والممالك** ، ص ٥٤ ، **صورة الارض** ، ص‌ص ٢٢٧ — ٢٢٨ ، الهمداني **صفة جزيرة العرب** (القاهرة ، ١٩٥٣) ص ١٣٢ — ١٣٣ .

(٧٣) **صورة الارض** ، ص ٣٤ ، **المسالك والممالك** ، ٢٥ .

(٧٤) ابن العديم ، **كتاب في تاريخ حلب** ، ج٣ الاوراق ٢٤٥ ب — ٢٥٤ ب ، **المسالك والممالك** ، ص ٢٥ .

قبيلة كلب ، وفي بادية الشام قبائل فزارة ولخم وجذام وطيء ، وقبائل مختلطة من ربيعة ومضر ، واغلبها من اليمن (٧٥) . هذا في البادية ، اما المدن التي كانت واقعة على سيف البادية فقد استقر فيها او حولها الكثير من بطون القبائل ، فمن القبائل التي استقرت في منطقة حلب ، اسد وكنانة وطيء وضبة وعبس وكلاب وسليح (٧٦) . وكانت غالبية اهل حماة وحمص من اهل اليمن من بهراء وتنوخ وكلب وعذرة وكندة (٧٧) . امـــا منطقة دمشق فقد كان اهلها من قيس واليمن وربيعة . فمدينة دمشق كان يغلب على اهلها اليمنية ، وبها من قيس وبني امية (٧٨) ، اما الغوطة ففيها كلب وغسان وقيس وربيعة . وفي حوران، اسد وقيس من بني مرة ، ما عدا السويداء التي كان بها قوم من كلب . وفي البثنية واذرعات والبلقاء ، من اليمن ومن قيس وقليل من قريش . وفي كورة الجبال ومآب والشراه ، غسان وبلقين وموالي بني هاشم واخلاط من الناس . وفي الجولان ، قيس ومرة وبعض اهل اليمن (٧٩) . وكان يسكن جند فلسطين اخلاط من العرب والعجم ومن لخم وجذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة (٨٠) .

اما القبائل التي كانت تسكن على طريق الحجاج العراقي وبعضا من هضبة نجـد وشمالي الحجاز حتى حدود الشراة فقد كانت كثيرة ، واشهرها من الكوفة باتجاه نجد وشمالي الحجاز ما يلي : بنو اسد حتى البطان من محطات الطريق (٨١) ، وطيء التي كانت مواطنها من وادي القرى في الحجاز حتى اطراف اليمامة والبحرين (٨٢) ، ثم عبس من قيس (٨٣) ، ثم بني سليم (٨٤) . والى الشمال الغربي من سليم كانت تقطن بعض

---

(٧٥) **صورة الارض** ، ص ٣٥ ، **المسالك والممالك** ، صص ٢٥ — ٢٦ ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١٢٩ — ١٣٢ .

(٧٦) ابن العديم ، **كتاب في تاريخ حلب** ، ج٣ الاوراق ٢٣٥ ب — ٢٤٤ ب ، ٢٢٥ .

(٧٧) **البلدان** ، ص ٣٢٤ ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١٣٢ ، ابن العديم ، **كتاب في تاريخ حلب** ، ج٣ ورقـــة ٢٥٦ أ .

(٧٨) **البلدان** ، ص ٣٢٦ .

(٧٩) **المصدر ذاته** ، ص ٣٢٦ — ٢٧.

(٨٠) **البلدان** ، ص ٣٢٩ ، **صفة جزيرة العرب** ، ١٢٩ — ١٣٠ .

(٨١) **البلدان** ، ص ٣١٢ ، **صورة الارض** ، ص ٣٤ ، **المسالك والممالك** ، ص ٢٥ ، **صفة جزيـرة العرب** ، ص ١٣١ .

(٨٢) **ذات المصادر** والصفحات في الحاشية ٨١ .

(٨٣) **البلدان** ، ص ٣١٢ .

(٨٤) **صورة الارض** ، ص ٣٤ ، **المسالك والممالك** ، ص ٢٥ ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١٣١ .

بطون طـــيء (٨٥) ، ثم جذام التـــي امتدت منازلهـــا الى مدين وايلـــة ومعان واذرح والشراه (٨٦) .

ومن وقت استيلاء السلاجقة على العراق والجزيرة وبلاد الشام في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) تقل اخبار القبائل العربية في هذه المناطق . وكل ما نجده يكاد ينحصر في اخبار آل مزيد من بني اسد في العراق ، وآل ربيعة من بني طيء في الشام . اما ما عدا ذلك ، فان اخبار القبائل ، ان وجدت ، لا تتعدى الاشارة الى « الاعراب » او « العربان » الذين كانوا يشاركون جيوش السلاجقة والزنكيين والايوبيين في حروبهم الداخلية وحملاتهم ضد الصليبيين ، او لانهم كانـــوا يعتدون على طرق الحجاج والقوافل التجارية (٨٧) .

وفي بداية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) بدأ ذكر القبائل العربية بالظهور في اخبار الحوادث من جديد ، بشكل بارز ، كما تدل على ذلك المصـــــادر المعاصرة . ويبدو ان ذلك كان نتيجة لتزايد اهميتهم في احداث هذه الفترة . وفي ذلـــك الوقت بدأت المحاولات الاولى لتنظيم القبائل العربية وتحديد دورها الذي يمكن ان تلعبه في حياة البلاد ، وذلك باستحداث « امرة العرب » الرسمية (٨٨) . ويبدو ان هـــــذه المحاولات الاولية كانت تهدف الى ربط القبائل بالجهاز الاداري للدولة من ناحية ، ومنعها من القيام بالاعتداء على طرق القوافل والحجاج من ناحية اخرى . وذلك بتعويضهـــــا عن ما كانت تكسبه بالنهب والسلب بالاقطاعات والهبات والهدايا (٨٩) . وتبعت هـــذه التنظيمات محاولات اخرى كانت اوسع نطاقا ، تلك التي قام بها السلطان الظاهـــر بيبرس (١٢٦٠م — ١٢٧٧م) في بداية فترة المماليك البحرية . فقد اقر امرة العـــرب

---

(٨٥) بنو صخر وبنو عمر وبطن من بحتر . **صفة جزيرةالعرب** ، ص ١٣١ — ٣٢ .

(٨٦) **صورة الارض** ، ص ٣٤ ، **المسالك والممالك** ، ص٢٥ ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١٣٠ . ارجع الـــى الخارطة رقم ٣ .

(٨٧) انظر مثلا : ابن الاثير ، **الكامل في التاريخ** (طذ بيروت ، ١٩٦٥ — ١٩٦٧) ج١٠ ، حيث تتردد كثيرا اخبار أسد وطيء ، والعرب في الحروب ، واعتداءاتهم على طرق الحجاج .

(٨٨) كانت امرة العرب ، شبه الرسمية ، لبني كلاب. واستمرت حتى اصبحت رسمية لطيء . ابن العديم ، **كتاب في تاريخ حلب** ، ج٣ الورقة ٢٤٧ أ . وللتفاصيل ارجع الى الفصل الثالث .

(٨٩) من الاشارات الاولى التي ترد عن اقطاعات امراء العرب لمنعهم من التعرض لقوافل الحجاج ، تلك التي ترد عن نور الدين محمود زنكي . ابن قاضـــي شهبة ، **الجوهر الثمين في سيرة نور الدين** (ميكروفيلـــم في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم .Arabic-19) ص ٠٩.

على جميع القبائل في بلاد الشام والبادية لآل فضل وآل مرا من بني ربيعة طيء ، كما عين الامراء على جميع القبائل التي كانت تدخل في طاعة الدولة المملوكية واقطعهم الاقطاعات وعين لهم المهام التي يجب عليهم القيام بها من مراقبة للحدود ومحافظة على طرق المواصلات الى تزويد اسطبلات السلطان بما تحتاج اليه من خيول وجمال .

وارتبطت هذه التنظيمات الجديدة بالنفوذ الذي كانت تتمتع به القبائل . كما ان نفوذ القبائل كان له علاقة بالاماكن التي كانت تسكنها او تخضع لسيطرتها . وقد تغيرت مناطق سكنى ونفوذ القبائل عما كانت عليه في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، واصبح لدينا في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) صورة جديدة لمنازل العرب في البادية . ولم تكن حركة القبائل خلال هذه الفترة على شكل هجرات من الجزيرة العربية الى العراق والشام ، كما كان الامر في السابق ، وانما ارتبطت بتقلص نفوذ بعض القبائل واتساع المناطق التي اصبحت تسيطر عليها فروع قبائل اخرى ، وباندماج بعض القبائل التي كانت تسكن على اطراف البادية تدريجيا في حواضر المناطق المجاورة واريافها ، وانتقالها من حياة التنقل الى حياة الاستقرار لتحل مكانها بطون قبائل اخرى (٩٠) . وقد قدم ابن فضل الله العمري صورة دقيقة ومعاصرة لمناطق سكنى ولنفوذ القبائل خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) . ويبدو من هذه الصورة ان فروع قبيلة طيء كانت صاحبة النفوذ على جميع بادية العرب الشمالية ، وان ما كان للقبائل الاخرى من مواطن كان مجرد مناطق محدودة موزعة ضمن ديارها (٩١) .

فقد كانت منطقة نفوذ آل فضل بن ربيعة من « حمص الى قلعة جعبر ، آخذين على شقة الفرات واطراف العراق حتى ينتهي حدهم قبلة بشرق الى الوشم في نجد وآخذين يسارا الى البصرة » (٩٢) . ومنطقة آل علي بن حديثة من ربيعة ايضا كانت تشمل مرج دمشق وغوطتها « ومنتهاهم الى الجوف والجنانية الى الشبكة الى تيماء ...» (٩٣). اما آل مرا فقد كانت ديارهم من بلاد « الجولان الى الزرقاء والضليل

---

(٩٠) **العبر** ، ج٢ ص ٦٢٠ — ٦٤٨ ، ٥٣٠ ، **مسالك الابصار** ، (خط ، طبقبوسراي) ج٣ ص ٥٥ — ٥٦ ، حيث لخص بشكل موجز القبائل التي استقرت في ريف بلاد الشام وحواضره وخرجت عن حكم البادية (البدو) .

(٩١) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٨ — ٥٥ .

(٩٢) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٨ .

(٩٣) **المصدر ذاته** ، ص ٤٥ .

الى بصرى ومشرقا الى الحرة المعروفة بحرة كشب قريب مكة . . . » (٩٤) ثم شرقا حتى حدود ديار آل علي . هذا بالاضافة الى ديار فروع طيء الاخرى مثل غزية المتفرقــة فروعها بالشام والحجاز والعراق وفيما بين الحجاز والعراق ، وشمر ولام في منطقــة الجبلين أجأ وسلمى ، وجرم في بلاد غزة والدأروم (٩٥) x .

بعد هذا الوصف الموجز لطبيعة الارض وحركة السكان في بادية العرب الشمالية سأحاول في الفصل التالي البحث في اصل الامارة الطائية التي بدأت تتكون اثناء حركة القبائل التي تمت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) .

---

(٩٤) **المصدر ذاته** ، ص ٤٦ .

(٩٥) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٥١ — ٥٢ ، ٥٤ ، ٢٣ ، **العبر** ، ج٢ ص ٥٣٠ ، ٦٣٠ — ٦٣١ .

X ارجع الى الخارطة رقم ٤ .

الفصل الثاني

جـــذور الامــــــارة الطائيـــة

لا بد ، قبل البحث عن أصول الامارة الطائية الاولى ، من اعطاء فكرة عامة عن الاوضاع السياسية للعالم الاسلامي ، خاصة العراق والجزيرة الفراتية وبلاد الشام ، خلال الفترة التي سبقت قيام هذه الامارة ، ليتمكن الباحث من وضعها في الاطار المناسب لها ، وحتى نستطيع معرفة الدور الذي لعبته في احداث المنطقة التي امتد اليها نفوذها .

فمن بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وحتى قبل ذلك ، ساد الانقسام العالم الاسلامي ، وتعددت الدويلات التي نشأت فيه او تغلبت على اجزاء منه . وقد كانت هذه الدويلات تتمتع باستقلال ذاتي كبير مع انها كانت تعترف بالسلطة الاسمية للخلافة العباسية عليها ، وتعلن خضوعها لهذه الخلافة بالخطبة للخلفاء والتقيد بشعائر الولاء الاخرى ، وربما كان ذلك لاكساب سلطتها شرعية في نظر عامة الناس . وقد رسم احد المؤرخين (١) صورة دقيقة لاوضاع الخلافة العباسية والدويلات التي تكونت داخلها ، ضمن ذكره لاحداث سنة ٣٢٤/٩٣٥م عندما قال :

« وصارت الدنيا في ايدي المتغلبين ، وصاروا ملوك الطوائف ، وكل من حصل في يده بلد ملكه ومنع ماله ... فصارت واسط والبصرة والاهواز في يد البريديين ، وفارس والري والجبل في يد أبي علي الحسن بن بويه ويد واشمكير يتنازعونها بينهما ، والموصل وديار ربيعة وديار بكر (٢) في ايدي بني حمدان ، ومصر والشام في يد طغج الاخشيد ... واليمامة والبحرين وهجر في يد ابي طاهر بن ابي سعيد الجنابي ... ولم يبق في يد السلطان (الخليفة) وابن مقلة (وزيره) غير السواد والعراق » (٣) .

ولم يطرأ على هذا الوضع أي تحسن خلال الفترة التالية ، بل بالعكس ، ازداد سوءا بظهور قوى جديدة على مسرح الاحداث ، والتي ادى ظهورها الى تغير الخريطة

---

(١) لا يعرف المصدر الاول لهذه الملاحظة الدقيقة ،لكن يبدو ، كما ذكر آدم متز في **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري** (ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، القاهرة ، ١٩٥٧) ج١ ص١ ، ان جميع المصادر اخذت عن مصدر واحد لتشابه الصيغ التي توردها .

(٢) ديار ربيعة وديار بكر اجزاء من منطقة الجزيرة الفراتية .

(٣) مسكويه ، **تجارب الامم** (القاهرة ، ١٩١٤م) ج٥ ص ص ٣٦٦ — ٣٦٧ ، ابن الجوزي ، **المنتظم في تاريخ الامم والملوك** (حيدر اباد الدكن ، ١٩٥٩) ج٦ ص ٢٢٨ . اما المصادر الاخرى التي اوردت هذه الملاحظة فقد ذكرها آدم متز في **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري** ، ج١ ص١ حاشية١ .

السياسية للمناطق التي تحيط ببادية العرب الشمالية (٤) .

ففي سنة ٩٧٠/٣٥٩م استولى الفاطميون على الاقسام الجنوبية من بلاد الشام من الاخشيديين ، ثم بدأ قائدهم على هذه الجبهة — جعفر بن فلاح — بالتقدم نحو دمشق للقضاء على بقية نفوذ الاخشيديين في بلاد الشام ، وعلى من كان يساندهم من القبائل خاصة بنو عقيل اصحاب حوران والبثنية (٥) . وعندما عرف القرامطة بهذا التقدم الفاطمي اسرعوا بالمجيء الى الشام « لان المال الذي كان تقرر على الاخشيدية لهم بسبب الخفارة . . . انقطع لما زالت دولتهم وملك المغاربة » (٦) . وتمكن القرامطة من الاستيلاء على دمشق وما يقع جنوبها من البلاد حتى وصلوا قريبا من القاهرة .

وفي ذات الفترة التي بدأت فيها حركة الفاطميين في بلاد الشام ، بدأ الروم في التحرك باتجاه الثغور الاسلامية ، وتمكنوا من الاستيلاء على عدد منها ، وفرضوا أتاوات على الامراء الذين كانوا يتولون امورها .

ولم تكن هذه القوى الوحيدة التي أثرت في المنطقة ، وغيرت اوضاعها السياسية ، وادت الى سيادة الفوضى فيها ، وانما كان لاستعادة القبائل العربية لقوتها وتغلبها على معظم المناطق الواقعة على اطراف البادية ، وحتى بعض الحواضر ، اثر في هذا التغير وتلك الفوضى . وذلك انه بعد ضعف الخلافة العباسية ، وتسلط العناصر الاجنبية (الاتراك والبويهيون) عليها ، وعدم تمكنها من مواجهة المتغلبين الذين استولوا على اطرافها ، اخذت القبائل العربية بالسيطرة على المناطق القريبة من مراكز تجمعها

---

(٤) من اجل بحث موجز ودقيق لاوضاع العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، ارجع الى :

The Damascus chronicle of the Crusades, London, 1932, pp. 7-32, H. A. R. Gibb, "The Caliphate and the Arab States" in **History of the Crusades** (ed. K. Setton) Vol. I. pp. 81-98.

(٥) الدواداري ، **كنز الدرر وجامع الغرر** : ٦ : **الدرة المضية في اخبار الدولة الفاطمية** (القاهرة ، ١٩٦١) ص ١٢٣ — ١٢٦ ، حيث يبدو انه ينقل عن مصدر معاصر للاحداث . ويبدو ان الاخشيديين قد استعانوا بامراء هذا الفرع من عقيل في حكم منطقة حوران وجند الاردن وجند دمشق .

(٦) **المصدر السابق** ، ص ١٣٢ . ويذكر ان القرامطة « قد استقر امرهم ان يأخذوا الخفائر من سائر الاقاليم ومن خليفة بغداد » ، ص ١٣٢ . واورد ابن القلانسي (عن هلال الصابي) المبلغ الذي كان يدفعه الاخشيديون ، وهو (٣٠٠) الف دينار . **ذيل تاريخ دمشق** (بيروت ، ١٩١٩) ص١ .

وجعلتها جزءاً من مناطق نفوذها . ونشأ نتيجة لذلك عدد من الامارات البدوية على اطراف العراق والجزيرة والشام (٧) .

وقد كانت معظم القبائل التي كانت تسكن منطقة الجزيرة وبلاد الشام والبادية، حتى منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، تخضع لنفوذ الحمدانيين اصحاب الموصل وحلب . فقد كانت قبائل عقيل ونمير وكلاب وكلب وطيء « كالرعايا لبني حمدان يؤدون اليهم الاتاوات وينفرون معهم في الحروب » (٨) . لكن ضعف دولة الحمدانيين ادى الى استقلال بعض هذه القبائل وانشائها امارات خاصة بها . وان نظرة الى المناطق التي تغلبت عليها القبائل لكافية لاعطاء فكرة واضحة عن الاوضاع التي سادت العراق والجزيرة وبلاد الشام وما بينهما من البادية من النصف الثاني للقرن الرابع الهجري وحتى مجيء السلاجقة :

سيطر بنو عامر وبنو خفاجة من عقيل على بادية البصرة ، واصبحوا مصدر قلق دائم للخلافة العباسية والمناطق المجاورة لهم خاصة طريق الحجاج العراقي التي كانت تمر في مناطقهم (٩) .

وانشأ بنو أسد امارة لهم في المنطقة الواقعة ما بين البصرة والكوفة ، الى الشرق والغرب من الفرات . واصبح لهذه الامارة ، برئاسة بني مزيد ، دور بارز في الحياة السياسية للخلافة العباسية زمن البويهيين والسلاجقة (١٠) .

واستولى بنو عقيل على اغلب الجزيرة الفراتية ، وامتد نفوذهم جنوبا حتى الكوفة وشمالا بغرب حتى حدود حلب التي كانت لا تزال بيد الحمدانيين (١١) . ولم ينازع عقيل

---

(٧) يعتبر هـ. جب ، عن حق ، ان استعادة القبائل لقوتها ونشاطها كان من العوامل الرئيسية التي ادت الى الفوضى السياسية في بلاد الشام **History of the Crusades, Vol. I, pp. 82-83.**

(٨) ابن خلدون ، **العبر** (بيروت ، ١٩٥٦ — ١٩٥٩) ج٤ ص ٥٤٥ .

(٩) العبر ، ج٢ ص ٦٤٨، محمد عبد المنعم خفاجي، **بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والادبي** (القاهرة ، ١٩٥٠) ج١ ص ٥٤—٥٥ ، ٦٢—٦٨ ، ٧٤—٧٦ .

(١٠) **المنتظم** ، ج٧ ص ٢٣٢ وما بعدها و **العبر** ، ج٤ ص ٥٩٠ — ٦٢٥ ،
G. Makdisi, "Notes on Hilla and the Mazyadids in Medieval Islam" **Journal of the American Oriental Society,** Vol. 47 (1954), pp. 249- 267.

(١١) **العبر** ، ج٤ ص ٥٤٥ — ٥٦٠ .

(١٢) الفارقي ، **تاريخ ميافارقين** (القاهرة ، ١٩٥٦) ص ٤٩ وما بعدها ، **العبر** ، ج٤ ص ٦٧٤ وما بعدها.

منطقة الجزيرة سوى بني مروان الاكراد الذين اسسوا امارة في ديار بكر (١٢) ، وبنو نمير الذين كان لهم بعض القلاع والحصون في ديار مضر (١٣) .

واما بلاد الشام وباديتها فقد كانت تسيطر عليها القبائل ايضا . فقامت امارة بني كلاب على انقاض الامارة الحمدانية في حلب ، واصبحت هذه القبيلة من اشهر قبائل شمالي بلاد الشام زمن الزنكيين والايوبيين (١٤) . واستعادت كلب بعض النفوذ الذي كان لها في السابق في منطقة دمشق ، لكن ذلك كان لفترة قصيرة من الزمن . وسيطر على القسم الجنوبي من جند فلسطين ومن جند دمشق (الاقسام الجنوبية من فلسطين وشرقي الاردن) قبيلة طيء التي اصبحت ذات شأن كبير في احداث المنطقة بعد ذلك . واصبحت اهميتها تشبه اهمية قبيلة كلب زمن الامويين ، وبني حمدان ايام قوتهم .

في هذه الظروف السياسية نشأت الامارة الطائية التي سأحاول في ما يلي تتبع نموها وعلاقاتها مع القوى المختلفة في المنطقة خلال القرن الاول من وجودها .

الامارة الطائية الاولى (١٥) (٣٦٠هـ/٩٧١م — ٤٣٠هـ/١٠٣٩م)

لعل حركة القرامطة كانت من اهم القوى التي لها علاقة مباشرة بحركة القبائل العربية اثناء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) . فقد شاركت قبائل شرقي الجزيرة ونجد وبادية الشام في حروب القرامطة منذ نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . وكانت مشاركة بعض هذه القبائل نتيجة لاعتناقها مذهب القرامطة مثل بعض بطون كلب ، ووجد البعض الآخر من هذه القبائل من هذه المشاركة مجالا لتحقيق مكاسب مادية . ومن هذا النوع الثاني كانت قبيلة طيء (١٦) ، التي ساهمت مساهمة فعالة في حروب القرامطة خاصة في بداية النصف الثاني من القرن الرابع

---

(١٣) **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٦٥ . وديار مضر جزء من الجزيرة الفراتية .

(١٤) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٧٢ ، **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٤٤ — ٢٤٦ ، ابن العديم ، **زبدة الحلب** ، ج١ ص ٢٢٧ — ٢٣٠ .

(١٥) يقصد بـ « الامارة الطائية » في ما تقدم وما سيلي من هذه الدراسة وحتى قيام الامارة الرسمية ، ما كان لفروع طيء في جنوبي بلاد الشام من نفوذ ، سواء أكان ذلك عن طريق التغلب وموافقة السلطة المركزية في القاهرة او دمشق او التغلب دون موافقة سلطة ما ، وسواء أكان لهذه الامارة مركز احيانا (كالرملة) او بدونه احيانا اخرى . وقد كانت على الاغلب **امارة قبلية بدوية** لم تحض بموافقة سلطة معينة . اما لقب « الامير » في فترة الامارة الاولى فلم يكن له صفة رسمية كما اصبح الامر بعد قيام الامارة الرسمية .

(١٦) لا ترد اشارات في المصادر المعاصرة عن اعتناق طيء او بعضا منها لمذهب القرامطة .

الهجري (العاشر الميلادي) . فقد كان آل الجراح ومن معهم من طيء يشكلون جزءا هاما من جيش القرامطة ، والذي كان عليه اعتمادهم (١٧) .

وهذه المشاركة من جانب طيء هي التي ادت الى قيام الامارة الطائية الاولى (١٨). فعندما استولى القرامطة سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م على الرملة عينوا فيها قائدا منهم ومعه « دغفل بن الجراح الطائي وجماعة من الاخشيدية والكافورية » (١٩) . ومنذ ذلك التاريخ ارتبطت احداث الاقسام الجنوبية من بلاد الشام ، ولمدة تزيد على قرن من الزمان ، بآل الجراح امراء طيء الشام .

وادى قيام الامارة الطائية وتغلبها على معظم بلاد الشام الجنوبية الى قيام علاقات بينها وبين القوى التي كان لها اثر في احداث بلاد الشام خلال القرن التالي : الفاطميون والقبائل العربية الاخرى ــ عقيل وكلب وكلاب ــ والروم .

سيطر آل الجراح على منطقة هامة بالنسبة للدولة الفاطمية . فقد كانت المناطق الجنوبية من فلسطين وشرقي الاردن نقطة الاتصال البري بين ممتلكاتها في افريقيا ، والمناطق التي استولت عليها في آسيا والمناطق التي كانت تطمع الدولة الفاطمية في الاستيلاء عليها . يضاف الى ذلك ان الطرق التجارية وطرق الحجاج المصري والشامي كانت لا بد وان تمر بها . وكان متوقعا والحالة هذه ، ان يكون للدولة الفاطمية سياسة واضحة تجاه طيء وغيرها من القبائل ، لكن يبدو ان الظروف التي رافقت استيلاء الفاطميين على الشام والفوضى المستمرة فيه لم تمكنهم من اتباع منهج واضح في سياستهم . ومع ذلك يمكننا ، عن طريق تتبع العلاقات بين الجانبين ، استنتاج اتجاهين اساسيين كانت تستند اليهما الدولة الفاطمية في تعاملها مع آل الجراح من طيء : الاول هو العمل على الاحتفاظ بولاء (٢٠) هذه القبيلة وصداقتها لتساعد الدولة

---

(١٧) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص٣ ، **الدرة المضية**، ص١٥٩ .

(٢٨) مع ان المصادر تشير الى وجود قبيلة طيء في بلاد الشام الجنوبية قبل هذا الزمن ، الا انه لا علاقة بين هؤلاء وبين آل الجراح الذين قدموا من نجد، ذلك انهم ــ آل الجراح ــ عندما كانوا يهزمون في حروبهم كانوا يعودون الى برية نجد والجبلين . **العبر** ، ج٢ ص ٥٨٨ .

(١٩) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص٢ .

(٢٠) تظهر هذه السياسة واضحة من نص كتاب بعثبه انوشتكين الدزبرى للخليفة الفاطمي الظاهر سنة ٤٢٠هـ ، اذ قال فيه من ضمن شكواه على آل الجراح ، انهم الذين كانت قد « اصطنعتهم » الدولة . **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٧٣ ــ ٧٥ ، حاشية ١ .

الفاطمية في تثبيت سلطتها في الشام وفي حروبها ضد القوى التي كانت تنافسها او تهددها ، خاصة وان طيء كانت تشكل القوة الئيسية غير النظامية في جيش الفاطميين في بلاد الشام (٢١) . والثاني ، والناتج عن عدم تقيد امراء طيء باصول العلاقات بين التابع والمتبوع ، هو عمل الدولة الفاطمية المستمر للقضاء على هذه الامارة القبلية ، او على الاقل منعها من ان تصبح قوة ذات شأن قد تهدد وجود الفاطميين في بلاد الشام (٢٢) .

عرف الفاطميون كيف يجتذبون ولاء امراء طيء في الاوقات الحرجة ، وذلك بالسخاء بالمال والهبات والاقطاعات لامرائهم (٢٣) . والامثلة التي قدمت فيها طيء المساعدة لهم كثيرة . ففي سنة ٣٦٣هـ/٩٧١ — ٩٧٢م تمكن الفاطميون من افساد آل الجراح ومن معهم من طيء على اصحابهم القرامطة ، ليتخلوا عنهم اثناء المعركة مقابل دفع مئة الف دينار لهم ، مما ادى الى هزيمة القرامطة (٢٤) . ومثل ذلك ما عملوه مع الفتكين — والفتكين هو القائد التركي الذي هرب من بغداد (سنة ٦٦٣هـ/٩٧١ — ٩٧٢م) وقدم الى الشام ثم اصبح واليا لدمشق بموافقة اهلها (٢٥) — اذ تخلوا عنه في اثناء حربه مع الفاطميين ثم اسروه وارسلوه الى الخليفة الفاطمي مقابل مبلغ مماثل من المال (٢٦) . واستعين بآل الجراح مرة اخرى لاخراج احياء بني عقيل من الشام ، وادى ذلك الى اصطدامهم مع ابي تغلب بن حمدان (٢٧) الذي كان يطمع في الاستيلاء على دمشق — بمدافقة

(٢١) H. A. R. Gibb, "The Caliphate and the Arab States", **History of the Crusades**, Vol. I, p. 89.

(٢٢) لقد عبر الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس عن هذه السياسة في وصيته للخليفة العزيز بالله بقوله « سالم يا امير المؤمنين الروم ما سالموك ، واقنع من الحمدانية بالسكة والدعوة ، ولا تبق على المفرج بن دغفل بن الجراح متى عرضت لك فيه فرصة » .
الروذراوي ، **ذيل تجارب الامم** (القاهرة ، ١٩١٦) ج٣ ص ١٨٥ ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص٣٢ ، ابن الصيرفي ، **الاشارة الى من نال الوزارة** (القاهرة ، ١٩١٩) ، ص ٢٣ ، ابن خلكان ، **وفيات الاعيان** (القاهرة ، ١٣٦٧هـ) ج٦ ص ٣١ .

(٢٣) يفهم من ابن الفرات ، **تاريخ ابن الفرات** ، (البصرة ، ١٩٦٧ ، ج٤ قسم١ ص ١٤٨ ، انه كان للاعراب اقطاعات زمن الفاطميين .

(٢٤) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص٣ ، **الكامل** ، ج٨ ص٦٣٨ — ٣٩ .

(٢٥) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ١١ — ١٢ .

(٢٦) **تاريخ يحيى بن سعيد** (باريس ، ١٩٣٢) ص ١٨١ — ١٨٣ ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ١٢—٢٠ ، **الكامل** ، ج٨ ص ٦٦٠—٦٦١ ، **الدرة المضية** ،ص ١٧٩ — ١٨٨ .

(٢٧) أحد بني حمدان الذي هرب من العراق بعد الفتنة في بغداد بين الديالمة « والعرب من بني حمدان » ، وسار الى الشام ، واقام خارج دمشق التي كان يسيطر عليها قسام العيار **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٢١ — ٢٢ .

الفاطميين — من قسام (٢٨) المتغلب على المدينة . فقد لجأ ابن حمدان الى بني عقيل الذين حاربوا آل الجراح . وفي المعركة التي كانت بين الجانبين انهزمت عقيل امام آل الجراح وقتل ابو تغلب (٢٩) .

ولم تكن تلك هي الحالات الوحيدة التي ساعدت فيها امارة طيء الدولة الفاطمية في اوقات الشدة ، بل استمر ذلك التأييد طوال الفترة الاولى لهذه الامارة . ففي سنة ٣٨١هـ (٩٩١م) وما بعدها ، ايدت طيء وغيرها من القبائل منجوتكين (٣٠) التركي ضد الفاطميين ، لكنها تخلت عنه اثناء احدى المعارك مما ادى الى هزيمته واسره (٣١) . كما استعان الخليفة الفاطمي الحاكم (٣٨٦هـ/٩٩٦م — ٤١١هـ/١٠٢١م) بامراء آل الجراح ومن معهم من العرب للقضاء على فتنة قامت بها قبائل برقة (٣٢) . اما المناسبة الهامة التي كان لامراء طيء دور بارز في تأييد الفاطميين فقد كانت تخليهم عن الحسن بن جعفر العلوي الذي نصبوه خليفة بالرملة سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م) ، وذلك بعد خروجهم عن طاعة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله . وقد أقلق هذا الامر الخليفة الفاطمي ، فعمل بكل ما لديه من وسائل لدفعهم للتخلي عنه حتى تم له ذلك .

ومن الناحية الاخرى نرى ان الدولة الفاطمية بدأت تعمل للقضاء على الامارة الطائية من السنين الاولى لقيامها ، وذلك بسبب الثورات المستمرة التي كان يقوم بها امراء آل الجراح ، والتي كانت تصل احيانا الى درجة لا تهدد فقط وجود الفاطميين في الشام ، بل وفي مصر ايضا . فقد تتابعت الحملات التي ارسلها خلفاء مصر والتي كان

---

(٢٨) احد الاشخاص الذين قربهم الفتكين التركي وقتتوليه ولاية دمشق ، وبعد اسر الفتكين استولى قسام على البلد (دمشق) . **ذيل تاريخ دمشق** ، ص٢١ .

(٢٩) مسكويه ، **تجارب الامم** (القاهرة ، ١٩١٤م) ج٦ صص ٤٠١—٤٠٣ ، **تاريخ يحيى بن سعيد** ، صص ١٩٤ — ١٩٦ ، **ذيل تاريخ دمشق** ، صص ٢١—٢٣ ، **الكامل** ، ج٨ ص ٧٠٠ ، **وفيات الاعيان** ، ج ٢ ص ٣٨٨ — ٣٨٩ ، **الدرة المضيئة** ، ص ١٩٣—١٩٥ .

(٣٠) احد « غلمان » الخليفة العزيز الفاطمي (٣٦٥هـ/٩٧٥م — ٣٨٦هـ — ٩٦٦م) . وقد ولاه العزيز دمشق، وبعد وفاة العزيز تآمر على الخليفة الحاكم (٣٨٦هـ/٩٩٦م — ٤١١هـ/١٠٢١م) بسبب من الصراع بين العناصر المغربية والعناصر التركية للسيطرة على الدولة الفاطمية . **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٤٠ — ٤١، **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص ٢٢٣ وما بعدها .

(٣١) **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص٢٢٣ ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص٤٦ ٤٧ ، ابن ميسر، **اخبار مصر** (القاهرة، ١٩١٩م) ج٢ ص ٤٨ — ٤٩ .

(٣٢) وبرقة صقع كبير بين الاسكندرية وافريقية ، واسم مدينها انطابلس او طرابلس **معجم البلدان** ، ج١ ٣٨٨ .

هدفها الرئيسي القضاء على آل الجراح وفسادهم في البلاد (٣٣) . ففي السنوات ٣٦٩هـ/٩٧٩م و ٣٧٠ — ٣٧١هـ/٩٨٠ — ٩٨١م و ٣٨٧هـ/٩٩٧م و ٤٠٤هـ/١٠١٣ — ١٠١٤م و ٤١٩ — ٤٢٠هـ/١٠٢٨ — ١٠٢٩م ارسلت حملات من مصر وبلاد الشام لمحاربة قبيلة طيء (٣٤) . وقد نجحت معظم هذه الحملات في تحقيق اهدافها في ابعاد هذه القبيلة التي كانت تلجأ دائما ، بعد كل هزيمة ، الى البرية فترة من الزمن يقوم امراؤها خلالها باسترضاء الخلفاء في القاهرة بمختلف الاساليب من هدايا وشفاعات ووعود بعدم الخروج عن الطاعة (٣٥) .

وقام امراء طيء ، كرد فعل لسياسة الفاطميين العدائية نحوهم ، بمحاولات كانت تهدف الى القضاء على نفوذ الخلافة الفاطمية في بلاد الشام وحتى في مصر . فلدينا معلومات عن قيام الامير مفرج بن دغفل بن الجراح وابنه حسان بمحاولتين كانتا تهدفان الى التأثير على مركز الخلافة الفاطمية ونفوذها في بلاد الشام ومصر : الاولى اقامة خلافة علوية في الرملة ، والثانية ارسال كتب الى امراء بني قرة في مصر لدفعهم للقيام بثورة على الخليفة الفاطمي . يضاف الى ذلك ان آل الجراح كانوا احد الاطراف المشاركة في الحلف القبلي الذي ابرمه امراء القبائل في بلاد الشام ، والذي وزعوا البلاد بموجبه مناطق نفوذ بينهم .

ففي حدود سنة (٤٠١ — ٤٠٣هـ/١٠١٠ — ١٠١١م) هرب أبو القاسم الحسين بن علي المغربي من مصر خوفا من الخليفة الحاكم ، والتجأ الى حسان بن المفرج بن دغفل امير طيء الذي كان قد تغلب في ذلك الوقت على بلاد الشام الجنوبية ، واستولى على مدينة الرملة (٣٦) . واصبح ابو القاسم هذا مستشارا لآل الجراح ، وأخذ من بداية

---

(٣٣) **تجارب الامم** ، ج٦ ص٤٠٣ ، **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ١٩٥ ٢٠٣ ، ٢٩٣ — ٢٩٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٤ ، **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص ٢٣٥ .

(٣٤) **تاريخ يحيى بن سعيد** (ط. باريس ، ١٩٣٢) ص١٩٦ — ٢٠٤ ، وطبعة بيروت (١٩٠٩) ج٢ ص ١٦٣، ١٩٦ — ٢٠٤ ، ٢٥٣ — ٢٥٤ ، ٢٦٧ — ٢٦٩،**تجارب الامم** ، ج٦ ص ٤٠٣ ، **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص ٢٣٤ — ٢٣٥ ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٢٢—٢٥ ، ٥١ ، ٧٣ ، **اخبار مصر** ، ج٢ ص ٥٠ — ٥٥، **الكامل** ، ج٨ ص ٧٠٠ ، ج٩ ص ٧ — ٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ٢٣٠ — ٢٣١ ، ابن العديم ، **زبدة الحلب في تاريخ حلب** (دمشق ، ١٩٥١ — ١٩٦٨) ج١ ص٢٣١ — ٢٣٢ .

(٣٥) **نفس المصادر** في حاشية ٣٣ ، ٣٤ ، **وفيات الاعيان** ، ج٣ ص ٨٤ .

(٣٦) **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص ٢٣٣ ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٦٢ — ٦٤ حاشية ١ نقلا عن**تاريخ الاسلام** للذهبي ، ابن شاكر ، **تاريخ دمشق** (دمشق ، ١٣٢٩—١٣٣٢هـ) ج٤ ص٣٠٩ ،**وفيات الاعيان** (ط. بولاق ، ١٢٩٩ هـ) ج١ ص ٤٣٠ .

لجوئه اليهم — ولاسباب شخصية (٣٧) — بتحريضهم على الفاطميين ، ووصل تحريضه الى درجة ان شجعهم على خلع طاعة الخليفة الفاطمي وتعيين امير مكة خليفة « فأنه لا يغمز (يطعن) في نسبه » (٣٨) . وهكذا كان . فقد ذهب ابو القاسم الحسين بن علي الوزير المغربي ، الى مكة وبايع ابو الفرج الحسن بن جعفر العلوي خليفة ، وبايعه بنو حسن هناك ، ثم قدم في صفر من سنة ٤٠٣ (آب ١٠١٢م) الى الرملة ونـــزل بدار الامارة « وركب في يوم الجمعة والمفرج واولاده وسائر امراء طيء مشاة بين يديه حتى دخل المسجد » (٣٩) ، وهناك تمت له البيعة (٤٠) وسمي امير المؤمنـــين ، ولقب الراشد لدين الله ، وضربت السكة باسمه (٤١) . وقد اقلق هذا الامر الخليفة الحاكم كثيرا ، فبذل الاموال والاقطاعات الى حسان بن آلمفرج ليقنع والده بالتخلي عن الخليفة الجديد . واضطر الامير مفرج ، تحت ضغط اولاده خاصة حسان ، الى التخلي عن امير مكة لكن بعد ان استنفذ العرب جميع الاموال التي كان قد احضرها معه (٤٢) . عنــد ذلك اعيد الراشد لدين الله الى بلاده ، حيث عاد الى طاعة خليفة الفاطميين بعد ان اعتذر عما كان منه (٤٣) . وفي الوقت ذاته ، ارسل حسان الى الخليفة في مصر يسألــه تنفيذ ما وعده به فأجابه بالموافقة عليها جميعا من « اقطاع وتقرير وامضاه ، وكتب لــه امانا بخط يده » (٤٤) . لكن الحاكم نكث بالوعود التي قطعها على نفسه . ونتج عن ذلك

---

(٣٧) لان الخليفة الحاكم نقم على عائلته وشرد افرادها . ارجع مصادر الحاشية رقم ٣٣ .

(٣٨) **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص ٢٣٦ .

(٣٩) **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص٢٣٦ ، **تاريخ يحيـى بن سعيد** (ط. باريس) ص٢٩٦ ، **ذيل تاريخ دمشق**، ص٦٤ حاشية ١ نقلا عن **تاريخ الاسلام** للذهبي .

(٤٠) **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص٢٣٦ ، وقد قـــرأ الخليفة خطبة هذا بعض ما ورده صاحب **ذيل تجـــارب الامم** منها :

« بسم الله الرحمن الرحيم : طسم تلك آيات الكتاب المبين ، نتلو عليك نبأ موسى وفرعون بالحـــق لقوم يومنون . ان فرعون علا في الارض وجعـــل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهـــم ويستحي نساءهم ، انه كان من المفسدين ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهـم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الارض ،ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون» ص — ٢٣٦ — ٢٣٧ . (الآيات ١—٤ من سورة القصص).

(٤١) **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص ٢٣٦—٢٣٧ ، **تاريخيحيى بن سعيد** (ط. باريس) ص ٢٩٦ .

(٤٢) **تاريخ يحيى بن سعيد** (ط. باريس) ص ٢٩٨ ، **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص ٢٣٦ — ٣٧ ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٦٤ حاشية (١) نقلا عن الذهبي.

(٤٣) **تاريخ يحيى بن سعيد** ، (ط. باريس) ص ٢٩٦،**تاريخ دمشق**، ج٤ ص ٤٢١، ياقوت ، **معجم الادباء**، (ط. مرجو ليوث) ج٤ ص ٦٠ ، **دفيات الاعيان**، ج١ ص ٢٣١ .

(٤٤) **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص ٢٣٨ .

ثورة طيء من جديد ، وتغلبها على البلاد ، ومصادرتها للناس ، مما ادى الى هروب الكثير « من النصارى المقيمين بالشام » الى بلاد الروم ــ انطاكية ــ وقطنوها (٤٥) . وقد استمرت سيطرة طيء هذه المرة مدة سنتين وخمسة شهور حتى ارسل الفاطميون جيشا كبيرا لمحاربتهم (٤٦) . وعندما سمع امراء طيء بمقدم ذلك الجيش هربوا الى البرية وبدأوا توسلاتهم الى الخليفة حتى تم الاتفاق معه على عودتهم الى اراضيهم مقابل امتناعهم عن القيام بفساد في البلاد (٤٧) .

استمرت الهدنة بين الجانبين ، بعد ذلك ، حتى نهاية فترة حكم الخليفة الحاكم ، ثم بدات الحركات ضد الخلفاء تتوالى . ففي سنة ٤١٦هـ (١٠٢٥م) حاول حسان بن المفرج اثارة القبائل العربية في مصر ضد الفاطميين ، فأرسل خطيب الرملة علي بن محمد التهامي الى مصر حاملا عددا من الرسائل الى امراء بني قرة يدعوهم فيها للثورة. وقد فشلت هذه المحاولة اذ امسك الفاطميون الشاعر التهامي وسجنوه ثم قتلوه سرا (٤٨) . ومما يؤكد هذه الحادثة ، رغم غموض ما نعرفه عنها ، انها جاءت في الوقت الذي تم فيه اتفاق القبائل العربية بالشام على اقتسام البلاد مناطق نفوذ فيما بينها (٤٩). هذا الاتفاق الذي عرف بالحلف القبلي التي امتدت فترته بين ٤١٠هـ/١٠١٩م ــ ٤٢٠هـ/١٠٢٩م .

---

(٤٥) **تاريخ يحيى بن سعيد**، ج٢ ص ٣١٢ ، وعنه ينقل كرد علي في **خطط الشام** ، ج١ ص ٢٤٦ .

(٤٦) **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص ٢٣٨ــ٢٣٩ ، **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص٣١٢ . وفي اثناء ذلك مات المفرج بن دغفل ويقال أن كاتبه سمه .

(٤٧) **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص٣١٢ ، **ذيل تجارب الامم** ، ج٣ ص ٢٣٩ . وقد هرب بطرك القدس الذي كان قد عينه حسان في منصبه ، وذلك عند تركهم البلاد .

(٤٨) انظر عن هذه المحاولة : **ديوان علي التهامي** (ط٢ ، دمشق ، ١٩٦٤م) ، الثعالبي ، **تتمة اليتيمة**، (طهران ، ١٣٥٣هـ) ص ٣٣٧ــ٦٤ ، **معجم البلدان** ج٣ ص٧٠ ، **وفيات الاعيان** ، ج٣ ص ٦٢ ، ابو الفداء ، **المختصر في اخبار البشر** (القاهرة ، ١٣٢٥هـ) ج٢ ص ١٥٥ ــ ١٥٦ ، ابن كثير، **البداية والنهاية** (القاهرة ، ١٣٤٨ ــ ٣٥٨هـ) ج ١٢ ص ٥٥ .

(٤٩) يبدو ان سبب فتنة حسان بن المفرج هذه المرة كانت بسبب علي ابن ابي الضيف الذي كان يطمع في ولاية الرملة ، اذ كتب الى حسان « بأن يعبث في الشام ويفسد لتدعو الضرورة الى سيره (ابن الضيف)» لكن الكتب وقعت في يد « السيدة » عمة الظاهر، فقتل ابن الضيف بسبب ذلك . كما حاول الظاهر سم حسان لكنه « انكشف له (اي حسان) ذلك واستوحش ، وعادة (عادت) الحال بينه وبين الظاهر الى فساد ، وجدد اليمين والموافقة من سنان وصالح ... » **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٤٥ حاشية (١) . وفتح حسان الرملة في رجب سنة ٤١٥هـ (ايلول ١٠٢٤م) **المصدر ذاته** ، ص ٢٤٤ ، ٣٦١ .

ففي بداية خلافة الظاهر (٤١١هـ/١٠٢١م) عقد امراء اهم ثلاثة قبائل في بلاد الشام — كلب وكلاب وطيء — حلفا هدف الى تقسيم بلاد الشام مناطق نفوذ بينهم . وكان توزيع هذه المناطق على الشكل التالي : ان تكون فلسطين وما « برسمها » لحسان ابن الجراح ، ودمشق « وما ينسب » اليها لسنان بن عليان الكلبي وعشيرته، وحلب وما يتبعها لصالح بن مرداس وبني كلاب (٥٠) . ولم يكتفوا بذلك ، بل حاولوا الحصول على تأييد لهذا الاتفاق من قوة كان لها اثرها البارز في المنطقة الشمالية من البلاد في ذلك الوقت ، فاتصلوا بملك الروم باسيل الثاني (٩٧٦م — ١٠٢٥م) طالبين منه مساعدتهم بالجند في حالة قيام الفاطميين بمحاولة للقضاء على الحلف . لكن ملك الروم ، الذي كان على علاقة ودية مع الفاطميين في ذلك الوقت ، لم يوافقهم على ذلك (٥١) ، عندها تركوا فكرة الحلف مؤقتا . ثم جددوا الحلف ، وقاموا بمحاولة لتحقيق اهدافهم ، فاستولى صالح بن مرداس على حلب وبعض المناطق التابعة لها ، وحارب حسان بن المفرج انوشتكين الدزبري ، الوالي الذي عينه الفاطميون على فلسطين ، وحاصر سنان بن عليان دمشق واخرب ما حولها (٥٢) . وادت هذه الفتن الى الفوضى ، واستمرت حتى سنة ٤١٩هـ (١٠٢٨م) . ففي هذه السنة توفي امير بني كلب فتولى الامرة مكانه امير كان الخليفة الظاهر قد استماله الى جانبه . فانضم هذا الامير الى الجيش الفاطمي بالشام الذي كان يقوده انوشتكين الدزبري . وتمكن هذا الجيش من هزيمة قوات كلاب وطيء مجتمعة في معركة الاقحوانة في ربيع الآخر سنة ٤٢٠هـ (نيسان ١٠٢٩م) ، وقتل صالح بن مرداس امير كلاب ، وانهزم حسان ومن معه من العرب ، وقضي على الحلف القبلي (٥٣) ، وتثبت سلطان الفاطميين ، للمرة الاولى ، في دمشق والمناطق الجنوبية من بلاد الشام .

وهرب آل الجراح ، بعد هزيمتهم ، الى البادية ، ثم الى بلاد الروم . ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يلجأ فيها امراء آل الجراح الى ملوك الروم من اجل المساعدة

---

(٥٠) **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٤٤ — ٢٤٥ ، وملخص عند ابن العديم ، **زبدة الحلب** ، ج١ ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .

(٥١) **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٤٥ ، ويذكر ان الملك باسيل الثاني اعتبر امراء العرب « خوارج على من ينتسبون اليه » .

(٥٢) **المصدر ذاته** ، ص ٢٤٥—٢٤٦ .

(٥٣) انظر عن هذا الحلف **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٤٥ ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٧٣ ، **الاشارة الى من نال الوزارة** ، ص ٣٦—٣٧ ، **زبدة الحلب** ، ج١ ص ٢٣١—٢٣٢ ، **الكامل** ، ج٩ ص ٢٣٠—٢٣١ ، **المختصر** ، ج٢ ص ١٤١—١٥٧ .

ضد الفاطميين . ففي سنة ٣٧١هـ (٩٨١م) التجأ المفرج بن دغفل ، بعد هزيمته ، الى بكجور — الذي كان واليا للحمدانيين على حمص — ، ثم انتقل من هناك الى انطاكية واشترك مع صاحبها في محاربة الحمدانيين (٥٤) . لكنه ، كالعادة ، تمكن من مصالحة الفاطميين فعاد الى بلاده . ويبدو انه أستمر على الاتصال بملك الروم بعد عودته . وتبع حسان نفس الطريق الذي اتبعها والده المفرج ، فبعد هزيمته على الاقحوانة ، اتصل بملك الروم وشجعه على غزو بلاد الشام وانه « يبذل له الخدمة في غزاته والمسير بين يدي جيوشه بعشيرته واصحابه الى حيث اتجه » (٥٥) ، ووافق ذلك فترة سوء العلاقات بين الفاطميين والروم ، فكتب ملك الروم الى امير طيء « يشد ازره والتمسك بالعهد » ، وطلب اليه القرب من بلد الروم ، فسار (حسان) في جميع اهله وعشيرته بجميع حللهم ومواشيهم وبيوتهم ، وسار معه رافع بن ابي الليل من امراء بني كلاب (٥٦) . ووصل الجميع الى بلاد حلب وانطاكية في زهاء نيف وعشرين الف انسان (٥٧) . واحسن اليهم الملك باسيل احسانا كثيرا حتى انه جعل علان بن حسان الطائي « بطريقا » (٥٨) ، واشتركوا مع الروم في الاستيلاء على رفنية سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) وفي حصار افامية (٥٩) . واستمرت اقامة آل الجراح في بلد انطاكية الى ما بعد عقد الصلح بين الفاطميين والروم .

وفي المفاوضات التي سبقت عقد هذا الصلح ، شدد ملك الروم على اعتبار قضية حسان وآل الجراح احدى النقاط التي ينبغي ان تدرج ضمن شروط الصلح ، الا ان الخليفة الظاهر رفض قبول ذلك (٦٠) .

---

(٥٤) **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٠٤ ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص — ٣٠ ، **الكامل** ، ج٩ ص ٤٢٠ .

(٥٥) **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٥٤—٢٥٥ .

(٥٦) **المصدر ذاته** ، ص ٢٦١ . ويبدو ان الفاطميين لم يفوا بالعهود التي قطعوها لامير كلب عندما انظم اليهم من الاقحوانة ، مما اضطره الى الخروج عن طاعتهم .

(٥٧) **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٦١ .

(٥٨) **المصدر ذاته** ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ابن الاثير ، **الكامل** ، ج٩ ص ٤٢٠ ، وكلمة « البطريق » معربة عن "Patricius" اللاتينية ، وهي لقب من القاب الشرف لا ارتباط له بمنصب رسمي ارجع الى EI(2), I, 1249-1250.

(٥٩) **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٦٢ ، **الكامل** ،ج٩ ص ٤٢٠ .

(٦٠) **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص ٢٦٦—٢٧١ . وقد ذكر قصد حسان بن الجراح لملك الروم وتطارحه عليه وسؤاله اياه بخدمة « والتمس (الملك باسيل) من الظاهر ان يعيده (حسان) الى بلده واقطاعاته القديمة التي كانت له ايام الحاكم دون ما سواها مما استزداده واغتصبه في ايامه ان رأى ذلك ، ويشترط عليه حسن الطاعة ولزوم الطرائق الحميدة ، ومتى عاد الى ما عهد منه من الفساد في بلاده او التخطي الى ما يكره ، كانا جميعا حربا له » . ص ٢٧١ .

ولم يعد آل الجراح الى بلادهم الا بعد موت الدزبري سنـــة ٤٣٣هـ (١٠٤١ — ١٠٤٢م) القائد الذي حكم معظم الشام مدة ثلاثة عشرة سنة متوالية . وبعد وفاتـــه « فسد امر الشام وزال النظام وطمعت العرب وخرجوا ، فخرج صاحب الرحبة وملك حلب ، وعاد حسان بن مفرج الطائي واستولى على فسلطين » (٦١) .

وانتهت فترة قوة الامارة الطائية الاولى بوفاة الامير حسان بن المفرج (٦٢) ، لكن هذا لا يعني نهاية دور بطون قبيلة طيء في بلاد الشام (٦٣) . ومع ان اسم هذا الفرع لم يعد يتردد الا قليلا في اخبار الحوادث ، الا انه كان لا يزال لهم بعض الاثر على المستوى المحلي وفي علاقاتهم مع امراء دمشق وخلفاء الفاطميين ، واستمروا يقومون بنفس الدور الذي كانوا يقومون به في السابق ، لكن على نطاق ضيق . وان عرضا مجملا لاخبارهم بين (٤٤٠هـ — ٥٠٠هـ/١٠٤٨م — ١١٠٦م) لكاف لاعطاء فكرة عن هذا الدور .

في سنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) تخلى العرب من طيء وكلب عن القائد الفاطمي رفـــق الخادم خلال حربه مع عسكر حلب، فكان ذلك السبب في انكساره (٦٤) . وفي سنة ٤٤٨هـ (١٠٥٦م) انهزم العرب من كلب وطيء من جيش ناصر الدولة الحسين بن حمدان والي دمشق الفاطمي مما ادى الى هزيمته امام بني كلاب (٥٦) . واثناء الخمسينيات من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلا دي) سجن الفاطميون ، لاسباب لا نعرفهـــا ، اثنين من امراء طيء هما حميد بن محمود بن المفرج بن الجراح وحازم بن علي بن المفرج بن الجراح ، اللذين يظهر أن امارة طيء اصبحت لهما (٦٦) . وتعاون حازم ، بعـــد خروجه من السجن ، وابنه بدر مع امير الجيوش بدر الجمالي لمسك احـــد الاشراف

---

(٦١) **المختصر** ، ج٢ ص ١٦٦ ، **خطط الشام** ، ج١ ص٢٥٢ .

(٦٢) لا يعرف تاريخ وفاته ولكن اخباره تنقطع بعد عودته من بلاد الروم . انظر ترجمته المفصلة في كتـــاب **بغية الطلب في تاريخ حلب** (مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الامريكية رقم 920.568 : I 13bA) ج٤ ورقة ١٢٨ ب — ١٢٩ أ . وتولى الامرة بعده ،كما يبدو ، ابنه علان . **الكامل** ، ج١٠ ص ٦٠، **العبر** ج ٥ ص ٦ .

(٦٣) امتد نفوذ آل الجراح الى الشمال حتى وصـــل منطقة البلقاء . فقد كان بدر بن حازم بن علي صاحب عمان . **ذيل تاريخ دمشق** ، ص٩٦ — ٩٧ ، حاشية (١) .

(٦٤) **زبدة الحلب** ، ج١ ص ٢٦٦ .

(٦٥) **زبدة الحلب** ، ج١ ص ٢٧٨—٢٧٩ .

(٦٦) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٩٣ ، العظيمي ، **تاريـــخ العظيمي** ، ص ٣٥٩ .

ـــ الذي خرج على القائد الفاطمي ـــ ، فلما تمكن منه حازم « مضى به الى عكا وباعه (من امير الجيوش) بذهب وخلع واقطاع ... ولعن اهل الشام بدر بن حازم والعرب وقالوا : **اما هذه عادتهم ؟** » (٦٧) .

ولم تتغير عادة آل الجراح هذه ولا موقفهم التقليدي في حالة قيام صراع بين الفاطميين واعدائهم بعد ذلك . فعندما تمكن أتسز بن أوق الخوارزمي ، القائد السلجوقي ، من الاستيلاء على دمشق ومعظم بلاد الشام (سنة ٤٦٨ هـ وما بعدها / ١٠٧٥ ـــ ١٠٧٦م) ، وقفوا الى جانبه واصبحوا من البداية في « عداد جيشه » (٦٨) . وتوجهوا معه الى مصر التي كان يطمع في الاستيلاء عليها . ولكن ، وكالعادة ، تمكن قائد جيش الفاطميين، بدر الجمالي، من استمالة «بدر بن حازم وجميع طيء الى جانبه»، واقامه مع الالفي فارس الذين كانوا معه على شكل كمين لمهاجمة اتسز من الخلف (٦٩) . وكان هذا التحول في ولاء العرب السبب الرئيسي الذي ادى الى انكسار الاتراك وهزيمتهم (٧٠) . ثم حولوا ولاءهم بعد ذلك الى امير حلب مسلم بن قريش العقيلي ، فوقفت طيء مع القبائل الاخرى الى جانبه في محاولته التي بذلها للاستيلاء على دمشق من الاتراك السلاجقة الذين كان يقودهم تتش بن الب ارسلان مؤسس سلطان السلاجقة في الشام ، لكن هذه المحاولة فشلت ، وانهزم تجمع القبائل العربية امام العساكر السلجوقية المنظمة (٧١) . وكانت قبيلة طيء اثناء فترة الامارة الاولى بقيادة اميرين من اشهر امرائها ، المفرج بن دغفل بن الجراح وابنه حسان . والمعلومات المتوفرة عن المفرج لا تتعدى ما له ارتباط بالاحداث التي عرضت في السابق وحتى مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) حيث مات او قتل في ظروف غامضة (٧٢) . وتولى الامرة بعده ابنه حسان ، ويبدو ان الزعامة الفعلية كانت بيد هذا الامير من البداية ، اذ حظي بالاهتمام من المؤرخين اكثر من والده ، فنجد له ترجمة مفصلة عند

---

(٦٧) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٩٤ . والخط تحت « اما هذه عاداتهم ؟ » من وضعي .

(٦٨) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ١١٠ ، **اخبار مصر** ، ج٢ ص ٢٥ .

(٦٩) **اخبار مصر** ، ج٢ ص ٢٥ .

(٧٠) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ١١٠ ، **اخبار مصر** ، ج٢ ص ٢٥ .

(٧١) جمع مسلم بن قريش العرب من نمير وعقيل وبني شيبان وجماعة من بني كلاب وطيء وعرب من قيس واليمن . **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ١١٤ ، **زبدة الحلب** ، ج٢ ص ٨٠ــ٨٦ . وكانت هذه المحاولة الفاشلة سنة ٤٧٥ــ٤٧٦/٩٨٥ــ٩٨٦م .

(٧٢) توفي سنة ٤٠٤هـ/١٠١٣م . وذكر يحيى بن سعيد انه مات بالسم ، اذ دس له كاتبه ابن المدير السم ثم هرب الى مصر . **تاريخ يحيى بن سعيد** ، ج٢ ص٣١٢ .

ابن العديم ، وقصائد شعر قيلت في مدحه من قبل الوزير المغربي الذي لجأ الى حسان بعد هروبه من مصر ومن قبل علي بن محمد النهامي شاعر الرملة وخطيبها وغيرهم (٧٣).

ولم تكن سياسة حسان كلها تخريبية ، كما تصورها معظم المصادر ، وانما حاول في بعض الاحيان القيام ببعض الاصلاحات . فقد عمل على اصلاح كنيسة القيامة التي خربت زمن الخليفة الحاكم ، كما قام بتعيين بطرك للروم في القدس (٧٤) . وربما كانت هذه الاعمال للتقرب من ملك الروم الذي كان يطمع في الحصول على مساعدته في اوقات الشـدة .

وما عدا الاخبار التي ذكرت في السابق ، فاننا لا نعرف شيئا عن حياة حسان او تاريخ وفاته . فذكره ينقطع بعد سنة ٤٣٣هـ (١٠٤٣م) . اما ابنه علان فلا ذكر لـه كأمير لجميع طيء الشام ، ويبدو أن آل الجراح انقسموا بعد وفاة حسان ، فبرز في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) بيت علي بن المفرج الذين كانـوا يسكنون الشراه والبلقاء . ومن هذا البيت اشتهر مرا (٧٥) بن ربيعة وفضل بن ربيعة . وكان آل مرا بن ربيعة الامراء على طيء خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشـر الميلادي) ، واستمرت في ايديهم حتى اصبحت ألامرة على طيء وجميع العرب لآل فضل بن ربيعة ، وذلك زمن الملوك الايوبيين المتأخرين في الشام ، وزمن المماليك .

بمجيء السلاجقة من الشرق والصليبيين من الغرب تغيرت الاوضاع السياسية لبلاد الشام وباديتها . فقد استولى السلاجقة (ابتداء من ١٠٧٠م) علـى معظـم المنطقة ، وقضوا على معظم الامارات القبلية التي كانت قائمة فيها ، ولم يبق في يـد خلفاء مصر سوى المناطق الساحلية الجنوبية وبعض المناطق الداخلية ، ثم جـاء الصليبيون فأسسوا عددا من الامارات والممالك في الجزيرة الفراتية وعلى طول ساحل بلاد الشام جنوبا حتى حدود مصر . وادى هذا التحول السياسي الى ضعف نفـوذ القبائل ، واصبح دورها في حياة البلاد اقل شأنا مما كان عليه في السابق . ومع ذلك فقد بقي للقبائل بعض الاهمية كقوة عسكرية كان يستفاد منها في الحروب الداخلية التي

---

(٧٣) **بغية الطلب** ، ج٤ ورقة ١٢٩ أ ، وعن الشعر الذي قيل في مدحه ارجع الى **ديوان التهامي** (دمشق ، ١٩٦٤) حيث خص آل الجراح بمعظم قصائد ديوانه . **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٦٢–٦٣ .

(٧٤) **تاريخ يحيى بن سعيد** (ط. باريس) ص ٢٩٧ .

(٧٥) يرد هذا الاسم بعدة صور : مرا ، مراء ، مرة،مرى ، ولكن الصورة التي اثبتت هي تلك التي ضبطها ابن تغرى بردى في **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي** (خط) ج٢ ورقة ٤٩٣ ب حاشية رقم ٣ فـي **النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة** (ط. دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٠) ج١١ ص ١٣٣.

نشبت بين ابناء البيت الزنكي والبيت الايوبي ، او بين ابناء البيت الواحد منهما ، او بين هؤلاء والصليبيين ، وذلك كقوة مساعدة للقوات النظامية (٧٦) .

وكان لقبيلة طيء ، كغيرها من القبائل ، دور في الحياة السياسية لبلاد الشام خلال القرن السادس الهجري (الثامن عشر الميلادي) . فقد كانت تشترك احيانا مع جيوش اصحاب دمشق من آل طغتكين وآل زنكي والايوبيين في حروبهم ضد الصليبيين ، خاصة في منطقتي حوران والبلقاء ، مواطن آل ربيعة من طيء . وكان اشتراك آل ربيعة في هذه الحروب اما على شكل متطوعة او باعتبارهم من القوات المساندة للجيش . فقد وقف مرا بن ربيعة — مدة تزيد على ربع قرن — الى جانب آل طغتكين (٧٧) ، اصحاب دمشق، في حروبهم مع الصليبيين (٧٨)، كما استمر ابناؤه واحفاده من بعده في تأييد ملوك دمشق من الايوبيين ، حتى انه قتل ، في موقعة واحدة (قرب مرجعيون سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م) اربعة من امراء طيء (٧٩) . وعلى العكس من ذلك كان موقف فضل بن ربيعة، فقد كان « تارة مع الفرنج وتارة مع المسلمين » ، مما اضطر طغتكين الى طرده من الشام ، فالتجأ الى امير بني اسد صاحب الحلة ، وهناك كاد ينغمس في الصراع الذي نشب بين السلطان السلجوقي وبين صدقة امير بني اسد ، لولا انه آثر الاحتيال على الجانبين للرجوع الى البرية (٨٠) . وكان هدف العرب ، من المساعدات التي كانوا يقدمونها للمسلمين او للصليبيين ، هو الحصول على الغنائم من ناحية ، والمكافآت من ناحية اخرى .

ومع ان العرب قدموا خدمات لا تنكر في الحروب ضد الصليبيين ، سواء أكان ذلك عن طريق التجسس والغارات الخاطفة على معسكرات العدو او نصب الكمائن للجيوش واستدراجها اليها ، الا انهم لم يكونوا طرفا في النزاع ، فقد كانوا على الاغلب

---

(٧٦) ارجع عن دور القبائل العسكري في هذه الفترة الى هـ. جب ، « جيوش صلاح الدين » في **دراسات في حضارة الاسلام** (ترجمة احسان عباس ، بيروت، ١٩٦٤) ص ٩٧—١٢٠ .

ونظير سعداوي ، **جيش مصر في ايام صلاح الدين** ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، **التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الايوبي** ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

(٧٧) كان طغتكين أتابك دقاق بن تتش ، وقد استولى على حكم دمشق بعد وفاة دقاق سنة ١٠٤م ثم تولاها ابناؤه من بعده .

(٧٨) العماد الكاتب الاصفهاني ، **الفتح القسي في الفتح القدسي** (القاهرة ، ١٣٢١هـ) ص ٢٩٣—٢٩٤ ، **الروضتين في اخبار الدولتين** (القاهرة ، ١٢٨٨هـ) ج٢ ص ١٤١ .

(٧٩) **الفتح القسي** ، ص ٢٩٣—٢٩٤ .

(٨٠) **الكامل** ، ج١ ص ٤٤٣ ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٣٨—٩٣٩ ، (طبعة بولاق) ج٦ ص٨ .

متقلبين في موقفهم بين المسلمين والفرنج لان في ذلك خدمة اكبر لمصالحهم . ومساعدتهم للفرنج لم تصل الى حد المشاركة معهم في القتال ، بل اقتصرت على التجسس (٨١) . وما عدا ذلك ، واذا كان الامر يتعلق بنهب وسلب قوافل التجار والحجاج ، فانهم كانوا لا يوفرون احدا من الجانبين .

وبسبب من عبث العرب المستمر وفسادهم ، وتهديدهم لطرق المواصلات خاصة طرق الحجاج ، حاول نور الدين محمود بن زنكي استرضاء امراء القبائل باعطائهم الاقطاعات (٨٢) ليكفوا عن التعرض للحجاج ، ويظهر ان ذلك لم يكن كافيا للسيطرة على الامراء وعلى قبائلهم مما حدا بملوك الايوبيين — حوالي نهاية القرن السادس وبداية السابع الهجري (الثاني والثالث عشر الميلادي) — الى العمل على ربط امراء العرب بصورة رسمية بالدولة ، فكان انشاء مؤسسة « امارة العرب » وتعيين الامراء من قبل ملوك دمشق وحلب (٨٣) .

---

(٨١) ابن شداد ، **النوادر السلطانية** ، ص ٣٤٨—٣٥٠ ، ابو شامه ، **الروضتين** ، ج٢ ص ١٩٨ ، ابن واصل ، **مفرج الكروب في اخبار بني ايوب** (القاهرة ، ١٩٥٣—١٩٦٠) ج٢ ص ٣٨٣—٣٨٤ ، **الكامل** ج١٠ ص ٣٦ . وبسبب فساد العرب ، وجه صلاح الدين حملة الى الكرك ، كان من اهدافها اخراج العرب من ديارهم ، لانهم كانوا يخبرون الفرنج بحركات جيوش المسلمين وقوافل تجارتهم بين مصر والشام . ابن شداد ، **النوادر السلطانية** ، ص٧٥—٧٦ ، ابو شامة ، **الروضتين** ، ج١ ص ٢٠٦ ، ابن واصل ، **مفرج الكروب** ، ج١ ص ٢٢٥ ، سبط بن الجوزى ، **مرآة الزمان** (حيدر أباد الدكن ، ١٣٧٠هـ) ج٨ ص ٢٩٣ .

(٨٢) **مرآة الزمان** ، ج٨ ص ٣٠٦ .

(٨٣) اشهر امراء طيء خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) مرا بن ربيعة وفضل بن ربيعة . ولا نعرف عن حياتهما ، غير ما ذكر ، شيئا .

الفصل الثالث

امـــارة العـــرب الرسمية

اشتهر آل ربيعة من طيء في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، وكان ربيعة بن حازم أمير عرب الشام في زمن حكم طغتكين (٤٩٧هـ/١١٠٣م — ٥٢٢هـ/١١٢٨م) ، أتابك دقائق السلجوقي (١) . والمصادر المعاصرة لا تذكر ربيعة هذا ، وانما تذكر ولديه مرا وفضل (٢) اللذان ينسب اليهما آل فضل وآل مرا . وكانت مكانة هؤلاء الامراء ، كما يظهر من المصادر المعاصرة،اهم من مكانة غيرهم كما كانت مشاركتهم في الاحداث اكثر من مشاركة غيرهم . ويبدو ان قوتهم كانت اكبر من قوة القبائل الاخرى في بلاد الشام مثل كلاب في الشمال وبنو كلب في الوسط . اما كلاب فقد كانت لها الزعامة على القبائل في بلاد الشام الشمالية حتى زمن الظاهر (٣) الايوبي صاحب حلب ، حيث اصبحت — بسبب تفككها وانقسامها وعدم تمكنها من السيطرة على القبائل الاخرى —

(١) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص٢٩ . وقد ذكر العمري، عن الحمداني النسابة ان ربيعة نشأ في أيام أتابك زنكي وولده نور الدين ونبغ بين العرب « فاكرمه وشاد بذكره » ، **مسالك الابصار**، ج٢ ص ٢٥ ، ٣٨. لكننا لا نجد ما يؤيد ان ربيعة هذا كان يعيش في زمن طغتكين . ولذلك فان ربيعة هذا اما ان يكون قد عمر طويلا او أن المقصود ابنه فضل . اما الغزي،فقد نسب آل مهنا ، الذين آلت اليهم الامارة زمن المماليك ، الى بدر بن ربيعة ، وليس لربيعة ابن اسمه بدر عند الحمداني النسابة وان كان قد ذكر ابن خلدون ، استنادا الى المسبحي المؤرخ (ت٤٢٠هـ/١٠٢٩) ان،هنالك شخصا اسمه بدر بن ربيعة ، وعليه استند القلقشندي في صبح الاعشى . ارجع الى الغزي ، **نهر الذهب في تاريخ حلب** (حلب ، ١٩٢٦) ج٣ ص ٢٢١ ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، **صبحي الاعشى** ، ج٤ ٢٠٣ . ونجد عند ابن القلانسي ، **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٩٤—١١٥ ، وابن ميسر **اخبار مصر** ج٢ ص ٢٥ ، اسم بدر بن حازم وليس بدر ابن ربيعة بن جازم ، وعلى الارجح ان بدرا هو اخو ربيعة وليس ابنه .

(٢) ذكر ترتون A. S. Tritton في مقالته
"The Tribes of Syria in the Fourteenth and Fifteenth Centuries, **BSOAS**, (1948) p. 567.
ان فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح كان معاصرا لحسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح ، لكن حسان هذا عاش في النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الاول من القرن الخامس الهجريين (النصف الثاني من القرن العاشر والاول من الحادي عشرالميلاديين) ، اما فضل بن ربيعة فقد عاش في النصف الاول من القرن السادس الهجري (الثاني عشر) — كان اميرا سنة ٥٠١هـ (١١٠٧م) ولذلك لا يعقل ان يكونا متعاصرين وبينهما هذه الفترة الزمنية الطويلة . والذي دفعه الى هذا القول مقارنته بين سلسلتي النسب . ونسب فضل الذي اعتمد عليه كان ناقصا ، ونسبه الصحيح هو : فضل بن ربيعة بن حازم بن علي بن المفرج بن دغفل بن الجراح . فعلى بن المفرج هو أخو حسان ومعاصره وليس فضل الذي كان معاصرا لمرا بن ربيعة .

(٣) في فقرة قصيرة عند ابن العديم في **كتاب من تاريخ حلب** (ج٣ ورقة ٢٤٧ أ) ، ما يوضح هذه النقطة بصورة مناسبة . قال : « زالت دولة بني رداس وبقيت امرة العرب من بني كلاب الى زمن ولاية الملك الظاهر ثم ازاحهم عنها الى طيء فدخلوا (اي كلاب) الى بلاد الروم ، وتحضر منهم جماعة وانشغلوا بالمعايش » . ويؤيد ذلك ما جاء عند ابن الفرات ، **تاريخ ابن الفرات** (مخطوط الرباط) ج٦ ورقة ٢٩٢ ب ، من ان طاهر بن غنام — من ربيعة طيء — قد اتصل بخدمة الحلبيين وأمر على سائر العرب ، وان علي بن حذيفة (حديثة) أمر قبل ذلك في حلب على حساب الاحلاف . ج٦ ورقة ٢٩٢ .

من احلاف آل فضل لما اصبح هؤلاء اصحاب الامرة على جميع العرب (٤) . اما كلب فقد انتهى دورها في الحياة القبلية والسياسية للمنطقة ، اما لتفرقها او نتيجة لاستقرارها في الحواضر والارياف القريبة من مواطنها ، بحيث لم يعد يسمع لها ذكر بين القبائل البدوية . كل ذلك ترك المجال مفتوحا امام القبائل التي لم تستقر كليا في المراكز الثابتة، لتوسيع نفوذها . واستغلت ربيعة طيء هذه الفرصة فمدت نفوذها الى الشمال باتجاه دمشق وحلب .

استقر آل الجراح ، كما رأينا في الفصل السابق ، في جنوبي بلاد الشام ، لكن ظروف علاقاتهم مع الدولة الفاطمية من ناحية ، وطبيعة الحياة البدوية التي كانوا يعيشونها من ناحية اخرى ، لم تسمح لهم بالاستقرار كليا . وكان من نتيجة ذلك ان توسعوا تدريجيا نحو الشمال الى مناطق البلقاء وحوران ودمشق . ولم يتوقف التوسع عند هذا الحد ، ذلك ان التكاثر الطبيعي لفروعهم ، ومحدودية الموارد في المناطق التي استوطنوا على اطرافها ، والصراع المستمر بين البيتين الرئيسيين ، آل مرا وآ فضل، على الزعامة ، دفع آل فضل الى الانتقال الى الشمال من دمشق بمحاذاة المناطق المأهولة ، وقرب حمص وحماة (٥) . اما آل علي من آل فضل فقد بقوا في منطقة دمشق والى الجنوب والشرق منها (٦) .

---

(٤) يعزو ابن فضل العمري سبب ضعف كلاب الى عدم خضوعها لامير واحد ، فهم كما قال « أشد العرب بأسا واكثرهم ناسا ولكنهم لا يدينون لامرء (لامرىء) منهم يجمع كلمتهم ... ولو انقادوا لامير واحد لم يبق لاحد من العرب بهم قبل ولا طاقة » . **مسالك الابصار** (طبقبوسراي) ج٣ ، ص ٥١ .

(٥) يرد في حاشية الورقة ٢٤٨ من كتاب **معجم ما استعجم** لابي عبيد البكري (مخطوطة . نسخة راغب باشا باسطنبول رقم ١٠٦٦) شيء له علاقة بتاريخ استيطان آل فضل للمنطقة الشمالية هذا نصه : «وادي فرير بين حماه وعرض (بلدة في برية الشام بين تدمر والرصافة الشامية . **معجم البلدان** ، ج ٤ ص ١٠٣) من ارض الشام بينه وبين حماه ثمانية فراسخ وفيه مياه وقرى ، ومياهه جفار . نزله بنو فرير بن عنين بن سلامان بن ثعلب بن عمرو بن الغوث بن طيء . ويعرف بنو فرير اليوم بآل فضل وآل مرى (مرا) . وفضل ومرى ابناء ربيعة بن حازم . نزل فضل بهذا الوادي حين خرج فضل ومرى من الحجاز في سنة ٥١٢هـ ، وكان لهم مع الفرنج وقعة كبيرة قتلوا ... صاحب دمشق من الفرنج ... فعرف هذا الوادي بهم ، واميرهم اليوم وهي سنة ثلاثين وسبع مائة (٧٣٠هـ/١٣٣٠م) مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثة ... بن غضية بن فضل بن ربيعة بن حازم ...» لكن هنالك بعض النقاط التي تحتاج الى توضيح . فآل فضل من سلسلة... بن عنين وليس من فرير ، وكان بنو فرير من اتباعهم (**مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٧) . وايضا فهم لم يخرجوا من الحجاز — كما يعرف الحجاز في الوقت الحاضر — وانما من جنوب بلاد الشام، من منطقة البلقاء وحوران . أما ما عدا ذلك فالاحداث التي ترد تؤيدها الاخبار الاخرى .

(٦) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٥ .

وكانت امرة العرب ، حتى سلطنة الملك العادل الايوبي الاولى على دمشق ، (١١٩٦/٥٩٢ ــ ١٢١٨/٦١٥) وحلب (في حلب ١١٨٣/٥٧٩ ــ ١١٨٦/٥٨٢) امرة قبيلة ليس لها ارتباط محدد بالسلطة في دمشق او القاهرة ، مع اننا نجد اشارات من زمن الفاطميين تدل على ان مراسيم الامرة على الرملة قد ارسلت الى امراء آل الجراح (٧) ،على الاقل في بداية قيام امارة طيء ، كما نجد اشارة اخرى من عصر صلاح الدين تدل على ان والي دمشق كان « محكم في جميع قبائل العرب وعشائرهم ، وهو يتولاهم ويجريهم على معتادهم في رسمهم ومعيشتهم وعدادهم» (٨) . لكن هذه الاشارات وما تدل عليه، لا توضح العلاقة الرسمية بالشكل الدقيق الذي اصبحت عليه فيما بعد .

وفي زمن الملك العادل الايوبي الاول أصبحت الامرة رسمية ، ويذكر ابن فضل الله العمري انه « لم يصرح لاحد من هذا البيت (آل فضل) بامرة على العرب ، **بتقليد من السلطان** ، الا ايام العادل ... أمر منهم حديثه » (٩) بن فضل بن ربيعة . ولم تكن هذه الامرة على آل فضل وحدهم او حتى على جميع فروع طيء بالشام ، وانما على جميع العرب (الاعراب) في بلاد الشام الذين كانوا تحت طاعة السلاطين . وفي رواية لابن الفرات نجد معلومات جديدة توضح ما جاء عند ابن فضل الله ، ذلك انه ينسب الى الملك الكامل الايوبي (٦١٥هـ/١٢١٨م وما بعدها) تأمير مانع بن حديثة من آل فضل من طيء على جميع العرب بعد ان كان قد قسمها ، بعد وفاة حديثة (١٠) ، نصفين بين

---

(٧) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٢٢ ، **ذيل تجارب الامم**، ج٣ ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩ .

(٨) هـ. جب ، « جيوش صلاح الدين » في **دراسات في حضارة الاسلام** (بيروت ، ١٩٦٤) ص ١١٨ حاشية ٧٢ .

(٩) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٩ . اما ابن خلدون فقد ذكر ، استنادا الى العماد الكاتب الاصفهاني في **البرق الشامي** ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٣٧ ، ٩٤٠،ج٦ (ط. بولاق) ص ٧ ان مبدأ رئاستهم في ايام بني ايوب كانت لعيسى بن محمد . ثم ينقل عن **البرق** « نزل العادل بمرج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الاعراب في جموع كثيرة من العرب ». ومع ان شيخ الاعراب لا تدل على الامارة الرسمية فان اسم عيسى بن محمد بن ربيعة لا يرد عند غيره . كما ان اسم محمد ليس بين اسماء ابناء ربيعة الذين يذكرهم الحمداني ، الذي عنه ينقل العمري والقلقشندي ، وهم : فضل ، مرا ، ثابت ، دغفل. **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٧ . اما صاحب **الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة** (حيدر أباد الدكن ، ١٣٤٨هـ ــ ١٣٥٠) فقد ذكر (ج١ ص ٣٢١) أن اول من نوه به من هذا البيت في **ايام العادل** هو عمر بن بلى (؟) . لكنني لم اجد لهذا الخبر اي تأييد في اي مصدر اخر . والخط تحت « بتقليد من السلطان » مضاف على الاصل ومن وضعي .

(١٠) ذكر صاحب **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٨ ، أن حديثه هو ابن غضية بن فضل ، لكنه ذكر قبل ذلك بقليل انه ابن فضل . وجميع المصادر التالية تذكر أن حديثة هو ابن فضل . وفي رواية اوردها ابن الفرات ما يثير الشك حول كون غضية (او غضبة او عصية او عصبة) ابن فضل اذ قال : « وكانت العرب من آل فضل وغضية مثل مانع واخوه على واولادهما ، وغنام واولاده ... » **تاريخ ابن الفرات** (الرباط) ج٦ ورقة ١١٨ ب ــ ١١٩ أ . وربما كان غضية أخو فضل .

مانع وغنام بن ابي طاهر بن غنام (١١) . ويبدو أن الاسباب التي دفعته الى اعطاء الامرة كاملة الى مانع ، كانت شخصية (١٢) .

وهكذا اصبحت الامرة على آل فضل وجميع العرب ، من نهاية القرن السادس او بداية القرن السابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) ، لآل فضل بن ربيعة في بيت مانع بن حديثة (١٣) . وكان ينافسه على امرة العرب في ذلك الوقت (بعد ٦١٥هـ/١٢١٨م) وحتى وفاته سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٢م) ابو علي طاهر بن غنام (١٤) لكنه لم يتمكن من الحصول عليها الا سنة ٦٣٨هـ (١٢٤٠م) ، زمن الملك العزيز الايوبي صاحب حلب (٥١) . ثم انتقلت الامرة ، بسبب تنافس بيوت آل فضل عليها ، الى ابناء علي بن حديثة شقيق مانع (٦١) ، ولكن لم يستمر طويلا ، فخرجت عنهم ثم عادت اليهم فكان أمير العربمن زمن المعزاييك (٦٤٨هـ/١٢٥٠م — ٦٥٥هـ/١٢٥٧م) وحتى بداية حكم الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨هـ/١٢٦٠م — ٦٧٦هـ/١٢٧٧م) الامير زامل بن علي بن حديثة (١٧) .

---

(١١) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٩ وهم اول من رآهم الحمداني الذي عاصر القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) .

(١٢) **تاريخ ابن الفرات** (الرباط) ج٦ ورقة ١١٩ أ ، المقريزي ، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، (القاهرة ، ١٩٣٦ — ١٩٥٨) ج٢ ص ٢٠٠ ، ٢٤٧ ، **مفرج الكروب** ، ج٣ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ ، **المختصر** ، ج٣ ص ١١٩ .

(١٣) **زبدة الحلب** ، ج٣ ص ١٨١ — ١٨٢ .

(١٤) من آل فرج (او فرج) من آل ربيعة ، وفرج بن حية من الامراء الذين وفدوا على المعزاييك في سلطنته . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص٢٧ ، ٤٧ ، **تاريخ ابن الفرات** (الرباط) ج٦ ورقة ٢٩٢ ب .

(١٥) **زبدة الحلب** ، ج٣ ص ٢٥١ —٢٥٢ ، ابن الفوطي ، **الحوادث الجامعة** (بغداد ، ١٣٥١هـ) ص ١٣٠ .

(١٦) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٩ ، **السلوك** ، ج١ ص ٤٦٢ .

(١٧) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٧ ، ابن ابي الفضائل ، **النهج السديد والدر الفريد في ما بعد تاريخ ابن العميد** (باريس ، ١٩١١ — ١٩٣٢) ص ٨١ ، ٩٣ ، اليونيني ، **ذيل مرآة الزمان** (حيدر اباد الدكن ، ج١ ص ٤٤٠ ، ابن عبد الظاهر ، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر** (نشر النص العربي مع ترجمة انجليزية السيدة فاطمة صديق بعنوان **Baybars of Egypt** الباكستان ، ١٩٥٦) ص ٢٧ من النص العربي . وكل مرة يذكر فيها هذا المصدر فان ذلك يشير الى النص العربي منه .

وانحصرت امرة العرب ، من بداية حكم الظاهر بيبرس ، في آل فضل بن ربيعة (١٨) . اما آل مرا فقد كانت لهم امرة خاصة بهم ، كما كانوا — على الاقل في البداية ، وزمن الامير احمد بنحجي بن بريد — « ملوك العرب في البلاد القبلية » ويدخل في امرتهم عدد من القبائل وبيوت العرب (١٩) . وقد كان التنافس بين الجانبين قويا في البداية (٢٠) ، الا ان الاستقلال الفعلي لكل بيت في امرة منطقته ادى الى توقف ذلك . وقد ظهر في كل بيت صراع من نوع جديد ، وهو التنافس بين الامراء على الامرة . وكان تنافس بيوت آل فضل على الامرة من اهم الاسباب التي أثرت في تطور « امارة العرب » خلال فترة المماليك البحرية .

انقسم آل فضل من بداية حكم المماليك الى قسمين : آل عيسى بن مهنا بن مانع ابن حدثية، وآل علي بن حديثة (٢١). وكانت الامرة اغلبالوقت في آل عيسى بنمهنا،الا انه كان يحدث احيانا عند خروج امير آل عيسى عن الطاعة او غضب السلطان عليه ، ان يعين احد امراء آل علي مكانه . وقد كان ذلك يؤدي الى قيام آل عيسى بالمشاكل ضد المماليك ، التي كانت تستمر حتى تعود الامرة اليهم .

وانحصر النزاع على الامرة ، خلال القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) — معظم الوقت — ، بين افراد بيت الامير عيسى بن مهنا (٢٢). فبعد وفاة عيسى بن مهنا سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) ، اعطيت الامرة لابنه مهنا ، لكن اشتراك هذا الامير في حركة قراسنقر ضد السلطان الملكالناصر محمد بن قلاوون ادى الىتوليه اخيه الاميرفضل بن عيسى (٢٣) . وبعد ذلك ، وفي المرات الاخرى التي خرج فيها مهنا ، كان يتناوب آل فضل بن عيسى وآل علي على تولي الامرة .

---

(١٨) لقد انحصرت الامرة ، معظم الوقت ، في آل مهنا بن مانع من آل فضل . وربما كان لما وقع بين الظاهر بيبرس وعلى بن حديثة ومهنا اثر كبير في توليه عيسى بن مهنا واستمرار الامرة في هذا البيت . ذلك ان الظاهر بيبرس في فترة تشريده في بلاد الشام في نهاية الدولة الايوبية نزل على عيسى بن مهنا فبالغ هذا في اكرامه وقدم له افضل خيلة ، بينما رفض علي بن حديثة ، الامير في ذلك الوقت ، ان يعطيه فرسا . وعندما تولى الظاهر السلطنة ، انتزع الامرة من ابي بكر بن علي بن حديثة واعطاها لعيسى . وقد حاول احد المنافسين من الامراء (احمد بن طاهر بن غنام) ان يشارك عيسى بالامرة ، لكن الملك الظاهر هو رفض ذلك ، واكتفى باعطائه امرة « ببوق وعلم » . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٨ — ٢٩ .

(١٩) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٦ ، **صبح الاعشى**،ج٤ ص ٢٠٩ ، القلقشندي ، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان** (القاهرة ، ١٩٦٣) ص ٨٠—٨١ .

(٢٠) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٩—٣٠ ، **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٢٣٢ .

(٢١) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٧ ، ٤٥ .

(٢٢) كان عدد اولاد عيسى هذا ، واولاد اولاده ، كما ذكر المقريزي ، نحو ١١٠ لكل منهم امرة واقطاع . **السلوك** ، ج٢ ص ٨٩٦ .

(٢٣) اصبح اهل بيته آل فضل بن عيسى ، وكانوا لا يدخلون تحت حكم اولاد مهنا مباشرة . **الدرر الكامنة** ، ج٢ ص ١٨٣ . وستبحث حركة قراسنقر بالتفصيل في الفصل الخامس .

وبعد وفاة مهنا سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥م) ، وحتى نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، تولى ابناؤه واولادهم امرة آل فضل وامرة العرب . وقد كان يحدث ، كما كان الامر في السابق ، أن تخرج الامرة عنهم الى بني اعمامهم آل فضل بن عيسى وآل علي بن حديثة (٢٤) . وفي هذه الحالات ايضا ، كان خروج الامرة عن آل مهنا لفترات قصيرة ، حيث كانت تعاد اليهم من جديد . والسبب في ذلك هو انه كان لآل مهنا هيبة عند آل فضل وغيرهم من القبائل . كما كان بامكانهم المحافظة على الامن وطرق القوافل التجارية والحجاج ، الامر الذي لم يكن متيسرا لغيرهم . وهذا الواقع هو الذي كان يدفع السلاطين في القاهرة والامراء المماليك في الشام وحلب الى التقرب من آل مهنا ، والعمل على ارجاعهم الى الطاعة بشتى الوسائل ، لان استمرار خروجهم كان يعني استمرار الفوضى وقطع الطرق والاستيلاء على قوافل التجار ونهب الغلال والحاق الاذى بالريف والحواضر .

ولم تكن امرة العرب مقتصرة على امير واحد في بعض الحالات ، بل كانت تقسم بين اميرين او اكثر . فقد كانت تقسم احيانا الى نصفين،لكل نصف امير ، واحيانا اخرى الى اربعة اقسام ، حسب اهمية الامراء . وقد لجأت الدولة الى هذا الاجراء اما لضعف شخصية الامير المعين وعدم تمكنه من السيطرة على جميع فروع قبيلته او — في حالة وجود اكثر من امير كبير — لتساوي مرتبة الامراء المتنافسين على الامرة في نظر السلاطين . وكان يتبع ذلك تقسيم اقطاعات الامرة بين هؤلاء الامراء ، كل حسب حصته (٢٥) .

---

(٢٤) **المختصر** ، ج٤ ص ١٣٨ ، **السلوك** ، ج٢ ص ٦٥١ ، ٩٥٩ ، ٧١٩ — ٧٣٢ ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٤٠ — ٩٤٤ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٥٨ أ — ب ج١ ورقة ١٥٤ ب ، **البداية والنهاية**، ج٤ ص ٢٧٢ ، ابن حجر ، **انباء الغمر بابناء العمر** ، (حيدر أباد الدكن ، ١٩٦٧) ج١ ص ٣٠ .

(٢٥) قسمت الامرة ، زمن الكامل الايوبي بين مانع بن حديثة وغنام. **مسالك الابصار**، ج٣ ص ٢٩ ، **العبر**، ج٥ ص ٩٤٠ . وفي سنة ٦٧٩هـ (١٢٨٠م) ، قسمت الامرة على آل فضل بن ربيعة بين فخر الدين عثمان بن مانع بن هبة ، وشمس الدين محمد بن ابي بكر ، وحسام الدين دراج بن الظاهر . ابن الفرات، **تاريخ ابن الفرات**، (بيروت ، ١٩٣٤ — ١٩٤٢) ج٧ ص ١٧٧ ، **السلوك** ، ج١ ص ٦٧٩ . وبعد عزل حيار بن مهنا عن الامرة سنة ٧٦١هـ (١٣٦٠م) ، عين عمر بن موسى بن مهنا ، ورملة بن جماز بن محمد بن ابي بكر شركاء في الامرة . ابن كثير ، **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ٢٧٢ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ١٥٤ ، **السلوك** ، ج٢ ص٨٩٦ ، ٩١٧ . وفي سنة ٧٨٦هـ (١٣٧٩م) قسمت بين معيقل (معتقل) بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن مهنا ونعير بن حيار بن مهنا . **العبر** ، ج ٥ ص ٩٤٤ ، **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٥١ — ٥٢، **ابناء الغمر** ، **ج١** ص ٣٠٠ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٥٨ أ — ب . اما بالنسبة للقبائل الاخرى وتقسيم امرتها فانظر عن آل مرا ، **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٦ ، **صبح الاعشى** ، ج١٢ ص ١٣٢ — ١٣٥ . وعن بني مهدي ، **صبح الاعشى** ، ج١٢ ص ١٣٧ ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

وتولى امرة العرب (٢٦) ، منذ قيامها وحتى نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، عدد كبير من الامراء (٢٧) ، كانت تختلف مدة ولاياتهم طولا وقصرا حسب علاقاتهم مع السلاطين في القاهرة (٢٨) . واشهر الامراء الذين طالت فترات امرتهم ، ولو بشكل متقطع ، هم : مانع بن حديثة (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) ، وعيسى بن مهنا بن مانع (ت ٦٨٣هـ/١٢٨٤م) ، ومهنا بن عيسى (ت ٧٣٥هـ/١٣٣٥م) وحيار بن مهنا (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤ — ٧٥م) (٣٠) ، ومحمد نعير بن حيار (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) (٣١).

والاكتفاء بهؤلاء المشهورين من الامراء لا يعني عدم ظهور امراء كان لهم اثرهم في تاريخ الامرة . هؤلاء الامراء الذين كانوا يتولون الامرة في حال خروجها عن آل مهنا ، مثل امراء آل علي بن حديثة وامراء آل فضل بن عيسى بن مهنا والامراء الاخر من آل مهنا . كما انه لا يمكن ان تكتمل صورة تاريخ الامارة الطائية خلال هذه الفترة دون ذكر لامراء آل مرا خاصة بيت احمد بن حجي بيت الامرة لهذا الفرع من ربيعة طيء (٣٢).

اشهر امراء العرب في فترة الامارة الرسمية

١ — مانع بن حديثة

كان الامير حديثة هو اول من تولى امرة العرب الرسمية ، كما ذكر في السابق . وتولى الامرة بعده ابنه الامير مانع . واول ذكر لهذا الامير ، كأمير للعرب ، يرد في

---

(٢٦) سيقتصر هنا على بعض الامراء الذين تولوا امرة آل فضل وامرة العرب عامة في نفس الوقت كما كانت العادة . وعامة العرب بالنسبة لامرة العربتعني من كان يدخل تحت طاعتهم او محالفا لهم . وذلك لا يشمل بعض القبائل التي كانت لها علاقاتها المباشرة مع السلطنة في القاهرة مثل بني مهدي ، وبني عقبة ، وآل مرا من طيء الذين كانوا امراء العرب في بلاد الشام الجنوبية .

(٢٧) حوالي ٣٠ اميرا . **العبر** ، ج٥ ص ٩٤٠ — ٩٤٥ حيث قدم عرضا تاريخيا موجزا للامرة حتى زمنه وهو نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) .

(٢٨) لم يحدث ان تولى امير الامرة باستمرار ودون خروجها عنه ، وانما كانوا يعزلون ثم يعادون الى الامرة مرة او اكثر حسب الظروف .

(٢٩) يرد حديثة على شكل « حذيفة » ، ولكن الصورة التي اعتمدت هي تلك التي اخذت عن ابن فضل الله العمري في **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ١ — ٧٥، المنقولة عن الحمداني الثقة في شؤون العرب في زمانه القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي).

(٣٠) « حيار » الرسم الذي اعتمد هنا يرد بصور اخرى مثل «جبار» حيث يعتقد ان حيار من تحريف النساخ، وكذلك « خيار » .

(٣١) كان اسمه قبل تولي الامرة نعير ، وغير او اضيف اليه « محمد » بعد توليه الامرة . **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ١٨٦ .

(٣٢) اشتهر آل مرا خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، وكانوا يعاملون كأنداد لآل فضل ، لكن امرهم ضعف بعد وفاة احمد بن حجي (٦٨٢هـ/١٢٨٣م) بسبب خلافاتهم الداخلية ، ولم يذكروا بعد ذلك الا في نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) . انظر : **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٦ .

احداث سنة ٦١٥هـ (١٢١٨م) حيث استعان الملك الاشرف الايوبي به وجماعته من طيء وغيرهم من العرب في حربه مع سلاجقة الروم (٣٣) . وفي سنة ٦٢٣هـ (١٢٢٦م) ارسله الملك الاشرف الايوبي الى حمص لنجدتها من حصار الملك المعظم الايوبي لها ، فقام الامير مانع وعربه بنهب القرى حول المدينة — كالمعرة وحماه — ، كما كانت لهم حروب مع عرب دمشق (٣٤) .

ويرد ذكر هذا الامير في مؤتمر عقده الملك الاشرف في غوطة دمشق للقبائل الطائية من اجل ما قامت به من الاستيلاء على غلات عرب الملك المجاهد من قبيلة بني خالد التي كانت تسكن حول حمص (٣٥) . وحضر هذا الاجتماع معظم امراء طيء من آل فضل وغنام وثابت ومرا (٣٦) . وقبل وفاة هذا الامير بثلاث سنين قدم هو والامير غنام على الملكين الايوبيين الاشرف والكامل عندما كانا معسكرين بالرقة ، ثم تركوهما وعسكرهما وعادا الى بلادهما (٣٧) .

وتوفي الامير مانع « امير العربان » سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٣م) ، فحمل الى بلده سلميه ، التي يظهر انها كانت اقطاعه ، فدفن بها (٣٨) .

وامر الملك الاشرف الايوبي ، بعد وفاة الامير مانع ، ابنه مهنا ، لكن ذلك لم يكن لمدة طويلة ، اذا انتقلت الامرة الى علي بن حديثة وطاهر بن غنام من آل فضل بن ربيعة . ويبدو انها استقرت اخيرا لعلي بن حديثة الذي اخرجه الظاهر بيبرس وولى مكانه عيسى بن مهنا بن مانع .

٢ — عيسى بن مهنا واحمد بن حجي

كانت امرة العرب عند قيام دولة المماليك بيد على بن حديثة وكان ينافسه عليها عيسى بن مهنا الذي اشترك في معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) الى جانب

---

(٣٣) **زبدة الحلب** ، ج٣ ص ١٨١ — ١٨٢ ، **مفرج الكروب** ، ج٣ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ ، **المختصر** ، ج٣ ص ١١٩ ، **السلوك** ، ج١ ص ٢٠٠ .

(٣٤) **زبدة الحلب** ، ج٣ ص ١٩٧ .

(٣٥) بنو خالد من بني مخزوم من قريش . كانوا يسكنون منطقة حمص في ذلك الوقت . القلقشندي ، **نهاية الارب في معرفة قبائل العرب** (القاهرة ، ١٩٥٩) ص ٢٤٢ .

(٣٦) **تاريخ ابن الفرات** (الرباط) ج٦ ورقة ١١٨ ب — — ١١٩ أ .

(٣٧) **المصدر ذاته** ، ج٦ ورقة ٥٦ ب ، ٥٧ أ ، **السلوك**، ج ١ ص ٢٣٨ — ٢٤٢ .

(٣٨) **تاريخ ابن الفرات** ، (الرباط) ج٦ ورقة ١١٩ أ ، **السلوك** ، ج١ ص ٢٤٧ .

المماليك فأنعم عليه الملك المظفر قطز « بخبزه (٣٩) الذي كان له في الايام الناصرية (اي ما كان له من اقطاع زمن الملك الناصر الايوبي)» (٤٠) . وعندما تولى السلطان الظاهر بيبرس السلطنة ، عزل علي بن حديثة (٤١) واسند الامرة على جميع العرب في بلاد الشام الى عيسى بن مهنا ، وكتب له « منشورا بالامرة على جميع العربان » (٤٢) سنة ٦٦٣هـ (١٢٦٥م) . وقد اطلق المؤرخون على هذا الامير لقب ملك العرب (٤٣) .

وامتازت فترة امارة عيسى بن مهنا بالهدؤ والاستقرار وقلة فساد الاعراب ، فقد « امتنع عن سفك الدماء الا بحكم الله ، فأصلح له من امرة العرب ما فسد في ايام غيره وقل فسادهم بل كاد يعدم في ايامه ، وانحسمت مادة اذاهم للقفول وغيرها » (٤٤) . ويرجع ذلك الى لينه وحسن سياسته . ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل كان للعرب ولآل فضل خاصة ، دور هام في احداث الفترة التي تولى فيها مهنا الامرة ، من استكشاف اخبار التتار والمشاركة في حروب الدولة ضدهم .

وتولى الامير عيسى الامرة ، دون انقطاع ، مدة عشرين عاما لم تخرج عنه الا مرة واحدة ، وذلك عندما قام ، بالاشتراك مع امير آل مرا ، بتأييد حركة سنقر الاشقر .

---

(٣٩) الخبز هو الاقطاع،وسيوضح ذلك عند بحث اقطاعات العرب في الفصل الرابع .

(٤٠) **ذيل مرآة الزمان** ، ج١ ص ٤٨٥ . والمقصود بالايام الناصرية ايام حكم الملك الناصر صلاح الدين الثاني الايوبي الذي حكم في دمشق وحلب بين ٦٤٨هـ/١٢٥٠م و ٦٥٨هـ/١٢٦٠م . انظر
C. E. Bosworth, **The Islamic Dynasties,** in the series of Islamic Surveys, no. 5, ed. w. m. Watt., Edinburgh, the university press, 1967, pp. 59-62.

(٤١) أورد ابن الفرات صورة جيدة عن اسلوب حكمه على العرب لها دلالتها . فقد كان يحب سفك الدماء والقتل ، واستعمل انواعا غريبة من القتل والتعذيب . ويعلق على ذلك بقوله ، ومع ذلك « فقد كان الفساد في زمنه مستشريا ، وامر العرب لا يزداد الا شدة . » **تاريخ ابن الفرات** ، ج٨ ص ١٢—١٣. وقد توفي في بداية حكم الظاهر بيبرس .

(٤٢) **الروض الزاهر** ، ص ٣٤ ، بيبرس الدوادار ، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة** (مخطوط) منه نسخة ميكروفيلم مصور عن مخطوط المتحف البريطاني رقم ١٢٣٣ . ج١٠ ورقة ٥١ ب . ابن حبيب ، **درة الاسلاك في دولة الاتراك.** (مخطوط ومنه صورة بالفوتوستات في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم (MS 951.1 : I 13bA ج١ ورقة ٣٤ أ حيث ذكر انه تولى الحكم على جميع العرب .

(٤٣) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ صص ٣٦ ، ٥٤ ، ٢٣١، الذهبي ، **العبر في خبر من غبر** (الكويت ، ١٩٦٧) ج٥ ص ٣٤٤ ، ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب في اخبار من ذهب** (القاهرة ، ١٣٢١ هـ) ج٥ ص ٣٨٣ . فيت ، **المنهل الصافي** (ملخص بالفرنسية، القاهرة ١٩٣٢) رقم الترجمة ١٧٧٣ .

(٤٤) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٨ ص ١٢—١٣ ، الطباخ، **اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء** (حلب ، ١٩٢٣ — ١٩٢٦) ج٤ ص ٥٢٣ عن **المنهل الصافي** .

وقد كان ذلك لمدة تقل عن العام (٤٥) ، عاد بعدها الى منصبه السابق ، واستمر فيه حتى توفي سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) . ولم ينافسه على الامرة خلال هذه الفترة سوى الامير زامل بن علي بن حديثة (٤٦) ، وما كان بينه وبين الامير احمد بن حجي امير آل مرا من المنافسة « ما يكون بين النظراء » (٤٧) . وربما كان ذلك يرجع الى اخلاقه الشخصية التي اهلته لتولي هذا المنصب والاستمرار فيه . فقد وصفه اليونيني بانه كان « كريم الاخلاق ، حسن الجوار ، مكفوف الشر ، مبذول الخير ، لم يكن في العرب من يضاهيه ، وعنده ديانة وصدق لهجة لا يسلك مسلك العرب في النهب وغيره » (٤٨) . ويضيف ابن حبيب الى ذلك انه كان « حسن السياسة ، رفيع المنزلة ، لا يعدل عن المعدلة » (٤٩) .

وتوفي الامير عيسى بن مهنا في ربيع الاول من سنة ٦٨٣هـ (ايار ١٢٨٤) ، وصلى عليه صلاة الغائب بدمشق في اليوم التاسع من هذا الشهر (٥٠) ، وتولى الامرة بعده ابنه الامير مهنا .

وكان يعاصر الامير عيسى امير الفرع الثاني من بني ربيعه في بلاد الشام وهو الامير احمد بن حجي بن بريد (٥١) « ملك العرب بالبلاد الحجازية » (٥٢) . وكانت امرة

---

(٤٥) خرج عن الطاعة في محرم سنة ٦٧٩ هـ وعاد في ذى القعدة منها . **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٣٦ ، ٥٤ . وستبحث حركة سنقر الاشقر بالتفصيل في الفصل الخامس .

(٤٦) **الروض الزاهر** ، ص ٢٧ ، **النهج السديد** ، ص٢٩٣ ، **المختصر** ، ج٤ ص٣ ، ابن الفرات ، **تاريخ ابن الفرات** (قطعة من الجزء السادس حققها ميخائيل خوري ، رسالة ماجستير في مكتبة الجامعة الاميركية ، بيروت ، ١٩٦١) ص ١٤٩ ، **السلوك**، ج١ ص ٥٣—٣٦ .

(٤٧) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٢٣٢ .

(٤٨) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٢٣١ ، وعنه ينقل صاحب **المنهل الصافي** الذي عنه نقل الطباخ في **اعلام النبلاء** ، ج٤ ص ٥٢٤ . ابن تغرى بردى ، **النجوم الزاهرة** (القاهرة ، ١٩٢٩ — ١٩٥٦) ج٧ ص ٣٦٣ .

(٤٩) **درة الاسلاك** ، ج١ ورقة ٧١ ب .

(٥٠) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٢٣٢ ، **النجوم الزاهرة** ، ج٧ ص ٣٦٣ ، **اعلام النبلاء** (عن **المنهل الصافي**) ج٤ ص ٣٤٤ ، **العبر في خبر من غبر** ، ج٥ ص ٣٤٤ ، **درة الاسلاك** ، ج١ ورقة ٧٠ ب . وكانت صلاة الغائب لا تقام الا للشخصيات البارزة .

(٥١) كان وامراء آل فضل يدعون انهم من نسل البرامكة ، ولكن ذلك غير صحيح . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٦ — ٢٧ ، **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ١٨٣، ابن تغرى بردى **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** (القاهرة ، ١٩٥٦) ج١ ص ٢٤٨ ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٦ (تحقيق م. خوري) ص ٢٠٥ — ٢٠٦ ، ج٧ ص ٢٨٢ ، **شذرات الذهب** ، ج٥ ص ٣٧٦.

(٥٢) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٣٦ .

آل مرا ، كما رأينا، مستقلة عن أمرة آل فضل ، الا انهم — نظريا — كانوا جميعا تحت نفوذ « امير العرب » .

وكان نفوذ الامير احمد يمتد من حوران الى الحجاز ونجد وبرية العراق ، حتى ان امير المدينة المنورة كان يؤدي له الخفارة (٥٣) . كما انه كان على علاقة حسنة مع السلطانين الملك الظاهر بيبرس والملك المنصور قلاوون فأخضع البادية لسلطتهما ، وشارك باربعة آلاف مقاتل في حرب التتار سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م) (٥٤) .

ولا نجد في المصادر المتداولة الشيء الكثير عن سيرته وصفاته . واهم اشارة نجدها هيتلك التي اوردها ابن تغري بردي اذ ذكر انه «كان غير مشكور السيرة »(٥٥). ورغم ذلك ، فانه عندما توفي سنة ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) ببصرى (٥٦) ، صلى عليه صلاة الغائب بدمشق (٥٧) ، وذلك يدل على مكانته في ذلك الوقت .

وتولى الامرة من بعده اثنين من ابنائه ، واستمرت في بيتهم حتى نهاية القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) (٥٨) . ومن اشهر امرائهم المتأخرين الامير عنقاء ابن شطي الذي سيرد ذكره كثيرا في حركة منطاش × .

٣ — مهنا بن عيسى

في سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) توفي الامير عيسى بن مهنا ، وتولى الامرة بعده ابنه مهنا (٥٩) ، الذي استمر فيها حتى سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥م) ، لكن الامرة خرجت عنه وعن

---

(٥٣) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ١٨٣ وعنه نقل ابن تغرى بردى في **النجوم الزاهرة**، ج٧ ص ٣٥٧ ، و**المنهل الصافي** ، ج١ ص ٢٤٦ . ومثل ذلك في **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ٢٨٢ .

(٥٤) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٩ .

(٥٥) ابن تغرى بردى ، **المنهل الصافي** ، ج١ ص٢٤٨.

(٥٦) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ٢٨٢ .

(٥٧) **البداية والنهاية** ، ج١٣ ص ٣١٣ .

(٥٨) ارجع الى نسب آل مرا في الملحق الخاص بذلك .

× في الفصل الخامس من هذا البحث .

(٥٩) لعل اشمل ترجمة لحياة مهنا هي تلك التي نجدها عند ابن فضل الله العمري في **مسالك الابصار** ، (مخطوط ايا صوفيا) ج٢٩ ورقة ١٠١ — ١٠٢،وابن حجر العسقلاني ، **الدر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٦٨— ٣٧٠ ، والتي تعتمد في معظمها على ما جاء عند ابن فضل الله . اما بقية المصادر ففيها اشارات عامة مفيدة عن علاقاته بالسلطنة المملوكية مثل الجزء الرابع من **المختصر في اخبار البشر** لابي الفداء **وتتمته** لابن الوردي الملحقة بهذا الجزء من **المختصر** .

لا نعرف تاريخ مولد الامير مهنا ، لكننا نعرف انه كان ، عند وفاته ، قد ناهز الثمانين عاما . فاذا كان قد توفي سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥م) فان تاريخ ميلاده كان بعد ٦٥٠هـ (١٢٥٢م) . **تتمة المختصر** ، ج٤ ص ١١٣، **مسالك الابصار** ، ج٢٩ ورقة ١٠٢ ، **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص١٧٢ — ١٧٣ .

آل فضل ، خلال هذه الفترة ، اربع مرات ، أما بسبب غضب السلطان عليه وعلى اهله لمساعدتهم الخارجين عن طاعة السلطان من الامراء الاتراك ، او لانه كان على اتفاق — في الباطن — مع اخيه فضل على الخروج عن الطاعة لانهما وجدا في مثل هذا الخروج منفعة لهم حتى يحصلوا على الاقطاعات من المماليك والتتار (٦٠) . ففي شهر رجب من سنة ٦٩٢هـ (حزيران ١٢٩٣م) امسك السلطان الملك الاشرف خليل الامير مهنا واخوته وسجنهم بقلعة القاهرة ، واعطى الامرة لابن عمهم محمد بن ابي بكر بن علي بن حديثة امير آل علي (٦١) . لكن ذلك الاعتقال لم يستمر طويلا . فبعد مقتل الملك الاشرف ، افرج الملك العادل زين الدين كتبغا عنهم في بداية سلطنته سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٥) (٦٢) ، واعاد الامير مهنا الى امرة العرب .

واستمر الامير مهنا هذه المرة في امارته حتى خرج الامير قراسنقر على السلطان والتجأ الى مهنا واستجار به فأجاره . وقد حاول مهنا التوسط بين قراسنقر والسلطان، الا ان هذه المحاولات فشلت مما ادى الى خروج مهنا عن الطاعة ايضا . فعزله السلطان عن الامرة وعين مكانه الامير فضل بن عيسى (٦٣) .

وبعد عزل مهنا عن الامرة قام اخوانه وابناؤه بالتوسط لدى السلطان لاعادته الى امرة العرب . وقد وافق السلطان على ذلك ، لكن مهنا رفض الذهاب الى القاهرة لتقديم الطاعة الى السلطان . وادى ذلك الى غضب السلطان فأرسل القوات لطرد مهنا وآله

---

(٦٠) **مسالك الابصار** ، ج٢٩ ، وحدث معظم ذلك بعد سنة ٧١٢هـ . اما اخذهم الاقطاعات من الجانبين فارجع الى الفصل السادس .

(٦١) **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ١٧٩ ب ، **المختصر** ، ج٤ ص ٢٨ ، **النهج السديد** ، ص ٣٩٥ ، زيتر ستين (ناشر) **تاريخ سلاطين المماليك** (ليدن ، ١٩١٩) ص ٢٢ ، **البداية والنهاية** ، ج ١٣ ص ٣٣٢ ، **درة الاسلاك** ، ج١ ورقة ٩٩ ب ، **تاريخ ابن الفرات**، ج٨ ص ١٥٩ ، **السلوك** ، ج١ ص ٧٨٤ — ٧٨٥ . ومع ان المصادر لا تذكر الاسباب التي دفعت الاشرف خليل الى ذلك، الا ان ما نجده عند ابن فضل الله **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٣٠—٣١ قد يوضح ذلك ، وهو تذمر مهنا وعدم تقديره لظروف الحرب ، وشكوى الولاة منه .

(٦٢) **المختصر** ، ج٤ ص ٣٣ ، **درة الاسلاك** ، ج١ ورقة ١٠٦ أ ، **تاريخ الفرات** ، ج٨ ص ١٨٥ ، **السلوك**، ج١ ص ٨٠٣ . وذكر ابن فضل الله قصة وافيةعن حياتهم في المعتقل في سجن القلعة في القاهرة . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٣١ وما بعدها .

(٦٣) **المختصر** ، ج٤ ص ٧٨ ، **السلوك** ، ج٢ ، ص١١٨ ، ١٣٢ .

من منازلهـــم (٦٤) .

وفي سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) عين الامير محمد بن ابي بكر اميرا على العرب مكان مهنا . ثم عزل محمد ليعاد تعيين الامير فضل بن عيسى مرة اخرى (٦٥) .

واستمر الامير مهنا خارجا عن طاعة السلطان يتنقل في البرية بين الشام والعراق، حتى عاد الى الطاعة سنة ٧٣٤هـ (١٣٣٤م) (٦٦) . وقد دامت النفرة بينه وبـــين السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون مدة تزيد على العشرين عاما (٦٧) . فاعيدت لـــه الامرة والاقطاعات ، لكنه لم يستمتع بها اذ توفي في سلمية في ذي القعدة سنة ٧٣٥هـ (حزيران ١٣٣٥م) (٦٨) .

وكان الامير مهنا « كبير القدر عند العرب محترما عند الملوك » بالشام ومصـــر والعراق (٦٩) . ومن اعماله المذكورة في الاخبار انه بنى بيما رستانا بسرمين ، احدى اقطاعات آل فضل (٧٠) . وقد اثرت وفاته على العرب ، وحزن عليه الجميع واقاموا

---

(٦٤) **المختصر** ، ج٤ ص ٨٩ ، **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٥ ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٤٢ ، **السلوك** ، ج٢ ص ١٣٨ — ١٣٩ .

(٦٥) **المختصر** ، ج٤ ص ٩١ ، العزاوي ، **تاريخ العراق** بين احتلالين (بغداد، ١٩٣٥) ، ج١ ص ٤٧٦ عن **عقد الجمان** للعيني (مخطوط) ج٢٢ (دون تحديد الورقة او الصفحة) .

(٦٦) ذكر الصفدي ، **الوافي بالوفيات** (نشر جمعيـــة المستشرقين الالمان ، عدة مطابع ، ١٩٣١ — ١٩٥٩) ج٢ ص ٢٢٥ ، ان عودة مهنا الى الطاعة كانت سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥م) .

(٦٧) اسهب ابن فضل الله العمري في وصف عـــودةمهنا الى الطاعة . ومثل ذلك في المصادر الاخرى . وقد كان من اهداف سياسة الملك الناصر محمد بن قلاوون عودة مهنا الى طاعته . انظر : **مسالك الابصار**، ج٢٩ ورقـــة ١٠٢ ، **المختصر** ، ج٤ ص ١١٣ ، **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ١٧٣ . وورد في **الـــدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٧ ان عودته كانت سنة ٧٣٣هـ. انظر ايضا : الدواداري ، **الدر الفاخر في ســـيرة الملك الناصر** (القاهـــرة ، ١٩٦٠) ص ٤٧٩ ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٤٢ ، **درة الاسلاك** ، ج٢ ورقة ٢٤٤.

(٦٨) تتمة **المختصر** ، ج٤ ص ١١٦ . وفي **مسالـــك الابصار** ج٢٩ ورقة ١٠٢ . انه توفي في اواخر ذي القعدة سنة ٧٣٥هـ ، وان مرضه كان « بالبطن » . انظرايضا : **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ١٧٢—١٧٣، **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٧٠ . اما صاحب **الدر الفاخر**، ص ٣٧٩ فقد ذكر ان وفاته كانت في ذي الحجة من سنة ٧٣٤هـ ، وكذلك في **العبر** ، ج٥ ص ٩٤٢ ،ولكن ذلك غير صحيح اذ انه عاد من مصر الى الشام في محرم سنة ٧٣٥هـ (ايلول ١٣٣٥م) . ويؤيد ذلك ابن حبيب في **درة الاسلاك** ، ج٢ ورقة ٢٤٤ .

(٦٩) **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ١٧٢ ، **درة الاسلاك**، ج٢ ورقة ٢٤٤ .

(٧٠) تتمة **المختصر** ، ج٤ ص ١١٦ .

له « مأتما بليغا ولبسوا السواد » (٧١) .

اما صفاته الشخصية فقد اجملها بن فضل العمري في ترجمته له ، وهي : انـــه كان مشهورا بالدين والعفة لا يأخذ اموال الرعية كثير العدل في احكامه (٧٢) . وذكـــر احد معاصريه (الذهبي) انه كان « وقورا متواضعا لا يحفل بملبس ، دينا ، حليما ، ذا مروءة وسؤدد » (٧٣) .

ومع ذلك فانه « لم يعرف له مكارم كما تقدم للعرب من مكارمها » (٧٤) . كما كان كريم النفس يكره انعامات السلطان ويردها كثيرا ويلومه كثيرا على افساده العرب بكثرة ما كان ينعمه عليهم من الاموال والمتاع (٧٥) .

وشهدت الفترة التي تلت وفاة مهنا نزاعا مستمرا على الامرة بين ابناء مهنا وبين هؤلاء وآل فضل بن عيسى . ففي محرم سنة ٧٣٦هـ (آب ١٣٣٦م) ولي الامرة موسى اكبر ابناء مهنا (٧٦) ، وبقيت في يده حتى وفاته سنة ٧٤٣هـ (١٣٤١م) (٧٧) . وتولاهـــا

---

(٧١) تتمة **المختصر**، ج٤ ص١١٦ **وشذرات الذهب**، ج٦ ص ١٢٢ ، ج. فيت ، **المنهل الصافي** ، ترجمة رقـــم ٢٥٤٨ ص ٣٨٣ . واورد ابن فضـــل الله في ترجمته لمهنا صورة جيدة لعادات العرب في المآتم من عمل الولائم والعزاء فقال : « ووردت سائر العرب ونساوانها (النساء) في عزاه وملو (ملاوا) دســـوق دبس ، وبقيت المرأة تلطخ وجهها بالدبس ثم بالرماد » و « كانت له ولائم عظيمة كل احد من اولاده يعمل مائة منسف ومايتين وثلاثمائة منسف كل احد على مقدرته وحضرها سائر العرب باسرها متفاوتين مدة ايام كثيرة » . ثم « ولا احتفلوا بأمره من قراءة ختـــم ولا مواعيد ولا وعاظ كما يفعل في المدن » . **مسالـــك الابصار** ، ج٢٩ ورقة ١٠٢ .

(٧٢) **مسالك الابصار** ، ج٢٩ ورقة ١٠١ .

(٧٣) **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٧٠ عن الذهبي . وكانت قيمة جميع ما يلبسه لا تساوي ٥٠ درهما رغم انه كان من الاغنياء ، كما أن أكله اقتصر على حليب ناقة له او ما كان يصيده بنفسه . **مسالك الابصار** ، ج ٢٩ ورقة ١٠١ .

(٧٤) **مسالك الابصار** ، ج٢٩ ورقة ١٠١ .

(٧٥) **مسالك الابصار** ، ج٢٩ ، ورقة ١٠١ .

(٧٦) زيتر ستين ، **تاريخ سلاطين المماليك** ، ص ١٩٠، **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ١٩٣ ، **درة الاسلاك** ، ج٢ ورقة ٢٧٧ أ ، **السلوك** ، ج٢ ص ٤٥٢—٤٥٣، **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٧٠ ، **النجوم الزاهرة** ، ج١٠ ص ٧٦ .

(٧٧) ربما كان من الاسباب التي ادت الى امرته ما ذكره ابن حجر ، **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٨٢ من انـــه لم يخرج عن الطاعة قط « ولا تناول اقطاعا من المغل » . توفي بتدمر .

من بعده ، على التوالي ، الامراء فياض بن مهنا (٧٨) ، وسليمان بن مهنا (٩٧) ، وعيسى بن فضل (٨٠) ، وسيف بن فضل بن عيسى (٨١) ، واحمد بن مهنا (٨٢) ، حتى استقرت اخيرا لحيار بن مهنا بن عيسى الذي كتب له بولاية الامرة في ذي الحجة سنة ٧٤٩هـ (شباط ١٣٤٩م) (٨٣) .

٤ ـــ حيار بن مهنـــا

ولد حيار بن مهنا بعد سنة ٧١٠هـ (١٣١٠م) (٨٤) . ولا نعرف شيئا عن حياته الاولى ـــ كالعادة بالنسبة لجميع امراء العرب ـــ الى أن اصبحت له مشاركة فعالة في الاحداث ايام امرة والده (٨٥) .

ولم يبق حيار طويلا في امرته الاولى ، اذ عزل سنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م) باخيـــه فياض ، وذلك بسبب مشاركته في العصيان مع ببغا اروس الامير المملوكي وقراجا بن دلغادر التركماني (٨٦) . ثم عزل فياض عن الامرة لتعطي لسيف بن فضل مما ادى الى أتفاق حيار وفياض ضده ، وركبوا الى « اقطاعاتهم التي خرجت عنهم لسيف بن فضل

---

(٧٨) **السلوك** ، ج٢ ص ٦٢٣ ، **الدرر الكامنة** ، ج٣ ص ٢٣٤ .

(٧٩) ت ٧٤٤هـ (١٣٤٣م) **تتمة المختصر** ، ج٤ ص ١٤٠ ، **درة الاسلاك** ، ج٢ ورقة ٢٨٠ ، **الدرر الكامنة** ، ج٣ ص ١٦٣ ـــ ١٦٤ ، **السلوك** ، ج٢ ص ٦٣٧، **اعلام النبلاء** ، ج٤ ص ٥٧٨ عن **المنهل الصافي** .

(٨٠) ت ٧٤٤هـ (١٣٤٣م) . **السلوك** ، ج٢ ص ٦٥٩ ، **الدرر الكامنة** ، ج٣ ص ٢٠٨ .

(٨١) ت ٧٦٠هـ (١٣٥٨م). **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ٢٦٣، **درة الاسلاك** ، ج٢ ورقة ٣٣٨ ب ـــ ٣٣٩ أ، **النجوم الزاهرة** ، ج١٠ ص ٣٣٠ .

(٨٢) ت ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) . وعند ابن الوردي ، **تتمـــة المختصر** (سنة ٧٤٨هـ) ج٤ ص ٥٤ أ . **درة الاسلاك**، ج٢ ورقة ٣٠١ أ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٦٤ ب وما بعدها ، **الدرر الكامنة** ، ج١ ص ٣٢١ــ ٣٢٢ .

(٨٣) **السلوك** ، ج٢ ص ٧٧١ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٢٤ ب .

(٨٤) ذلك انه ذكر انه توفي عن بضع وستين سنة . ولما كانت وفاته سنة ٧٧٦ هـ ، فان الراجح انه ولد خلال المدة بين ٧١٠ ـــ ٧٢٠هـ . السخاوي ، **الضـــوء اللامع لاعيان القرن التاســـع** (القاهـــرة ، ١٣٥٣ ـــ ١٣٥٥هـ) ج١٠ ص ٢٠٤ .

(٨٥) **الدرر الكامنة** ، ج٢ ص ٨١ .

(٨٦) **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ١٢٧ أ ، **النجوم الزاهرة** ، ج١٠ ص ٢٧١ . وبيبغا أروس من كبـــار الامراء المماليك زمن السلطان الملك الناصر،تولى نيابة السلطنة مدة ، وأمسك في سنة ٧٥١ هـ. وقد قام بحركة في بلاد الشام شارك فيها التركمان بقيادة قراجا بن دلغادر . **الدرز الكامنـــة** ، ج١ ص ٤٧٦ــ ٤٧٧ . وكان قراجا بن دلغادر اول أمير من التركمان يعينه المماليك ، وتوفي سنة ٧٥٤هـ . **السلوك** ، ج٢ ص ٤٣٠ ـــ ٤٣١ حاشية ٥ ، ص ٩٠٦ .

وبريد بن نثر (طظر) الكلابي ، وقسموها ورفعوا مغلاتها فلم يستطع سيف معارضتهم لقوتهم وكثرتهم ... » (٨٧) . وكان يحدث مثل هذا الموقف في معظم الحالات التي كانت تخرج فيه الامرة عن آل مهنا الى غيرهم من اقربائهم . فقد كانوا يكثرون من العيث والفساد وقطع الطرق على التجار والحجاج . وكانوا من القوة بحيث لم يكن بامكان غيرهم المحافظة على الامن والاستقرار في مناطق نفوذهم .

وحاول السلطان استرضاءهم ، لكن محاولاته فشلت (٨٨) ، فأعطى الامرة الى سيف بن فضل وعمر بن موسى بن مهنا . وبقي حيار خارجا عن طاعة السلاطين الى ان تمكن اصحابه من اقناعه بالدخول في الطاعة سنة ٧٥٥هـ (١٣٥٤م) ، فاعيدت اليه الامرة ، ثم خرجت عنه الى اخيه فياض (٨٩) .

وفي سنة ٧٦١هـ (١٣٥٩م) عزل الامير حيار مرة اخرى ، وتولى الامرة شراكة احد امراء آل مهنا ورملة بن جماز من آل علي (٩٠) . ومنذ ذلك التاريخ وحتى ولايته الاخيرة للامرة سنة ٧٧٥هـ (١٣٧٣م) تولى وعزل عدة مرات بسبب قتله قشتمر المنصوري نائب السلطنة بحلب (سنة ٧٦٢هـ/١٣٦٠م) ، ولخروجه المستمر عن الطاعة (٩١) . واستمر في ولايته الاخيرة هذه حتى وفاته سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٥م) (٩٢) .

٥ ـــ نعير بن حيار

عين السلطان مكان الامير حيار ، اخاه ، قارا بن مهنا (٩٣) ، الذي استمر في امرة العرب حتى وفاته ، فتولاها شراكة احد أمراء آل فضل وزامل بن موسى بن مهنا ،

---

(٨٧) **السلوك** ، ج٢ ص ٨٩٦ .

(٨٨) **السلوك** ، ج٣ ص ٨٩٦ .

(٨٩) **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٢٤ ب ، **السلوك** ، ج٢ ص ٩١٧ — ٩١٨ .

(٩٠) **البداية والنهاية** ، ج٤ ص ٢٧٢ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٥٤ ب .

(٩١) ارجع الى **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٢٤ ب، ٢١٨ أ ، ١٦٤ أ ، ١٧٩ أ ، ابن حجر ، **انباء الغمر** ، ج١ ص ٧٨ ، **الدرر الكامنة** ، ج٢ ص٨١ ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٤٤ ، ١٠٠٥ .

(٩٢) ابن حجر ، **انباء الغمر** ، ج١ ص ١١٦ — ٣١٩،١١٧ ، **الدرر الكامنة** ، ج٣ ص ٢٣٦ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٦٠ أ .

(٩٣) ت ٧٨١هـ (١٣٧٩م) . **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٦٠ أ ، ابن حجر ، **انباء الغمر** ، ج١ ص ٣١٩، **الدرر الكامنة** ، ج٣ ص ٢٣٦ ، **النجوم الزاهرة**، ج١١ ص ٣٨١ .

وبقوا في مناصبهم الى ان اعطيت للامير شمس الدين محمد نعير بن حيار بن مهنا (٩٤) .

وكان للامير نعير ، في بداية امرته ، نصف امرة آل فضل ، اما النصف الثاني فكان للاميرين زامل بن موسى ومعيقل بن فضل (٩٥) ، ثم استقل عنهما في رمضان سنة ٧٨١هـ (كانون اول ١٣٧٩م) ثم اصبحت له الامرة كاملة (٩٦) . لكن استقلاله هذا لا يعني ان الامرة كانت له حتى وفاته . فقد حصل له ما حصل لغيره من قبل وهو خروج الامرة عنه . وقد حدث ذلك ثلاث مرات على الاقل خلال سلطنة الظاهر برقوق : في سنة ٧٨٥هـ (١٣٨٣م) ، وعند قيام حركة الناصري التي خلعت السلطان برقوق ونفته الى الكرك ، وعند عودة الظاهر مرة اخرى الى السلطنة . ولم يعد الى الامرة الا بعد وفاة السلطان الظاهر وتوليه ابنه الناصر فرج (شوال ٨٠١هـ/حزيران ١٣٩٩م) حيث رسم السلطان الجديد بأن « يكتب له (لنعير) بامرة آل فضل على عادته » (٩٧) .

وحياة نعير هذا حافلة بالاحداث خاصة ما تعلق منها بعلاقاته مع السلطان برقوق ، ومع امراء ونواب السلطنة بدمشق وحلب . وشارك مشاركة فعالة كان لها اثرها الكبير في استيلاء يلبغا الناصري على السلطة في القاهرة ، كما كان الساعد الايمن لمنطاش في ثورته ضد الامير الناصري والسلطان برقوق (٩٨) .

ولا تزودنا المصادر المعاصرة بما يكفي من المعلومات عن صفاته ، ومع ذلك فهي تعطي فكرة عن هذا الامير المشهور . De Megnanelli, الذي عرفه جيدا يذكر ، في السيرة التي وضعها عن السلطان الظاهر برقوق ، انه كان قصيرا ، جذابا ، وكريما في

---

(٩٤) ولد بعد ٧٣٠هـ ، ذلك انه عندما توفي كان قد نيفعلى السبعين . السخاوي ، **الضؤ اللامع** ، ج١٠ ص ٢٠٤ ، وكان اسمه قبل الامرة نعير ، وعندما تأمر أضيف اسم محمد الى اسمه . **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ١٨٦ .

(٩٥) **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٥٨ أ .

(٩٦) **المصدر ذاته** ، ورقة ٢٥٨ ب ، **والعبر** ، ج٥ ص٩٤٤ .

(٩٧) **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ١٤٣ ب . ويعلق ابن حجي ، المؤرخ الذي ينقل عنه هذا المصدر ، على عودة نعير الى الامرة بقوله « وفي ذلك مصلحة للمسلمين لحسن سيرة هذا الرجل » . **المصدر ذاته**، ج٢ ورقة ٣٩ ب — ٤٠ أ .

(٩٨) سيبحث ذلك بالتفصيل في الفصل الخامس .

عطاياه ، كما كان شجاعا ينتصر دائما في المعارك مع أنه كان كبير السن (٩٩) . ويؤيد ذلك بعض الشيء ما جاء عند السخاوي من انه كان « شجاعا ، جوادا ، مهيبا ، الا انه كثير الغدر والفساد » (١٠٠) .

ومات الامير نعير مقتولا في شوال سنة ٨٠٨هـ (آذار ١٤٠٦م) على اثر الواقعة بينه وبين نائب السلطنة في حلب التي انكسر فيها (١٠١) . وبمقتله ضعفت شوكة آل فضل وكاد امرهم أن يتلاشى (١٠٢) .

---

(٩٩) نشر ولتر فشل ترجمة لهذه السيرة بعنوان Ascensus Barcoch : a Latin Biography of the Mamluk Sultan Barquq of Egypt, **Arabica** (1959), p. 165.

De Mignanelli احد ابناء النبلاء الايطاليين. سافر في شبابه الى الشرق ، واستوطن دمشق واصبح فيها من رجال المال الاغنياء والمكانة الهامة . وكان يعرف اللغة العربية معرفة جيدة ، كما كان يعرف بلاد الشام معرفة جيدة فقد عاش في دمشق والقاهرة والقدس وسيناء . ولد ١٣٧٠م وتوفي سنة ١٤٥٥ . Ascensus Barcoch, pp. 60-61.

(١٠٠) **الضوء اللامع** ، ج١٠ ص ٢٠٤ ، وعنه ينقل الطباخ في **اعلام النبلاء** ، ج٥ ص ١٤٨ .

(١٠١) قتله الامير حكم بعد مسكه وسجنه في حلب . **النجوم الزاهرة** (ط. بوبر) ج٦ قسم ١ ص ٢٨٣ .

(١٠٢) قلت اخبارا آل فضل بعد مقتل نعير .

الفصل الرابـــع

امــراء العرب وسلطنة المماليــك

— ١ —

امـــارة العـــرب منصب رسمي   واجبات امراء العرب تجاه الدولة

اقطاعات امراء العرب

انشئت امارة العرب الرسمية ، كما رأينا ، في مطلع القرن السابع الهجري الرابع عشر الميلادي) (او في نهاية القرن السادس الهجري / الثالث عشر الميلادي) . ومن بداية قيام هذه الامارة كان لا بد من وجود علاقة رسمية بينها وبين الدولة الايوبية سواء أكان مركز هذه الدولة دمشق او حلب او القاهرة (١) . لكن الاخبار المتفرقة التي نجدها في المصادر المعاصرة لفترة نصف القرن الاخير للدولة الايوبية (٦٠٠ — ٦٥٠هـ/ ١٢٠٤ — ١٢٥٢م) لا تساعدنا في تحديد هذه العلاقة ولو بشكل عام . وكل ما تزودنا به المصادر يتعلق باخبار القبائل ودورها في الاحداث المعاصرة (٢) ، مما ليس له علاقة بأمارة العرب وما طرأ عليها من تطورات في فترة نصف القرن التالي لقيامها (٣) . لكن مصادر عصر المماليك تقدم لنا ما نحتاج اليه من المعلومات والوثائق التي توضح ما نشأ من تنظيم لدور القبائل — التي كانت تعرف بـ « عربان الطاعة » (٤) — التي كانت تخضع لسلطة دولة المماليك ، وما طرأ على هذا التنظيم من تبدل وتغير ، وما كان من علاقة بين امارة العرب والسلطنة المملوكية في القاهرة ونوابها في ممالك الشام (٥) .

وفي عصر المماليك اصبح منصب « امير العرب » منصبا رسميا (٦) مثله مثل بقية المناصب الاخرى . واصبح لحامل لقب الامرة مرتبة في الجهاز الاداري المملوكي ، التي على اساسها تحددت العلاقة بينه وبين الدولة . وانشىء في مركز الدولة وعواصم

---

(١) لا نجد ما يدل على قيام علاقة رسمية دائمة وبالشكل الذي وصلت اليه في الدولة المملوكية بين امراء العرب والفاطميين والزنكيين والايوبيين زمن صلاح الدين بالرغم من أن هذه الدول كانت تعطي امراء العرب الاقطاعات . انظر : **مرآة الزمان** ، ج٨ ص ٣٠٦ ، **الجوهر الثمين** ، ص ٩ ، **خطط الشام** ، ج٢ ص ٢٤

(٢) كان والي دمشق ، زمن صلاح الدين الايوبي ، المسؤول عن شؤون قبائل العرب في بلاد الشام ولكن دون تحديد واضح لهذه المسؤولية . جب ، « جيوش صلاح الدين » في **دراسات في حضارة الاسلام** ، ص ١١٨ حاشية ٧٢ .

(٣) ربما كان يرجع ذلك الى عدم وضوح العلاقة بين الامراء والدولة الايوبية ، وان امرة العرب لم تكن جزءا من جهاز الدولة كما صارت اليه زمن المماليك .

(٤) W. Popper, **Egypt and Syria Under the Circassian Sultans,** (University of California Press, Berkely, Los Angeles, 1955-1957) vol. 2, pp. 1-2.

(٥) في سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) عين السلطان الظاهر بيبرس « عدة » من امراء العربان . **الروض الزاهر** ، ص ٣٤ ، **زبدة الفكرة** ج١٠ ورقة ٥١ ب ، **السلوك** ، ج١ ص ٤٥٨ . كما كتب « منشور الامرة على جميع العربان » لعيسى بن مهنا . **السلوك** ، ج١ ص ٤٦٥ ، ٥٤١ .

(٦) في حوادث سنة ٧٠٠هـ (١٣٠١) ذكر ابن ايبك الدوادار في **الدر الفاخر** ، ص ٤٢ ، بمناسبة بداية القرن الجديد ملوك العالم الاسلامي فذكر « وامير العربان حسام الدين مهنا بن عيسى » . كما ان De Mignanelli يصرح بأن نعيرا كان يتولى منصبه بصفة رسمية . **Ascensus Barcoch,** p. 153

النيابات الهامة وظائف ، ورتب فيها موظفون ، كانت شؤون القبائل وامرائها تشكل القسم الاكبر من مهامهم (٧) .

وكان امير العرب وامراء القبائل ، كأصحاب مناصب رسمية في الدولة ، يعتبرون من ارباب السيوف ، ويعدون ضمن هذه الفئة عند ذكر موظفي الدولة . فقد كان امراء العربان في مصر يشكلون الطبقة الرابعة والاخيرة من ولاة الامور من جماعة ارباب السيوف (٨) . ومثل ذلك كان الامر بالنسبة لعربان الشام الذين ارتبط امراؤهم بالسلطان مباشرة .

ولما كان منصب امير العرب — وامراء العربان — من المناصب الرسمية (٩) ، فقد كان مرتبطا بالسلطان مباشرة . فالسلطان هو الذي كان يعين « امير العرب » والامراء على مختلف القبائل ، وحتى امراء فروع القبيلة الواحدة (١٠) ، على مختلف درجاتهم ومراتبهم من امير العرب الى الامير الى المقدم الى الامير ببوق وعلم .

كان يتم تعيين الامير بوثيقة رسمية هي « مرسوم » بالتقليد او « منشور » بالأمرة (١١) ، يرسل الى الامير المعين من الديوان في القاهرة او يحمله معه اذا كان موجودا في العاصمة وقت تعيينه . اما عزل الامير فلا نعرف اذا كان يتم بمرسوم أم أن تعيين امير جديد مكانه كان كافيا للاشعار بعزله واعتبار الامارة خارجة عنه .

وكان امراء القبائل على مراتب متفاوتة من حيث الاهمية ، ويتضح ذلك من اسلوب الكتابة اليهم والالقاب التي توضع في « طرة » الكتب المرسلة اليهم ، ونوع الالقاب التي

---

(٧) لعل من اهم الوظائف ذات العلاقة بامراء العرب هي وظيفة المهمندارية: اي التي تهتم بتلقي الرسائل وامراء العربان . **صبح الاعشى** ، ج٤ ص ٢٢. وكانت هذه الوظيفة لارباب السيوف وكان ترتيبها بين الوظائف بحضرة السلطان بالقاهرة رقم (١٨) (يضع Popper ترتيبها ، في تقسيمه الخاص ، في مصر (٢٣) وفي الشام (١٥) **Egypt & Syria, I, pp. 94 , 106** وقد كان في كل من دمشق وحلب وحماه مهمندار . **صبح الاعشى** ، ج٤ ص ١٨٧ ، ٢١٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، المقريزي **الخطط** (القاهرة ، ١٢٧٠هـ) ج١ ص ٤٦١ . و « مهمندار » من الالقاب ، الاعجمية الخاصة بارباب الوظائف ، فارسية الاصل : مهمن بمعنى الضيف ، و « دار » بمعنى الممسك والمتصدي له . **صبح الاعشى** ، ج٥ ص ٤٩٥ .

(٨) **صبح الاعشى** ، ج٤ ص ٦٧ ، ج٥ ص ٤٩٧ . Popper, **Egypt & Syria,** I, p. 153.

(٩) ولقب أمير من الالقاب الخاصة بأرباب الوظائف في الدولة وهو زعيم الجيش او الناحية « او نحو ذلك ممن يوليه الامام » . **صبح الاعشى** ، ج٥ ص ٤٤٩ .

(١٠) كان السلطان يعين امير العرب من آل فضل وكان هذا الامير اميرا لفرع قبيلته : آل فضل ثم آل مهنا، واذا خرجت الامرة عن امير من الامراء ، كان يبقى بقية الامراء في مناصبهم . ارجع الى الملحق رقم٢ والملحق رقم ٣ لنصي « تقليد » و « منشور » بامرة العرب .

تكتب الى كل واحد منهم وعددها والتي تدل على مركزه ومرتبته في جهاز الدولة . فرسم المكاتبة الى امير آل فضل ــ الذي كان معظم الوقت امير العرب ــ كان « ادام الله تعالى المجلس العالي الاميري ...» (١٢) . اما من هو نظيره ومدانيه وعدته الامرة ، فرسم المكاتبة اليه « ... المجلس العالي » ومن دونه « السامي الاميري » (١٣) . هـذا ما كان يخص آل فضل . اما آل علي فقد كان رسم المكاتبة اليهم : « صدرت هـذه المكاتبة الى المجلس السامي الاميري (١٤) . ومثل ذلك كان يكتب لاعيانهم « السامي الامير » ، ومن هم اقل مرتبة من هؤلاء « مجلس الامير » (١٥) . وقد كانت مرتبة امراء بني عقبة مثل مرتبة امراء آل مرا (١٦) ، اما بنو مهدي فقد كانوا اقل مرتبة من بني عقبة ولذلك فقد كان يكتب لهم « مجلس الامير » (١٧) . وكان الوضع بالنسبة لبقية القبائل العربية كالتالي : فقد كان يكتب لاهم مقدميهم وكبرائهم واشياخهم « مجلس الامير » ومعظمهم لم يكن يكاتب اطلاقا (١٨) .

وكان عدد الالقاب التي توضع في طرة الكتب يتفاوت ايضا حسب مراتب الامراء. فعدد القاب امير آل فضل كانت حوالي ثلاثة وعشرين لقبا (١٩) ، وأمير آل مرا ثمانية عشر لقبا (٢٠) ، وكبقية امراء العرب احد عشر لقبا (٢١) .

---

(١١) المنشور هو ما يكتب فيه بالاقطاعات الى الجميع. وقد كانت المناشير على حسب الرتب . وقد كانت مناشير العرب تمتاز بالقاب والفاظ تخصهم . **صبح الاعشى** ، ج١٣ ص ١٩٨ ، وفي هذه الحالات كان المنشور وثيقة تعيين واقطاع .

(١٢) **التعريف** ، ص ٨٠ ، **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ١٨٥ .

(١٣) **التعريف** ، ص ٨٠ ، **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ١٨٥ . و « العالي » ارفع مرتبة من « السامي » ، و « الاميري » ارفع من « الامير » ، ذلك : ان كتاب المراسلات اتفقوا على « ان يكون ما لحقت به ياء النسبة ارفع مرتبة مما تجرد ، سواء اكان منسوبا الى نفس صاحب اللقب او غيره » . **صبح الاعشى**، ج٦ ص ١٠٠ . وانظر عن مراتب بقية امراء آل مهنا وآل فضل بن عيسى ، **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ١٨٦ .

(١٤) **التعريف** ، ص ٨٠ ، **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ١٨٦ .

(١٥) **التعريف** ، ص ٨٠ .

(١٦) **التعريف** ، ص ٨٠ ، **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ١٨٨ .

(١٧) **التعريف** ، ص ٨٠ ، **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ١٨٨ .

(١٨) **نفس المصادر السابقة** ، وذات الصفحات .

(١٩) **صبح الاعشى** ، ج٦ ص ١٤٠ .

(٢٠) **صبح الاعشى** ، ج٦ ص ١٤٢ .

(٢١) **صبح الاعشى** ، ج٨ ص ٢٢٠ .

ومع انه كان لامراء العرب مراتب كمراتب ارباب السيوف الآخرين ، الا انهم لم يكونوا في منزلة جميع هؤلاء ومركزهم. فقد كانت مراتب امراء العرب أقل من مراتب امراء الجند الكبار واصحاب المناصب المملوكية الهامة الاخرى، لكنهاكانت تتوافقومراتب أصحاب المراتب الاخرى والاقل اهمية . فقد كانت صيغة « اعز الله انصار المقر الكريم» مما يكتب الى أمير آل فضل ، وكاشف الصفقة القبلية ، ومقدمي الالوف بالشام وناظر الجيش ، ونائب حمص (٢٢). اما اكابر عرب آل فضل، وامير عرب آل علي ، وامير آل موسى بن مهنا ، فقد كان رسم المكاتبة اليهم عن نائب الشام مثل امراء العشرات بمصر وامراء العشرينات بالشام، ومقدم عرب بني عقبة، ونائب مصياف ومتولي بيروت، وكان هذا الرسم « ادام الله تعالى نعمة الجناب العالي » (٢٣) . كما كانت رتبة امراء آل مرا ، ومقدم عرب جرم ، ومقدم عرب بني مهدي ، مثل رتبة امراء العشرات بدمشق ووالي المدينة بها، ووالي البر (الضواحي) بدمشق، وامراء العشرينات بحلب، وصيغة المكاتبة « المجلس العالي مع الدعاء » . ونجد في صيغة اخرى من صيغ المكاتبة الى امراء العربان انه كان لامراء آل فضل المعزولين رتبة خاصة بهم ، اقل من رتبة الامراء الذين في الخدمة وتعادل رتبة امير آل علي ونائب الرحبة وأكابر الطبلخاناة بالشام (٢٤) .

نرى مما تقدم أن منصب « امير العرب » وامراء العربان — خاصة امراء عربان بلاد الشام « لانهم جل القوم وعين الناس ولا عناية للملوك الا بهم ، ولا مبالاة بغيرهم » (٢٥) ، ولان عرب مصر « على سعة اموالهم واتساع نطاق جماعاتهم ليسوا عند السلطان في الذروة ولا السنام اذ كانوا اهل حاضرة وزرع وليس منهم من ينجد ولا يتهم ولا يعرق ولا يشأم ولا يخرجون عن جدر الجدران» (٢٦) — كانت من المناصب الرسمية ، ذات العلاقة الوثيقة بالادارة في القاهرة ، وان هذه الصلة جعلتهم من ارباب السيوف على اعتبار انهم من ارباب الولايات في البلاد (٢٧) .

---

(٢٢) **صبح الاعشى** ، ج٨ ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٢٣) **صبح الاعشى** ، ج٨ ص ٢٢١ .

(٢٤) **صبح الاعشى** ، ج٨ ص ٢٢١ .

(٢٥) **التعريف** ، ص ٧٩ ، **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ١٨٤ .

(٢٦) **التعريف** ، ص ٧٦ .

(٢٧) في المقالة الخامسة من **صبح الاعشى** ، قسم البحث المتعلق بالولايات الى اربعة ابواب ، وكل باب منها الى فصول . والفصل الاول قسم الى ٣ طبقات ، والطبقة الثالثة منها الى خمسة انواع ، النوع الاول منها ولايات ارباب السيوف التي قسمت الى ثلاثة اصناف ، الصنف الثاني ولاية امراء العربان ، حيث ذكر « وهؤلاء لا حظ لهم في الكتابة بالولايات بالديار المصرية الان وربما يكتب لامرائهم بالمملكة الشامية : كأمير آل فضل وامير آل علي ومقدم جرم ... والمعنى في اختصاص من بعد منهم ما تقدم في الكلام على ارباب السيوف مع ضعف شأن عرب الديار المصرية وعدم الاهتمام بامرهم » . **صبح الاعشى** ، ج٩ ص ٢٥٤ ، وانظر ايضا **المصدر ذاته** ، ج١٢ ص ١١٨ ، وانهم ممن يولي عن الابواب السلطانية ، **المصدر ذاته** ، ج ١٢ ص٢٩٣ .

مهـام امراء العرب تجاه الدولـة

يرجع كل هذا الاهتمام بامراء العرب وقبائلهم ، وربطهم بجهاز الدولة ، واعطائهم الامتيازات الكثيرة من اقطاعات وهبات وانعامات ، الى الاعمال التي كان يقوم بهـا العرب خدمة لمصالح الدولة . فماذا كانت هذه الاعمال التي كان يقوم بها — والتي كان يفترض فيهم القيام بها — امراء العرب من آل فضل وامراء العربان وقبائلهم ، للدولـة المملوكية في مختلف المجالات ، وفي حدود امكاناتهم وطبيعة حياتهم البدوية ؟

كانت القبائل العربية تسيطر على القسم الاكبر من اراضي الدولة المملوكيـة في بلاد الشام (٢٨) . ونتيجة لذلك فقد لعبت دورا في الحياة السياسية لمنطقة بلاد الشام وباديتها لا يمكن اهماله ، خاصة وان هذه القبائل — مع القبائل التركمانية — كانـت تكون قوة عسكرية سياسية لها اهميتها . وكان يمكن ان يكون لهذه القوة دورها الايجابي او السلبي في حياة المنطقة تبعا لمقدرة الدولة المملوكية في المحافظة على استمرار ولاء هذه القبائل لها ، سيما وان ما كان يهم العرب البدو في هذه الفترة ، بالدرجة الاولى ، المحافظة على مصالحهم دون النظر الى اعتبارات ولاء لارض او دولة او عقيدة دينية . ومن هنا كانت اقامة امارة العرب زمن الايوبيين ، ثم تقويتها وتثبيتها زمن المماليـك وربطها بالسلطان مباشرة ، وذلك لتحويل القبائل عن الدور السلبي الذي مارسته — معظم الاحيان — في الفترات السابقة لقيام دولة المماليك ، الى الدور الايجابي البنـاء الذي يمكن ان تقوم به .

ومن الخدمـات الهامة التي كـان يمكن للقبائـل القيـام بها .المحافظـة علـى طرق المواصـلات . فقد كانت هـذه القبائـل — بحكم توزيعها الجغرافـي في بـلاد الشـام والعـراق واطـراف الجزيـرة العربيـة الشماليـة وسيناء وشرقي النيل — تسيطر على قلب حركة المواصلات بين هذه البلاد بعضها مع البعض الآخر ، ومع المناطق المجاورة لها . وادى ذلك الى تحكم هذه القبائل ، معظم الوقت ، بأهم اوجه نشاط المواصلات في ذلك الوقت : طرق البريد ، وطرق الحجاج ، وطرق التجارة البرية . وكانت جميع هذه الطرق واقعة تحت رحمة القبائل طـول الوقت ، ولم تتمكن المحاولات التي قامت بها الدول السابقة للايوبية المتأخرة والمماليك

(٢٨) ما عدا المراكز الحضرية والريفية او بعضها ، التي كان يسكنها فئات متعددة الاجناس والاديـان . انظر

Ziadeh, **Urban Life in Syria Under the Early Mamluks** (Beirut, 1953), pp. 45 - 47, 96-101, I. Lapidus, **Muslim Cities in the Later Middle Ages**, Cambridge, Mass., 1967.

من وضع حد لهذه السيطرة ، وذلك لعدم تمكنها من اخضاع الاعراب الذين كانـــوا يجدون دائما في البرية ملجئا امينا لهم . واستمر الامر على ذلك الى ان نظمت العلاقة بين الدولة وبين القبائل ، فاصبحت المحافظة على هذه الطرق جزءا من المهام التـــي القيت على القبائل مقابل ما كانت تقدمه الدولة لهم من اقطاعات وهبات .

ولكن هذا التنظيم لدور القبائل لم يؤد الى ضبطها بشكل حاسم ، ذلك انه لم يكن بالامكان التحكم بها . ولذلك نجد انه على الرغم من قيام امارة رسمية للقبائل ، وتعيين الامراء والمقدمين عليها جميعا ، حصلت امثلة كثيرة ، من واقع الحياة القبلية في الفتـــرة التي ندرسها ، على خروج القبائل على السلطة في القاهرة ومن يمثلها في دمشق وحلب وغيرها من المراكز . وكان التعرض لطرق المواصلات من اولى النتائج التي كانت تحدث عن خروج امراء العرب عن الطاعـــة .

وهنالك مجالات اخرى كانت تقوم بها القبائل من اجل الدولة ، من المشاركة في الدفاع عن البلاد ، الى تزويد السلطان وجيشه بما يحتاج اليه من الخيل والجمال ، الى مهام اخرى يأتي ذكرهـــا .

وفي القسم التالي من هذا الفصل سأحاول أن ابحث ، بشيء من التفصيل ، مـــا كانت تقوم به القبائل من اعمال لدولة المماليك مركزا بالدرجة الاولى على دور آل فضل ابن ربيعـــة .

١ ــ المحافظة على طرق المواصلات : البريد والحجاج والتجـــارة

أ ــ البريـــــد

اهتم سلاطين المماليك بتتبع اخبار الممالك الشامية من بلاد دولتهم ، وعملوا على ادارة شؤونها من العاصمة باستمرار . ولذلك فقد نظموا ــ منذ سلطنة الظاهر بيبرس الاول ــ البريد بين مصر ودمشق وغيرها من النيابات بشكل دقيق ، بحيث صار يصـــل الى دمشق في اربعة ايام ويعود في مثلها، واقل (٢٩) . وجعلوا القبائل العربية ، كل في منطقتها ، مسؤولة عن محطات البريد التي كانت تقع ضمن حدودها ، وتزويد هـــــذه

---

(٢٩) **الروض الزاهر** ، ص ٣٢ ، **ذيل مرآة الزمان** ، ج٣ ص ٢٥٥ .

المحطات بالخيل وكل ما تحتاج اليه (٣٠) . ولم يكتف السلاطين بذلك ، بل اهتموا بالمحافظة على امن هذه الطرق وسلامتها ، فجعلوا القبائل مسئولة ايضا عن الامن في اجزاء الطرق التي تمر في مناطقها (٣١) . ففي بداية حكم الظاهر بيبرس ، وبعد ان امر الامراء على القبائل (٣٢) ، سلم اليها « خفر البلاد ، والزمهم (الامراء) حفظها الى حدود العراق » (٣٣) . فقد ضمن عرب بنى مهدي وبني عقبة خفر البلاد الجنوبية من بلاد الشام الى الحجاز (٣٤) . اما آل فضل فقد كانوا مسؤولين عن المناطق الشمالية والشرقية من بادية الشام حتى حدود العراق (٣٥) . ويبدو ان هذا الترتيب استمر مدة طويلة بعد ذلك ، رغم ما كان يحدث احيانا من حوادث تؤدي الى التأثير عليه . ومن اخطر هذه الحوادث تخلى بني ثعلبة عن مهامهم في خدمة محطات البريد في فترة من الفترات مما ادى الى توقف احواله حتى كاد يتوقف كليا ، لولا تكفل احد الولاة بارجاعهم الى الخدمة (٣٦) .

ب ــ الحجاج

وكما نظم السلاطين البريد ، فقد نظموا ايضا دور القبائل التي كانت تسكن على طول طريق الحاج المصري ــ الشامي . ونستطيع ان نتبين من الفقرة التالية التي وردت عند ابن فضل الله العمري ، كيف تمكن سلاطين المماليك من المحافظة على طريق الحجاج من اعتداءات القبائل . فقد ذكر :

---

(٣٠) كان على عربان ثعلبة وجذام والعائد مثلا اقامة (١٥) منزلة من منازل البريد ، وكانوا يقيمون في كل منزلة منها (١٠) افراس . وكان عليهم ايضا خفر هذه الطريق « مقرر عليهم ... من تقادم السنين من اول وقت » . هذا بالنسبة للطريق الساحلية ، اما الطريق الداخلية عبر سيناء الى العقبة فقد كان خفرها على قبيلة العائد ، **الدر الفاخر** ، ص ١١٤ ــ ١١٥ . وكان درك طور سيناء على عرب « يقال لهم بني سليمان ، ومنهم ادراك بني عقبة عرب الكرك والشوبك » ، **المصدر ذاته** ، ص١١٥ . لكن العرب لم يقوموا بواجباتهم على الوجه الاكمل ،فقد كانوا يرشون الامراء الذين يأتون للكشف والمراقبة، بالخيول والجمال والاغنام . **المصدر ذاته** ، ص١١٧ .

(٣١) انظر الحاشية رقم (٣٠) .

(٣٢) **الروض الزاهر** ، ص ٤١ ، ٦٥ ، **زبدة الفكرة** ،ج١٠ ورقة ٤٧ ب ، ٥١ ب ، ٧٠ أ ، **تاريخ ابن الفرات** ج٦ (م. خوري) ص ٢٥ ، ٥٤ ، **السلوك** ، ج١ ص ٤٨١ ، ٤٩٢ .

(٣٣) **الروض الزاهر** ،ص ٤٧ ، **زبدة الفكرة** ، ج ١٠ ورقة ٥١ ب ، **رحلة ابن بطوطة** ، ص ٥٤ .

(٣٤) **الروض الزاهر** ، ص ٨٩ ، **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ٦٠ أ ، **تاريخابن الفرات** (م. خوري) ٦ : ص ٥٤ ، وحتى فروع هذه القبائل كانت مسؤولة عن خفر اجزاء من بلادها مثل : بنو جوشن خفراء الموجب ، وبنو نعجة خفراء الزويرة ، وبنو عجرمة خفراء الرقطانة والحسة ، وبنو مرة خفراء القدس، وبنو نمير خفراء غور الكفرين ، ولزبيد الدرك وحفظ الاطراف . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٥ وما بعدها ، ص ٤٧ .

(٣٥) **العبر** ، ج٦ (ط. بولاق) ص ٦ .

(٣٦) **السلوك** ، ج٢ ص ٨٤٠ ــ ٨٤١ .

« فان ملوكنا أثابهم الله رتبوا لقبائل العربان في الطرق رسوما على خزائن مصر والشام في خزائن المحملين الشريفين المصري والشامي من الدراهم والخلع لشيوخهم واكابرهم **عادة جارية كل سنة** فاذا نزلوا ارض قـــوم خرجت مشايخهم لتلقى المحمل السلطاني ، وقبلت الارض وعقب الصنجق المنصور ومشت في الخدمة السلطانية ، واودع من اهلهم وذوي قرابتهـم واهل المراتب فيهم اناس في السلاسل ووكل بهم من يحفظهم . ويستمرون على هذا الى ان يخرجوا من ارضهم فيطلق سراحهم ويخلع عليهم وتوصل اليهم رسومهم . وانما يعمل فيهم هذا الاحتمال ان يؤخذ شيء للحـــاج فيطلبون به ويكونون رهاين عليه ولا يستطيع احد ان يتجاسر ولا يعترضن الحاج باذية . وربما تبع الحاج قوم من غير ارض ذلك القوم وسرقوافيحتاج هؤلاء ان يتبعوهم ويستعيدوا منهم الاخيذة بعينها او الثمن عنها ، وجرى هذا غير مرة . وصار للحاج بهذا أمن عظيم على انفسهم واموالهم » (٣٧)

هذا بالنسبة لطريق الحاج المصري ــ الشامي البرية . اما طريق الحجـــاج العراقي فقد كان تحت اشراف امراء العرب من آل فضل ، ذلك انه يقع ضمن مناطق نفوذهم وحدود دركهم . ورغم قلة المعلومات المتوفرة لدينا عن دور هؤلاء الامراء فـي المحافظة على الحجاج ، فان ما ذكره ابن بطوطة ــ وهو شاهد عيان ــ يوضح هــذا الدور خاصة في الاوقات التي كانت فيها علاقاتهم مع السلطان حسنة (٣٨) . فقد التقى الرحالة ــ الذي كان مع ركب الحاج العراقي ــ في فيد من ارض نجد بأميرين من امراء العرب هما فياض وحيار من ابناء الامير مهنا بن عيسى ، « ومعهما من خيل العـــرب ورجالهم من لا يحصون كثرة ، فظهر منهما المحافظة على الحجاج والرحال والحوطـــة لهـــم . . . » (٣٩) .

جـ ــ التجـــارة

وكان لآل فضل خاصة والعرب عامة دور كبير في المحافظة على طرق القوافـــل

(٣٧) **مسالك الابصار** (خط . طبقبوسراي) ج٢ ص ١٦٥ ، الجزيري ، **درر الفوائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة** (القاهرة ، ١٣٨٤هـ) صص٤٣١ ــ ٤٣٢ مع بعض الاختلاف الذي لا يؤثر علــى الاصل . والخط تحت « عادة جارية كل سنة » من وضعي .

(٣٨) كانوا يقومون بقطع الطريق على الحاج في حالاتخروجهم على السلطان . **السلوك** ج٢ ص ٢٠٩ ــ ١٠ ٢ ، ٢١١ ــ ٢١٢ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقـــة ٢٤ أ ، ج٢ ورقـــة ١٩٥ أ ، **تاريخ العراق بـــين احتلالين** ، ج١ ص ٣٤٨ .

(٣٩) **رحلة ابن بطوطة** ، ص ١٧٤ .

التجارية خلال هذه الفترة ، ذلك ان مهمة المحافظة على الا من في البادية ، والتي أعطيت لامراء العرب ، كانت من اجل حماية قوافل التجارة القادمة من العراق الى الرحبة على الفرات ثم منها الى مدن الشام والمناطق الاخرى (٤٠) . وكانت هذه الطريق تقع ضمن مناطق نفوذ آل فضل .

وما نعرفه عن دور آل فضل ، في المحافظة على أمن البادية من اجل حماية التجارة قليل . ومع ذلك يمكن القول انه كان لهم دور ايجابي في حماية طرق التجارة في الاوقات التي كانوا فيها في طاعة السلاطين المماليك ، اما اذا خرجوا عن الطاعة فقد كانوا يعيثون ويفسدون ويقطعون الطرقات . ومن الامثلة على ذلك ما حدث سنة ٧٤٢هـ (١٣٤٢م) ، اذ اعتدى سليمان بن مهنا واهله وعربه على التجار والقوافل وقطعوا الطرقات (٤١) . وفي مرة اخرى اشتكى التجار على فياض بن مهنا لانه نهب قفلهم وادى ذلك الى مسكه وسجنه في الاسكندرية (٤٢) . وفي سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٤م) ، وبعد امساك احمد بن مهنا وسجنه ، « رجع التجار الذين كانوا قد توجهوا الى بلاد الشمال ... (بسبب) فساد الطريق » نتيجة لثورة فياض بن مهنا (٤٣) . واستمر انقطاع الطريق هذه المرة مدة عام كامل لعدم تمكن احد من الوقوف في وجه هذا الامير الخارج عن الطاعة (٤٤) . وتتابع تعرض الامراء الخارجين لقوافل التجار ونهب اموالهم طوال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) (٤٥) .

---

(٤٠) يؤكد على ذلك صاحب سيرة برقوق (Ascensus Barcoch) ص ١٥٣ ، ١٦٣ ، اذ ذكر ان الاقطاعات التي كانت تعطى لنعير كانت من اجل ذلك .

(٤١) **الدرر الكامنة** ، ج٣ ص ١٦٣ — ١٦٤ ، **السلوك** ، ج٢ ص ٥٦٣ .

(٤٢) **الدرر الكامنة** ، ج٣ ص ٢٣٤ .

(٤٣) **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٦٤ ب ، ٧٣ أ .

(٤٤) **السلوك** ، ج٢ صص ٦٥٧ ، ٦٩٢ .

(٤٥) انظر : **السلوك** ، ج٢ ص ٩١٨ ، الغزي ، **نهر الذهب** ، ج٣ ص ١٨٧ . وفي سنة ٨٠٠هـ (١٣٩٨ — ١٣٩٩م) استولى الامير نعير على القفل القادم من بلاد العراق ، فذهب التجار الى نائب الشام واخبروه بما حصل ، لكن نعير ارسل حاجبه ليخبر « انه انما يطلب الذي عادته يأخذه » وهو الخفارة . وتم الاتفاق اخيرا بسبب شفاعة النائب فأعطى نعير نصف البضاعة للتجار وباعهم النصف الثاني برخص « وفرح التجار بذلك » . **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ١٣٤ أ — ب . وتعرض نعير للقافلة التي كان فيها De Mignanelli عند عودته من الهند. **Ascensus Barcoch**, pp. 163 - 164. وايضا : **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ١٩٥ أ.

٢ ـ مشاركة جيوش المماليك (٤٦) في الدفاع عن البلاد .

ولم يقتصر دور العرب من بني ربيعة طيء على المحافظة على طرق المواصلات ، بل شاركوا المماليك في الدفاع عن البلاد . فقد استفاد المماليك من عرب آل فضل وآل مرا في عملياتهم العسكرية ضد التتار ، الخطر الذي كان يهدد بلاد الشام باستمرار (٤٧) . وقد تمثلت هذه المشاركة بالتجسس على الاعداء ، والمحافظة على اطراف البلاد ، وفي الاستكشاف او ما كان يعرف بالتجاريد ، وفي المعارك . ومع ان مشاركة هؤلاء الاعراب كانت محدودة (٤٨) ، واقتصرت على الفترة الاولى من حكم المماليك البحرية ، الا انهـا كانت فعالة وذات اثر كبير .

وكان يطلب من امراء العرب من آل فضل اذين كانوا يعيشون على الحدود بين دولة المماليك ودولة التتار في العراق ، ان يقوموا بالمحافظة على هذ ه الحدود ، ومنع الاعداء من الدخول الى بلاد الشام ، وتزويد الامراء والنواب والسلاطين باخبار حركاتهم وتجمعاتهم بشكل مستمر (٤٩) . وقد كانوا فعلا يشاركون الحاميات التي كانت موجودة في المراكز الدفاعية الامامية في صد الغارات المتكررة القادمة من بلاد التتار (٥٠) ، كما كانوا يشاركون بالتجاريد التي كانت ترسل باستمرار لكشف اخبار العدو لمعرفتهـم بطرق البادية معرفة دقيقة (٥١) . وحدث اغلب ذلك في امارة عيسى بن مهنا الذي كان

---

(٤٦) كان العرب او العربان يعتبرون من ضمن عساكر الدولة المملوكية ، لكنهم لم يعتبروا من جندهـا . **مسالك الابصار** ، ج٢ ص ٧٠ ، **الخطط** ، ج٢ ص ٢١٥ ، فكانوا من القوات غير النظامية ، كما كان الامر دائما بالنسبة لهم انظر :
Poliak, **Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon,** (London, 1939) pp. 9-10; Ayalon, "Studies on the Structure of the Mamluk Army, **BSOAS,** vol. 15 (1945) p. 72.
وعن زمن **الايوبيين** : جب « جيوش صلاح الدين» ، في **دراسات في حضارة الاسلام** ، الفصل الخامس ، ص ٩٧ ـ ١٢٠ ونظير سعداوي ، **جيش مصر في أيام صلاح الدين** (القاهرة ، ١٩٥٦) ص ١٢ ـ ١٧، ٥٤ ـ ٦٢ .

(٤٧) **الروض الزاهر** ، ص ١٠٠ ، **السلوك** ، ج١ ص٥١١ ، ٦١٠ ، **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ٨١ أ .

(٤٨) Ayalon, **Studies**, p. 72

(٤٩) **التعريف** ، ص ٧٩ ، **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ١٨٥ ، **ذيل مرآة الزمان** ، ج٣ ص٢ ، ١٧٦ ، **السلوك** ، ج١ ص ٥٩٩ ـ ٦٠٠ ، ٦١١ . والملحق رقم

(٥٠) للتفاصيل ارجع الى الفصل السادس .

(٥١) **النهج السديد** ، ص ٩٥ ، ابن عبد الظاهر ، **الروض الزاهر** ، ص ٥٧ ، **ذيل مرآة الزمـان** ، ج١ ص ٤٨٥ .

اكثر امراء العرب تعاونا مع سلاطين المماليك (٥٢) . وعندما تولى مهنا بن عيسى الامرة، سار على سياسة والده ، الا ان الخلافات التي بدأت بين السلطنة والامراء في زمن السلطان الاشرف خليل بن السلطان قلاوون ، أدت الى قلة مشاركة العرب من آل فضل للمماليك في حروبهم (٥٣) .

ومن مآثر عرب آل فضل وآل مرا المشهورة ، والتي ترويها المصادر المملوكية ، ما قاموا به في معركة حمص سنة ٦٨٠هـ (٥٤) (١٢٨١م) بين المماليك والتتار ، فقد وقفوا مع بقية عرب البلاد ، بقيادة الامير عيسى بن مهنا ، الى جانب جيش المماليك — هذا الموقف الذي اثار استغراب المؤرخين — ، ورتبوا في طرف ميمنة الجيش (٥٥) . وقد كان لهم دور حاسم في المعركة التي انتهت بهزيمة التتار . وينسب معظم المؤرخين ، سبب الهزيمة الى الاسلوب الذي اتبعه العرب في الحرب وهو المهاجمة من الخلف ونهب الاحمال والاثقال (٥٦) ، « فتوهم المغول ان عساكر كثيرة احاطت بهم من قدامهم وخلفهم » (٥٧) ، ورجعت عساكر التتار اليهم فلحق المسلمون بهم « وكانت بذلك النصرة » (٥٨) . ثم لحقت عساكر المسلمين والعرب بالجيش المنهزم، ولولامساعدة عرب خفاجة العراقية للعساكر التترية بارشادهم الى الطرقات في البرية والمخائض على الفرات لتمكن المماليك ، في رأي اليونيني المعاصر ، من اخذهم عن آخرهم (٥٩) . لكن هذا الموقف الايجابي في موقعة حمص لم يستمر ، اذ وقف أمراء العرب والعرب موقفا سلبيا في بداية حروب المماليك مع غازان (٦٩٩ هـ وما بعدها / ١٣٠٠م وما بعدها) ،

---

(٥٢) **النهج السديد** ، ص ١٣٢ ، ٢٠٥ ، **ذيل مرآة الزمان**، ج٢ ص ٣١٨، **زبدة الفكرة**، ج١٠ ورقة ٧٧ أ، ابن عبد الظاهر ، **تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور** (القاهرة ، ١٩٦١) ص ١٤٦ ، **درة الاسلاك** ج١ ورقة ٣٤ أ .

(٥٣) خلال امرة مهنا شارك العرب مرة واحدة او مرتين في التجاريد انظر : **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ٢٣٨ ب ، ٢٤٠ .

(٥٤) اشترك في هذه المعركة ٤ الاف فارس من آل مرا فقط . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٩ ، **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٩٠ — ٩١ ، **البداية والنهاية** ، ج١٣ ص ٢٩٤ ، **السلوك** ، ج١ ص ٦٩١ .

(٥٥) **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ١١٤ ب وقد كان المؤلف حاضرا في المعركة . اما الاستغراب فهو ناتج عن الرأي المعروف عن موقف العرب في الحرب ، وهو الانتظار حتى يبدأ مصير المعركة يتقرر فينظمون الى الطرف الغالب . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٩ . ويؤيد ذلك ما ورد عند وليم الصوري في **A History of Deeds Done Beyond the Sea, II, p. 433.**

(٥٦) **الذهج السديد** ، ص ٣٢٧ — ٢٨ ، **العبر في خبرمن غبر** ، ج٥ ص ٣٢٧ .

(٥٧) ابن العبري ، **تاريخ مختصر الدول** ، (بيروت ،١٩٥٨) ، ص ٢٨٨ .

(٥٨) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٩٤ ، **البداية والنهاية**، ج١٣ ص ٢٩٥ ، **السلوك** ، ج١ ص ٦٩٢ — ٩٤ .

(٥٩) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٩٤ ، **النهج السديد**، ص ٣٣٠ .

فلم يقدموا مساعدة تذكر ، بل على العكس من ذلك فقد قـــام العربان بنهـــب وسلب العساكر المملوكية المنهزمة امام قوات التتار (٦٠) حتى قال صاحب **الدر الفاخر** : «وكانت الجبلية والعربان على الناس اشد من التتار ، حتى لكأن لهم على الاسلام ثار » (٦١) .

٣ ـ تزويد السلطان والجيوش السلطانية بالخيل والجمـــال

كان العرب مصدرا من المصادر الاساسية التي تزود السلطان وجيشه بما كانوا يحتاجون اليه من الخيل والجمال ، التي كان أمراء العرب يجلبونها من البحرين في شرق الجزيرة العربية ومن برقة والمغرب وبلاد الشام (٦٢) . وقد كانت الخيل والجمـــــال المجلوبة من قبل امراء العرب من آل فضل على نوعين : السياق والتقادم . فالسياق او السياقة كانت تشتمل على الخيل والجمال والدواب والابقار والاغنام التي يحضرها امراء العرب لبيعها ، وكانت تسجل في الديوان الخاص بذلك (٦٣) . اما التقادم فقـــد كانت الهدايا التي يرسلها امراء العرب الى السلاطين وكانت تشتمل ، من بين ما تشتمل عليه ، الخيول والجمال (٦٤) . وفي كلتا الحالتين كانت تدفع اثمان هذه الخيول لامـــراء العرب من الخزينة ، وكثيرا ما كان يدفع في الواحدة منها اضعاف ثمنها ، خاصة خيـــل السباق التي شغف بها السلطان محمد بن قلاوون كثيرا .

٤ ـ اعمـــال اخـــرى

لم تقتصر واجبات امراء العرب من آل فضل وغيرهم من الامراء على المهـــــام الرئيسية التي ذكرت سابقا ، وانما اشتملت على مهام اخرى نكتفي بذكرها للدلالـــة على اتساع المجالات التي كان يمكن للعرب خدمة الدولة المملوكية بها . فقد كان يستعان

---

(٦٠) **النهج السديد** ، ص ٥٠٨ .

(٦١) **الدر الفاخر** ، ص ١٧ .

(٦٢) D. Ayalon, "The System of Payments in the Mamluk Military Society", **Journal of the Economic and Social History of the Orient"**, vol. I (1958) pp. 263-264 and notes 1, 2, 3 p. 263.

(٦٣) قال النويري : « ان الكاتب كان يسجل ما انساق عنده حاصلا من اخر السياقة الاولى ، ويضيف الى ذلك ما ابتاعه بتواريخه واسماء من ابتيع منهم ...» **نهاية الارب** ج٨ ص ٢٨٣،وكان السياق السلطاني على قبائل ثعلبة وجذام والعايد مثلا ، ١٠٠٠ جمل . **الدر الفاخر** ، ص ١١٦ .

(٦٤) **انظـر السلـوك** ، ج٢ ص ص ٥٢٤ ـ ٥٣٠ ، **الخطط** ، ج٢ ص ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ . ولدراسة مفصلـة عن تجـــارة الخيـــل ـ والتي استنـــدت بالدرجة الاولـى الى المقريـزي ـ ارجـــع الى Ayalon, **Ibid**, pp. 265-270. وكان يصل سعر الفرس احيانا الى ٦٠ و٧٠ و ١٠٠ الف درهـــم . **السلوك** ، ج٢ ص ٥٢٦ ، وقد اقطع السلطان الناصر ، بسبب الخيل ، آل مهنا الاقطاعات الكثيرة . **السلوك** ، ج٢ ص ٥٢٦ وما بعدها .

بهم للدلالة على الطرق في البادية ، وفي تتبع الامراء المماليك الخارجين عن طاعة السلطان (٦٥) واحضارهم الى السلطان او الى النواب طلبا للمكافآت التي كانت تخصص لهم . واستعان بعض السلاطين بهم لتتبع اخبار الامراء والنواب وحركات الخارجين عن الطاعة . وكان بنو عقبة عيونا للسلطان يزودونه باخبار هذه الحركات باستمرار (٦٦) .

وعادة ، وفي اوقات حاجة الدولة لخدمات العرب ، كانت تصدر الاوامر بمنعهم من الخروج الى البرية « الا اذا لم يبق بالبلاد مقام » (٦٧)، وان لا يعودوا الى الاطراف الا بعد الانتهاء من جمع الغلال ، « ... ان المراسيم الشريفة اقتضت انه لا يدخل احد من العربان الى البلاد الشامية المحروسة ، كبيرهم وصغيرهم ، وجليلهم وحقيرهم ، الى ان يشال الزرع **على العادة** » (٦٨) . ذلك ما كان يطلب منهم ، لكنه لم يمنع من تخطي العرب لهذه الاوامر واعتدائهم على المزروعات قبل جمعها وافسادها او اخذ غلتها .

ومن واجبات امير العرب وامراء العربان ، مساعدة عمال الدولة في جمع زكاة المواشي من العرب ، التي كانت تعرف بـ « العداد » (٦٩) .

وكان يفترض في امير العرب من آل فضل ان يقوم ببعض الواجبات الاخرى التي يتطلبها منصبه كأمير للعرب والتي يرد ذكرها في « وصية امير العرب » او في مرسوم تقليده الامرة . ومن امثلة ذلك : قري الضيف في البرية ، والاصلاح بين امراء العرب في حال خصومتهم ، ومنع القبائل التي تخضع لامرته المباشرة والحليفة له من النزاع فيما بينها ، وجمع العرب على طاعة السلطان ، وان يعامل الامراء الآخرين معاملة تتناسب

---

(٦٥) من الامثلة ما نجده في **الدر الفاخر** ، ص ١٩٨ ، **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ٢٠١ ، **السلوك** ، ج٢ ص ٤٩٩ ، ٨٠٢ .

(٦٦) امثلة على ذلك **السلوك** ، ج٢ ص ٥١٨ ، ٥٧٢، ٦٢٤ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٤٢ أ ، ٥١ ب .

(٦٧) **التعريف** ، ص ١١٠ .

(٦٨) **صبح الاعشى** ، ج٧ ص ٢٠٣ — ٢٠٤ ، والخط تحت «على العادة» مضاف على الاصل. ومن وضعي.

(٦٩) **تاريخ ابن الفرات**، ج٧ ص ١٧٩، **صبح الاعشى**، ج١٢ ص ١٣٠ . وكانت تعتبر من اموال الهلالي . النويري ، **نهاية الارب في فنون الادب** ، (القاهرة ، ١٩٣١) ج٨ ص ٢٢٨ ، ٢٦٨ . وفي اشارة عند ابن الفرات ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٨ ص ٦٧—٦٨ انه كان لامير بني كلاب ربع قيمة العداد الذي كان تقديره زمن المماليك كما كان عليه اواخر الدولة الايوبية . **المصدر ذاته** (مخطوط فينا) ج٦ قسم ٢ ورقة ١٢٥ . وانظر عن توضيح المقصود بالعداد، **السلوك** ، ج١ ص ٤٨١ حاشية رقم (٦) .

ومقاديرهم « ويدفع لكل منهم ما كان يستحق من اقطاع واقتطاع » (٧٠) .

اقطاعـــات امراء العـــرب

مقابل هذه الخدمات الكثيرة التي كان يقوم بها او يفترض بامراء العرب القيام بها للدولة المملوكية ، اعطيت لهم بعض الامتيازات . وكان بعض هذه الامتيازات آني ، يقدم مقابل الخدمات التي كانوا يقومون بها في وقت معين من السنة ، مثل الخلع والهدايا والانعامات الاخرى كالجواري « والخيل للنتاج والفحول للمهاير والاموال الجمة » (٧١) التي كانت تشمل الامراء ونساءهم (٧٢) . لكن اهم الامتيازات التـــي كانت للامـــراء ، واكثرها ثباتا ، هي الاقطاعات ، لانها كانت تشكل مورد دخل ثابت لهم ولقبائلهم ، يغنى عن اللجوء الى الاساليب التي كانوا يتبعونها في السباق — وفي حالات خروجهم عـــن الطاعة — للحصول على ارزاقهم ، كالنهب والسلب والاعتـــداء علـــى القوافـــل بانواعها (٧٣) .

وقد كانت اقطاعات امراء العرب جزءاً من النظام الاقطاعي المملوكي الذي كان يشرف عليه ديوان الجيش (٧٤) . ولم يكن النظام الاقطاعي (العسكري في المنطقة شيئا

---

(٧٠) **التعريف** ، ص ١٠٩ — ١١١ . ارجع الى الملحق رقم ٤ الذي يتضمن نص « وصية امير العرب » .

(٧١) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٨ ، **السلوك** ، ج٢ صص ٤٥٢ — ٤٥٣ .

(٧٢) يبدو انه كان من عادة سلاطين المماليك ان يرسلوا لنساء امراء العرب ، في مواسم معينة ، خلعـــا وهدايا خاصة . **تاريخ ابن الفرات** ، ج٨ ص ١٥٥ ، **السلوك** ، ج١ ص ٧٨٣ ، ج٢ ص ٥٢٨ ومـــا بعدهـــا .

(٧٣) كان الاعتماد على السيف في الحصول على الرزق هو اهم وسيلة لدى الاعراب ، ولعل افضل مثـــال على ذلك ، في هذه الفترة وعند خروج الامراء عن طاعة السلاطين ، ما قاله مهنا عندما اعتـــرض الركب العراقي «... مهنا ياكل كسب سيفه ،وكيف ارجع عن هذا الركب العراقي وفيه مكسب لمهنا يقوته سنة كاملة » . العزاوي **تاريخ العراق** ، ج١ ص ٤٦٦ عن **عقد الجمان** ، ج٢٢ (دون تحديـــد للورقة او الصفحة) .

(٧٤) **التعريف** ، ص ٨٨ — ٨٩ ، **الخطط** ، ج٢ ص ٢١٧ ، **نهاية الارب في فنون الادب** ، ج٨ ص ١٩٦ ومـــا بعدها . ولعل من افضل الدراسات التي اطلعت عليها عن الاقطاع زمن المماليك دراسة بولياك.
A. N. Poliak, **Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon,** London, 1939, and "Some Notes on the Feudal System of the Mamluks", **Journal of the Royal Asiatic Society,** (1939), pp. 98-107. See also: N. A. Ziadeh,**Urban Life in Syria,** (Beirut, 1953), pp. 40 - 44; H. Rabie, **The Financial System of Egypt,** A. H. 564 - 741, A. D. 1169 - 1341, London, 1972.

جديدا استحدثه المماليك ، وانما كان معروفا عند البويهيين والسلاجقة والفاطميين والزنكيين والايوبيين (٧٥) . وقد كان للاقطاع ديوان زمن الفاطميين ، الذي اختص بما كان يقطع للاجناد . وكان لعربان البلاد اقطاعات ايضا وقد عرفت باسم « الاعتداء » (٧٦) . واستمر هذا النظام زمن الزنكيين والايوبيين حيث اصبحت اقطاعات الجند وراثية (٧٧) . وفي زمن المماليك ، ونتيجة لمؤثرات خارجية جديدة (٧٨) ، صار نظام الاقطاع نظاما دقيقا شمل ، من ضمن من شملهم ، امراء العرب .

وكان الاقطاع او الخبز ، زمن المماليك ، نظاما يهدف الى ايجاد مورد دخل لامراء الجيش والجند ، كل حسب مرتبته مقابل الخدمات التي يقدمونها للدولة . ولم يكن هذا النظام وراثيا كما كان زمن الايوبيين ، اذ كان بامكان السلطان المملوكي ان يستعيد ما اعطى من اقطاعات ، ثم يعيد توزيعها بالشكل الذي كان يراه مناسبا . وينطبق هذا المبدأ على امراء العرب كما كان ينطبق على امراء المماليك واجنادهم ، حتى انه كان هناك ديوان خاص اسمه « ديوان المرتجع من اخباز العرب » ، (٧٩) وله ناظر خاص براتب معين ، وعنده كاتب لمساعدته . لكن ذلك لم يمنع بعض العربان من التحايل على النظام اذ كانوا يقومون — في حالة وفاة صاحب اقطاع منهم — بتركيب

---

(٧٥) انظر الدوري ، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي** (بيروت ، ١٩٦٩) ، ص ٨٨ — ٩٠ ، ٩٦ — ١٠٦ . فقد ذكر ان بداية الاقطاع العسكري كانت مع بداية التسلط البويهي (**المصدر ذاته**، ص ٨٨ — ٨٩)، وانه كان زمن السلاجقة « استمرار لما جرى زمن البويهيين لحد ما » (**المصدر ذاته** ، ص ٩٧) « وانه اتجه نحو الوراثة » حتى « صار اقطاعا وراثيا للارض » ، وليس لموارد الضرائب (**المصدر ذاته** ، ص ٩٧ — ٩٨) . كما ان الفترة الايوبية كانت تمثل السير في الاقطاع على الخط السلجوقي . **المصدر ذاته** ، ص ١٠٤ .

(٧٦) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٤ قسم١ ص ١٤٨ ، **صبح الاعشى** ، ج٣ ص ٤٩٣ ، ويظهر انه ينقل عن ابن الفرات .

(٧٧) Ziadeh, **Urban Life**, pp. 39-40. ، الدوري، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي** ، ص ١٠٦ .

(٧٨) N. Ziadeh, **Urban Life**, p. 40.

(٧٩) استؤنف هذا الديوان سنة ٧٤٦هـ (١٣٤٥م) ، وكان راتب ناظرة ١٠٠ درهم و ١٠ غرائر . وقد كان المرتجع هذا العام نيف و ٦٠ بلدا ، وجعل خاصا لبيت المال . **المختصر** ، ج٤ ص ١٤٤ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٧٣ أ .

اسم « على اسم بغير الرسم المقرر » (٨٠) .

ويبدو ان اقطاعات امراء العرب من آل فضل ، في بداية دولة المماليك ، كانت قليلة ومقتصرة على الامراءا لكبار (٨١) ، لكنها كانت قابلة للزيادة . فقد ازدادت هذه الاقطاعات بتزايد عدد الامراء العرب الصغار منهم والكبار (٨٢) .

وكان أمير العرب هو المسؤول الاول عن اقطاعه ، ولا نعرف اذا كان يقوم بدوره بتوزيع اقطاعه على افراد قبيلته بعد احتفاظه بحصته كما كان الامر بالنسبة للامراء المماليك (٨٣) . وقد كان مفترضا ، كما تدل وصية امير العرب ، في امير العر بان يعطى بقية الامراء والشيوخ والافراد حقوقهم من « اقطاع واقتطاع » (٨٤) .

ومن اشهر البلاد التي اقطعت لأمراء العرب من آل فضل : سلمية ، والمعرة ، وتدمر ، وسرمين ، ودومه ، وزرع (٨٥) .

---

(٨٠) كان عربان الشرقية في مصر المسؤولين عن البريدوغيره، الذين كان لهم اقطاعات (وعددهم سنة ٧٠٣هـ، ١٧٠٠ فارس) ، يلجأون الى التحايل للابقاء على اقطاعات من توفي منهم . فكانوا اذا توفي واحد منهم يذهبون الى ديوان العربان ويرشون صاحبه « وركبوا اسما على اسم بغير الرسم المقرر » . **المصدر الفاخر** ص ١١٦ . اما ما كان يجري عليهم بالنسبة لاقطاعاتهم فقد كان اذا توفي احد هؤلاء العربان « فانه لا ينزل مكانه ولده او اخوه او ابن عمه او اذا لم يكن له وارث من اقرب اقربائه او طائفته ، حتى يزن ما على ذلك الاقطاع من الرسم المقرر ، وهو كل اقطاع عليه قد قرر من قديم الزمان على قدر العبرة من خمسماية الى ثلاثين دينار حيشية (جيشية)». **المصدر ذاته** ، ص ١١٦ ، ونجد في ذلك ما يدل على نوع من الوراثة في انتقال الاقطاع ، لكننا لا نعرفان كان ذلك ينطبق على آل فضل اصحاب المكانة الخاصة في الدولة المملوكية . اما العبرة فهي الدخل السنوي للاقطاع مقدرا بالدنانير الجيشية .
Poliak, **JRAS,** (1937) p. 99, **Feudalism,** p. 21.

(٨١) ربما كانت هنالك اقطاعات لمختلف الامراء ، لكننا لم نجد ما يؤيد ذلك في المصادر . فمثلا لا يذكر في بداية عصر المماليك سوى اقطاع عيسى بن مهنا واقطاع احمد بن حجي ، وعدد اخر من الامراء المشهورين. **ذيل مرآة الزمان** ، ج١ ص ٤٨٥ ، والحاشية رقم ٨٥ التالية .

(٨٢) كان عدد اولاد عيسى بن مهناواحفاده ١١٠ « ما من احد منهم الا وله امرة واقطاع » **السلوك** ، ج٢، ص ٨٩٦ ، و **المصدر ذاته** ، ص ١٣٩ ، ٧٢٢ عن زيادة مقدار الاقطاعات .

(٨٣) كان يخصص للامير المملوكي $\frac{1}{3}$ و $\frac{2}{3}$ للاجناد وبقية الامراء انظر : Poliak, **JRAS** (1937), p. 102.

(٨٤) **التعريف** ، ص ١١٠ .

(٨٥) اقطعت سلمية لعيسى بن مهنا ٦٥٨هـ (١٢٦٠م). **مسالك الابصار** (مخطوطة أيا صوفيا) ج٢٧ورقة ١٦٣ ، **البداية والنهاية** ، ج١٣ ص ٢٢١ . ووالمعرة لمحمد بن عيسى سنة ٧١٦هـ (١٣١٦م) بناء على طلبه ، **المختصر** ، ج٤ ص ٨٠ . وتدمر لعيسى بن مهنا ، وقد اقطعت له اقطاع ملك او بيع وشراء اذا اشتراها السلطان ودفع ثمنها للخزينة ثم اعطاها لعيسى . **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٢٣١ ، وكانت من ضياع الخاص ، **السلوك** ، ج٢ ص ١٤٤ . ودومة لمهنا بن عيسى عندما قدم على السلطان سنة ٧٣٤هـ (١٣٣٤م) ، واعطيت له ولاولاده من بعده . **مسالك الابصار** ، ج ٢٩ ورقة ٥٥ ، ج٣ ص ٣٠. وسرمين ايضا من اقطاع آل مهنا . **المختصر** ، ج٤ ص ٧١ . وكذلك زرع التي اعطيت لسيف بن فضل. **السلوك** ، ج٢ ص ٦٤٤ .

وكان للسياسةاا لتي اتبعها المماليك في اقطاعات العرب ، آثارا سيئة بالنسبة للجانبين . وكان السبب الاساسي في ذلك طبيعة الحياة البدوية ، وطبيعة النظام الاقطاعي المملوكي ، والعلاقات بين السلاطين وامراء العرب .

فمن ناحية العرب ، اعتمدت القبائل اعتمادا كاد ان يكون كليا على الاقطاعات كمورد رزق ثابت لها (٨٦) . وحل ذلك محل ما كانت تعتمد عليه في السابق مما كانت تنتجه من غنمها وابلها والذي لم يكن كافيا لحياتها ، مما كان يدفعها الى اللجؤ الى الغزو والاعتداء على طرق القوافل والحجاج واخذ الاتاوات منها ، ومهاجمة الحواضر والاستيلاء على غلاتها ـ ان ساعدتها الظروف على ذلك . ولذلك فقد كان هدف ما نشأ من علاقة وتنظيم رسمي بين القبائل والسلطنة ، الا لمنعها من الاستمرار بهذا الجزء الثاني من نشاطها مقابل الاقطاعات التي كانت توفر لها . ولهذا فقد كان يؤدي خروج الاقطاعات عن القبائل الى عودتها الى التعرض للحجاج والتجارة ، والريف والحواضر (٨٧) . لان موارد عيش القبائل التقليدية لم تعد تكفي متطلباتها التي نتجت عن تمتعها بموارد رزق ثابتة ، خاصة وان هذه القبائل (آل فضل) تعودت نوعا من حياة الرفاهية التي نتجت عنكثرة ما توفر لديها من الارزاق من مواردها القديمة والجديدة (٨٨) . ولذلك لم يكن مستغربا ان يَلجأ امراء آل فضل الى التتار لاخذ الاقطاعات منهم (٨٩) .

اما من ناحية الدولة المملوكية فقد كان استرجاع اقطاعات امراء العرب الخارجين عن الطاعة يؤدي الى خلق المشاكل لها . فقد كانت تقوم بتوزيع الاقطاعات المستردة

---

(٨٦) هذا بالاضافة الى اثمان الخيول التي كانوا يقدمونها للسلطان .

(٨٧) وضح موسى بن مهنا للسلطان ان ذلك هو سببفساد العرب . **مسالك الابصار** ، ج٢٩ ورقة ١١٦ ، وان عودة الارزاق الى اصحابها من آل مهنا تؤديان يبقى « كل واحد منهم يجد ما يقوته ويمشي الطريق » . وانظر عن قطع الاخباز وما كان يؤدي اليه ، على سبيل المثال . **المختصر** ، ج٤ ص ٧٨، ٨٨، ٩٢ ـ ٩٣، ١١٣، ١٤٢ ، **البداية والنهاية**، ج٤ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٢١ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٧٣ أ ، ١٦٨ أ ، **السلوك** ، ج٢ ص٤٠٧ ـ ٤٠٨ ، ٤٢٤ ، ٦٢٧ ـ ٦٢٩ ، ٦٢٤ .

(٨٨) انظر **السلوك** ، ج٢ صص ٥٢٦ ـ ٥٢٩ حيث ذكر « فعزت العرب من آل مهنا وآل فضل وآل مرا في ايامه ، وكثرت سعادتها واتسعت احوالها بالاموال والضياع ...» ... وشمل الغني عامتهم ... « حتى شكى بعضهم » ... لقد افسدت (اي الملك الناصر) حال العرب وحال نسائهم واطعمتهم في شيء لم يكونوا يعمعون فيه قبلك » . **المصدر ذاته** ، ص ٥٢٦ ، ٥٢٩ .

(٨٩) انظر مثلا **المختصر** ، ج٤ ص ٧١ ، **تاريخ العراق**، ج١ ص ٤٦٨ عن **عقد الجمان** ج٢٢ ص ٢٢١ .

على امراء العرب الذين كانوا لا يزالون في طاعتها ، وعلى امراء المماليك واجنادهم (٩٠). لكنه لم يكن بامكان الامراء المماليك ولا امراء العرب الذين كانوا لا يزالون على الطاعة المحافظة على الامن والاستقرار وطرق القوافل التجارية والحجاج ، ولا منع الامراء الخارجين من الاعتداء على مصالح الدولة . وقد كان ذلك يؤدي الى عمل السلاطين لاعادة الامراء الخارجين عليهم الى الطاعة .

وعودة الامراء الخارجيين الى الطاعة كانت تعني ارجاع الاقطاعات التي كانت لهم قبل خروجهم اليهم ، مما كان يؤدي الى تذمر النواب والامراء المماليك الذين اعطيت لهم هذه الاقطاعات بعد خروج امراء العرب في السابق . فمثلا عندما وافق السلطان الناصر محمد بن قلاوون على نصيحة موسى بن مهنا بارجاع الاقطاعات التي كانت بيد امراء المماليك الى اصحابها السابقين من امراء العرب ، « حصل لنائب دمشق ونائب حلب هم عظيم » ، « وعلموا ان فيه فساد عظيم » ، وكتبوا الى السلطان « ان اخبار العرب اكثرها وقع الى الامراء الشاميين والحلبيين ، وان اكثرهم مجردين الى بلاد سيس ، وربما لا يهون هذا الامر عليهم وعلى الجند » (٩١) ، فكان جواب السلطان « ارجع لهم (الى امراء العرب) على اقطاعاتهم ونحن نعوض الامراء ونرضيهم » (٩٢)، وكتب مناشير امراء العرب من مصر وسيرها الى الشام . وقد علق ابن فضل الله على هذه الحادثة بقوله : « فكان ذلك على الناس أمر صعب » (٩٣) .

ولم يكن بامكان الدولة المملوكية ، بعد ان ربطت القبائل بها بصورة رسمية ، ان تتبع طريقا آخر ، ذلك ان المحافظة على ولاء القبائل القوية مثل آل فضل كان ضروريا واهم من بعض الامراء المماليك الذين كانت تسترد اقطاعاتهم . فخروج امير آل فضل — وهو امير العرب — عن الطاعة كان يعني خروج قبيلته جميعها وربما من كان يحالفها من القبائل ، مما كان يؤدي الى الكثير من المشاكل التي كانت الدولة في غنى عنها .

وفي الفصل التالي من هذا البحث سنرى بعض المشاكل التي كان يؤدي اليها خروج بعض امراء العرب عن الطاعة وتأييدهم للحركات التي قام بها الامراء المماليك في الشام .

---

(٩٠) **السلوك** ، ج٢ ص ٦٢٤ . وفي احدى الحالات استخدام السلطان ١٣٠٠ جندي من الاجناد البطالين واعطاهم اقطاعات من المرتجع من اخباز العرب. **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٠ ب .

(٩١) **مسالك الابصار** ، ج٢٩ ورقة ١٦١ .

(٩٢) **المصدر ذاته** ، ورقة ١٦١ .

(٩٣) **المصدر ذاته** ، ورقة ١٦١ . وعندما عرف الامراء المماليك بذلك ، وكانوا يحاصرون بلد سيس ، علق احدهم بقوله : « اذا اخذت مني هذه الضيعة ايش آكل وايش اعطي الجند » . **المصدر ذاته** ، ورقة ١٦٢ .

الفصل الخامس

امـــراء العـــرب وسلطنة المماليـــك

— ٢ —

اثر امرة العرب في شؤون بلاد الشام الداخلية

تعددت مجالا مساهمة آل فضل بن ربيعة طيء وغيرهم من القبائل العربية في حياة بلاد الشام في فترة المماليك البحرية . وقد رأينا في الفصل السابق كيف تمكنت السلطنة المملوكية ، عن طريق ايجادا ما رة وتعيين الامـراء على القبائل ومنح هؤلاء الامراء الاقطاعات ، من ربط هذه القبائل بالسلاطين في القاهرة . وبذلك تمكن السلاطين من توجيه طاقات هذه القبائل لخدمة مصالح الدولة ، من المحافظة على طرق البريد والحجاج وقوافل التجار ، الى تزويد السلاطين وجيوشهم بالخيل والجمال، الى المساعدة في جمع زكاة الغنم من العربان . كما ساهمت القبائل ، وآل فضل بشكل خاص ، في الدفاع عن حدود دولة المماليك وصد غارات الاعداء عنها ، وفي بعض الحروب التي وقعت بين المماليك والتتار . لكن اعمال القبائل هذه لا تشكل كل المجالات التي ساهم فيها آل فضل وآل مرا في حياة بلاد الشام الداخلية ، كما انها لا تمثل كل الاثر الذي كان لهم على الاحداث فيها . فقد كان لآل فضل ، بالاضافة الى ما تقدم من اعمال، اثر في شؤون الدولة المملوكية الداخلية ، وعلاقة مع القبائل التي كانت تقطن بلاد الشام من عربية وتركمانية ، ودور في الحركات التي قامت في بلاد الشام ضد سلاطين المماليك وهي حركات سنقر الاشقر (٦٧٩ — ٦٨٠هـ/١٢٨٠ — ١٢٨١م) وقراسنقر (٧١١هـ/١٣١١م) ومنطاش (بعد سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م) .

١ — اثر أمراء العرب في شؤون الدولة الداخلية

كان لامراء العرب من آل فضل مكانة كبيرة بين القبائل في بلاد الشام . وكان لهذه المكانة اكبر الاثر في اعطائهم امرة العرب رغم قلة عددهم (١) . واكسبت امرة العرب الامراء الذين تولوها اهمية عند السلاطين المماليك (٢) حتى ان السلطان الناصر محمد بن قلاوون اجاب احد الامراء المماليك الذين حرضوه على الامير مهنا بن عيسى واولاده سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) بقوله : « احذر أن تذكر شيئا من هذا فمثل مهنا واولاده لا يفرط فيهم » (٣) .

وكان لامراء العرب نفوذ قوي في الدولة . اذ كان السلطان يستجيب لمعظم مطالبهم . واستعملوا هذا النفوذ لتحقيق بعض الاعمال التي كانت تزيد من مكانتهم عند الناس . وقد اجمل شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري هذه الاعمال

---

(١) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٧ .

(٢) انظر **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٨ . وايضا **البداية والنهاية** ، ج١٣ ص ٢٨٠ ، ٢٩٢ ج١٤ص ٣٢٠، **السلوك** ، ج٢ ص ٧٢، **بدائع الزهور** ، ج١ ص٢١٦ .

(٣) **تاريخ العراق بين احتلالين** ، ج١ ص ٤٦٨ عـن **عقد الجمان** للعيني ، ج٢٢ ص ٢١٦ .

بـ « الشفاعات المقبولة في استخدام الوظائف وترتيب الرواتب واقطاع الجند والاطلاق من السجون ... » (٤) .

ولا نستطيع ان نحدد بدقة المدى الذي وصل اليه تدخل امراء العرب في شؤون الدولة ولا اثرهم على السلاطين المماليك ، لكن المعلومات القليلة المتوفرة تدل على وجود مثل هذا التدخل ، فقد كان من **عادة** مهنا « اذا اسمع بحضوره من البلاد وانه قرب من مصر يخرج اليه المحتاج وصاحب الفاقة واهل الحوائج ويتصل اليه ويسأله في قضاء حوائجهم من القصص (٥) ويقضيها وينعم ويتصدق على من يقصده » (٦) .

ولم يقتصر الامر على تدخل امراء العرب في النواحي المتعلقة بقضاء حاجات الناس ، بل كانوا يتدخلون في شؤون السلاطين المماليك وذلك بالشفاعات لديهم في الامراء الاتراك المسجونين وغيرهم ، والتي كان يستجيب السلاطين لمعظمها . ومن امثلة ذلك شفاعة الامير مهنا بن عيسى سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠م) بأميرين من كبار الامراء المماليك هما ايدمر الشيخي وبرلغي التتري الاشرفي لاخراجهما من السجن (٧) . وفي سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٨م) شفع الامير موسى بن مهنا في عدد (خمسة وثلاثون) من الرجال المصادرين المسجونين وذلك لاخراجهم من السجن (٨) . كما شفع الامير نعير ابن حيار سنة ٧٩٣هـ (١٣٩١م) بعدد من الامراء ، من اصحاب السلطان الظاهر برقوق المعزول (٩) ، المسجونين بثغر الاسكندرية فأجاب السلطان طلبه (١٠) .

وكانت مكانة امراء آل فضل في بلاد الشام مرموقة ، ليس فقط لانهم كانوا يقومون احيانا بقضاء مصالح الناس ، بل لعلاقاتهم ببعض الشخصيات البارزة في البلاد . فقد كانوا على علاقة طيبة مع الشيخ احمد بن تيمية الذي كان له عندهم « منزلة وحرمة

---

(٤) **مسالك الابصار** ،ج٣ ص ٤٨ .

(٥) القصص جمع قصة وهوالطلب او الالتماس . **السلوك** ، ج١ ص ٤٨٧ حاشية ٣ ، عاشور ، **العصر المماليكي في مصر والشام** (القاهرة ، ١٩٦٥) ص ٤٤ .

(٦) **مسالك الابصار** ، ج٢٩ ورقة ٥٨ . ما عدا المرةالاخيرة التي قدم فيها سنة ٧٣٤هـ ، فانه رفض القيام بأي شيء من ذلك . والخط تحت « عادة » من وضعي .

(٧) **السلوك** ، ج٢ ص ٨٧ — ٨٨ ، **النجوم الزاهرة**، ج ٩ ص ١٧ .

(٨) **السلوك** ، ج٢ ص ٤٥٥ .

(٩) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٩٦—٩٩ حيث ذكر اسماء الامراء الذين سجنوا .

(١٠) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ١١٣ . ومرة اخرى قام نعير بشفاعة لدى السلطان في نفس العام . **المصدر ذاته** ، ج٩ ص ٢٥١ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٤٠ .

واكرام يسمعون قوله ويمتثلونه » ، كما قال ابن كثير (١١) . كما كان ابن تيمية نفسه يهتم بامورهم ، فقد كان ينهاهم عن الغارة على بعضهم البعض وعلى غيرهم من العرب حتى انه وضع مؤلفا — كما قال ابن كثير ايضا — بتحريم ذلك (١٢) . وكان امراء آل فضل على علاقات حسنة مع ابناء البيت الايوبي في حماة ، فقد قاموا سنة ٧٠٩هـ (١٣٠٩ — ١٣١٠م) بمحاولة للتوفيق بين ابناء هذا البيت المتخاصمين (١٣) ، كما توسطوا سنة ٧١٠هـ (١٣١٠م) لاعادة حماة الى هذا البيت بعد ان كانت قد خرجت من ايديهم مدة ١١ سنة وعدة اشهر (خرجت سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م) (١٤) . وتمكن سيف بن فضل « ملك العرب » سنة ٧٥٠هـ (١٣٤٩م) من مصالحة اثنين من كبار علماء الشام في ذلك الوقت هما قاضي القضاة تقي الدين السبكي والشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ، وذلك بعد فشل محاولات سابقة لاصلاح الحال بينهم (١٥) .

٢ — علاقة آل فضل مع القبائل العربية والتركمانية

كان لآل فضل علاقة مع القبائل العربية والقبائل التركمانية في بلاد الشام . والاسباب التي كانت تؤدي الى قيام هذه العلاقة كثيرة منها موقف امراء العرب من الحركات التي كان يقوم بها السلاطين والنواب والامراء المماليك ، وموقف الامراء المماليك والقبائل العربية والتركمانية من الخلافات التي كانت تقع بين آل فضل وبين السلاطين المماليك . وكان من هذه الاسباب ايضا موقف القبائل العربية والتركمانية من النزاع بين آل فضل وفروع بني ربيعة الاخرى بسبب الامرة وانتقالها من بيت الى بيت .

وكان موقف امراء العرب من حركات سلاطين وامراء المماليك يتردد بين التأييد والمعارضة حسب الظروف ، كما كان الانتقال من موقف الى موقف آخر سهلا بالنسبة لهؤلاء الامراء خاصة اذا كان في ذلك خدمة لمصالحهم (١٦) . فقد وقف آل فضل وغيرهم

---

(١١) **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ١٧٢ . وقد شفع الامير مهنا بالشيخ احمد بن تيمية عندما كان مسجونا في القاهرة فأخرجه السلطان من السجن . انظر **الدر الفاخر** ، ص ١٥٠ — ١٥١ ، **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ٤٥ ، **السلوك** ج٢ ص ٣٩ — ٤٠ .

(١٢) **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ١٧٢ .

(١٣) **المختصر** ، ج٤ ص ٥٩ ، ٦١ .

(١٤) **المختصر** ، ج٤ ص ٦٠ — ٦١ ، **السلوك** ، ج٢ ص ٨٧ .

(١٥) **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ٢٣٢ .

(١٦) انظر مثلا ابن خلدون ، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا** (القاهرة ، ١٩٥١) ، ص ٣٢٤ ، **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٤٨٩ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ ورقة ٢٦٣ أ ، ج٢ الاوراق ١٠٧ أ ، ١١٧ أ .

من قبائل واهل الشام الى جانب الملك الناصر محمد بن قلاوون عندما قام بحركته لاستعادة السلطنة بعد ان كان قد تخلى عنها سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٨م) (١٧) . لكنهم ، على عكس ذلك ، وقفوا موقفا معاديا للسلطان برقوق سنة ٧٩١هـ (١٣٨٩م) ، وكانوا من القوى التي ساعدت في خلعه من السلطنة ونفيه الى الكرك (١٨) .

وكان آل فضل بن ربيعة مركز العلاقات التي نشأت بين قبائل الشام ، العربية منها والتركمانية . فقد كانت معظم القبائل تابعة لآل فضل وتحت حمايتهم (١٩) ، اما القبائل التركمانية فكانت مستقلة بامورها . وكان ظهور دور هذه القبائل — كبني كلاب والتركمان — مرتبطا باستعانة الفئات المتنازعة ، من مماليك وعرب بها .

وكان ابرز صراع قبلي في بلاد الشام خلال فترة المماليك البحرية هو ذلك الذي نشأ بين فروع طيء من آل فضل (آل مهنا بن عيسى وال فضل بن عيسى) وال مرا وال علي . وكان اساس هذاالصراع التنافس على امرة العرب . ففي فترة حكم الظاهر بيبرس كانت الفتنة بين عيسى بن مهنا وزامل بن علي بن حديثة ، ثم النزاع بين آل مهنا امراء العرب في البلاد الشمالية والشرقية من الشام وآل مرا امراء العرب في البلاد « القبلية » (٢٠) ، والذي تمثل بالمنافسة بين عيسى بن مهنا وابنه من جهة واحمد بن حجي من جهة اخرى . لكن هذه الحوادث لم تتطور الى قتال بين الجانبين كما حصل فيما بعد . ففي سنة ٧١٣هـ (١٣١٣م) استعان المماليك ببني كلاب وآل مرا وآل فضل بن عيسى وآل علي لطرد مهنا بن عيسى واهله من البلاد (٢١) ، فطردوه واخذوا منه امرة العرب واعطوها لسيف بن فضل (٢٢) . وادى ذلك الى قيام آل مهنا بالفتن التي ادت الى سجن احمد بن مهنا ، وقيام اخيه بجمع العرب للهجوم على دمشق واطلاق

---

(١٧) **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٦٩ ، **السلوك** ، ج٢ص ٥٦ وما بعدها، **ذيل تاريخ الاسلام**، ج١ ورقة ١٢٠أ، **النجوم الزاهرة** ، ج٩ ص ٤ .

(١٨) سيبحث ذلك بالتفصيل في القسم المتعلق بحركة منطاش من هذا الفصل .

(١٩) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٧—٢٨ ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٣٦ .

(٢٠) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٦ ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٦ (م. خوري) ص ١٤٩ ، **السلوك** ، ج١ ص ص ٢٣٥ — ٢٣٦ .

(٢١) **السلوك** ، ج٢ صص ١٣١ — ١٣٢ .

(٢٢) لم يكن سيف بن فضل في موقف يمكنه من القضاء على الفتنة اذ « لا طاقة له بآل مهنا » في رأي نائب حلب . **السلوك** ، ج٢ صص ٧٢٨— ٧٢٩ . وقد علق ابن الوردي عن تعيين سيف بن فضل في منصب امير العرب ببيتين من الشعر

نريد لاهل مصر كل خير … وقصدهم لنا حتف وحيف
وكيف يسمو لاهل الشام رمح … اذا استولى على العربان سيف

اخيه ، فانتشرت الاخبار بأنه كان « يريد اخذ الشام » (٢٣) . ولم تخمد هذه الفتنة حتى هزم آل مهنا ومن كان معهم من بني كلاب (٢٤) ، سيف بن فضل ومن كان معه من آل مرا وآل علي (٢٥) ، واعيد احمد بن مهنا الى الامرة (٢٦) .

ويمكننا ان نتصور ما كانت تؤدي اليه هذه الفتن من فوضى واضرار مما قال ابن الوردي المؤرخ المعاصر ، من ان فتنة فياض ادت الى « قطع الطرق والخوف على السبل » وانه جرى « على بلدة المعرة (بلدة المؤرخ) وحماه وغيرها في هذه السنة ... من العرب اصحاب سيف واحمد وفياض من النهب وقطع الطرق ورعي الكروم والزروع والقطن والمقاتي ما لا يوصف » (٢٧) .

ولم تكن العلاقات بين العرب من آل فضل والتركمان تختلف كثيرا عن العلاقات بين آل فضل وفروع طيء الاخرى ، فقد أستعان آل مهنا (من ال فضل بن ربيعة) بالتركمان على نواب حلب وضد امراء العرب المعارضين لهم ، لكن هذا التعاون بين آل فضل والتركمان لم يمنع من قيام الحروب بينهم في بعض الاحيان (٢٨) .

٣ — دور العرب في حركات امراء المماليك في بلاد الشام

قام امراء المماليك في بلاد الشام بعدة حركات كانت تهدف الى الاستقلال بالسلطة في جميع بلاد الشام او في اجزاء منها . وبدأت هذه الحركات مع بداية دولة المماليك البحرية . ففي سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) اعلن علم الدين سنجر الحلبي ، نائب دمشق ،

---

(٢٣) **السلوك** ، ج٢ صص ٦٦٧ — ٦٦٨ .

(٢٤) كان بنو كلاب ، كما رأينا في السابق ، امراء العرب في منقة حلب قبل آل فضل ، لكن خلافاتهم الكثيرة وعدم خضوعهم لامير واحد اضعفهم ، « ولو انقادوا لامير واحد لم يبق لاحد من العرب بهم قبل ولا طاقة » . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٥١ . وارجع الى **درة الاسلاك** ، ج٢ ورقة ٢٩٨ أ ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٨٥ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ الاوراق ١٩٧ ب — ١٩٨ أ ، **بدائع الزهور** ، ج١ صص ٢٢٦ — ٢٦٦ ، **نهر الذهب** ، ج٣ صص ١٨٩ ، ١٩٢ ،كأمثلة لاستعانة آل فضل بهم .

(٢٥) **درة الاسلاك** ، ج٣ ورقة ٢٩٨ أ ، — ب ، **الدرر الكامنة** ، ج٢ ص ١٨٣ ، ج٣ ص ٢٣٤ ، **السلوك** ، ج٢ صص ٧٣٤ ، ٧٥٩ .

(٢٦) **ذات مصادر حاشية** (٤) .

(٢٧) **تتمة المختصر** ، ج٤ ص ١٤٨ .

(٢٨) انظر كامثلة عن العلاقات بين آل فضل والتركمان : **السلوك** ، ج٢ ص ٦٦٥ ، ٨٩٨ ، **التعريف بابن خلدون** ، ص ٣٢٤، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ الاوراق ٣٨ ب ، ٢١٦ أ ، الغزي ، **نهر الذهب** ، ج٣ ص ١٨٩ .

استقلاله بالسلطة في نيابته وتلقب بالملك المجاهد وضربت السكة باسمه (٢٩) . ثم تنازل عن سلطنته ، لكنه عاد فأعلن نفسه سلطانا من جديد . واستمر في سلطنته هذه مدة تقارب السنة حتى ارسل له السلطان الظاهر بيبرس من هزمه . ومثل ذلك ما قام به الامير شمس الدين آقوش البرلي نائب حلب بعد مقتل السلطان المظفر قطز (سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م) ، اذ استقل بالامر في نيابته « وامر واقطع » (٣٠) واستمال اليه العرب والتركمان بالمال ، وبقي على استقلاله هذا مدة اربعة أشهر (٣١) .

ولم تقم خلال بقية سلطنة الظاهر بيبرس حركات مماثلة لهاتين الحركتين ، ذلك ان الظاهر بيبرس تمكن من تثبيت سلطته في بلاد الشام كما كان كثير التنقل بين القاهرة ودمشق منشغلا هو ونوابه وجيشه طول الوقت في حرب التتار والارمن والصليبيين . وفي بداية سلطنة الملك المنصور قلاوون قام الامير سنقر الاشقر بحركته .

أ ـ حركة سنقر الاشقر

كان سنقر الاشقر من كبار امراء المماليك البحرية ومن الذين ايدوا الملك المغيث الايوبي صاحب الكرك في النزاع الذي كان بين هذا الملك وبين الملك الناصر الايوبي (٦٤٨ ـ ٦٥٨هـ/١٢٥٠ ـ ١٢٦٠م) صاحب دمشق وحلب . لكن الملك المغيث تغير على هؤلاء الامراء بسبب من تهديد الملك الناصر له ، فأمسك عددا منهم وارسلهم الى صاحب دمشق وحلب (الملك الناصر المذكور) الذي سجنهم في حلب . وكان بين الامراء المسجونين سنقر الاشقر (٣٢) ، الذي بقي في سجنه حتى استولى هولاكو على حلب سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) فأسره واخذه معه الى بلاده (٣٣) . وبقي سنقر الاشقر في الاسر الى أن استعاده الملك الظاهر بيبرس مقابل اطلاق ابناء هيتوم ملك الارمن (١٢٢٦ ـ ١٢٧٠م) الذين اسرهم الظاهر في حروبه معهم (٣٤) .

---

(٢٩) **المختصر** ، ج٣ ص ٢٠٨ ـ ٢١٠ ، **النهج السديد** ، ص ٦٨ ـ ٦٩ ، **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ٤٢ب .

(٣٠) **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ٤٤ أ .

(٣١) **درة الاسلاك** ، ج١ الاوراق ٢٦ ـ ٢٧ .

(٣٢) **المختصر** ، ج٣ ص ١٩٨ ، **الوافي بالوفيات** (خط) ج٨ ورقة ١٩٥ أ .

(٣٣) **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ٣٠ ، **الوافي بالوفيات**، ج٨ ورقة ١٩٥ أ .

(٣٤) ابن العبري ، **تاريخ مختصر الدول** ، ص ٢٨٦ ،**ذيل مرآة الزمان**،ج٢ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ حيث اورد قصة استرداد قراسنقر مفصلة .

وتولى سنقر الأشقر بعد عودته من الاسر الولاية بالشام ، كما شارك في الحروب ضد التتار (٣٥) ، واصبح من الامراء المقربين الى السلطان الملك الظاهر بيبرس .

وبعد وفاة السلطان بيبرس سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م) ، بدأ الخلاف بين سنقر الاشقر وبين قلاوون الالفي الذي كان ايضا من الامراء المقربين الى السلطان المتوفي . فعندما تولى الملك السعيد بن الظاهر بيبرس السلطنة سنة ١٢٧٧م تغير عليه بعض الامراء المماليك — ومنهم سنقر الاشقرو قلاوون الألفي — لانهم كانوا « يرون انهم احق بالملك» منه (٣٦) ، وأخذ يتآمرون عليه مما ادى الى سجن الاميرين سنقر الاشقر وبيسرى اللذين اطلقهما السلطان بعد قليل (٣٧) .

وعندما بدأ قلاوون العمل لعزل السلطان الملك السعيد عن السلطنة حتى يأخذ مكانه انقسم امراء المماليك على انفسهم . فقد أيد الامير بيسرى قلاوون الالفي ، وايد سنقر الاشقر وعز الدين الافرم السلطان (٣٨) . وانتهى الصراع بعزل الملك السعيد وتوليه الملك العادل سلامش مكانه ، وعين قلاوون الالفي اتابكا وشريكا للسلطان كما عين سنقر الاشقر في نيابة السلطنة في دمشق (٣٩) .

وتمكن قلاوون من الاستئثار بالسلطنة سنة ١٢٧٩م . وتم ذلك بموافقة كبار الامراء المماليك في القاهرة . لكن ذلك لم يرض سنقر الاشقر الذي كان لا يزال نائبا للسلطنة في دمشق ، لاعتقاده بأنه احق بالسلطنة من قلاوون (٤٠) . لكن سنقر الاشقر لم يقم بأي عمل مباشر ضد قلاوون وانما آثر ، كما قا ل ابن الفرات ، « الاستبداد » بالشام واعماله (٤١) ، وان يكون ، كما قال بيبرس الدوادار ، « حاكما من الفرات الى العريش » (٤٢) . ويبدو انه كان هنالك اتفاق بين سنقر الاشقر وبين قلاوون ، على

---

(٣٥) **الوافي بالوفيات** ، ج٨ ورقة ١٩٥ ب ، **السلوك** ،ج١ ص ٦٢٨ .
(٣٦) **السلوك** ، ج١ ص ٦٤٥ .
(٣٧) **النهج السديد** ص ٢٩٠ — ٢٩١ ، **السلوك** ، ج١ص ٦٤٥ .
(٣٨) **النهج السديد** ، ص ٣٠٣ — ٣٠٥ ، **السلوك** ،ج١ ص ٦٥٣ .
عاشور ، **العصر المماليكي في مصروالشام** ، ص٦٦ — ٦٧ .
(٣٩) **النهج السديد** ، ص ٣١٠ ، **تاريخ ابن الفرات** ،ج٧ ص ١٦٢ وما بعدها ، **السلوك** ، ج١ ص ٦٥٢ — ٦٥٨ .
(٤٠) **البداية والنهاية** ، ج١٣ ص ٢٨٩ .
(٤١) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ١٦٢ ، **المختصر** ، ج٤ ص ١٣ .
(٤٢) **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ١٠٢ ب ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ١٦٧ .

اساس ان يقتسما البلاد بينهما ويصير « الامر على ما كان عليه في اواخر الدولـــة الايوبية » (٤٣) ، سلطان في مصر وسلطان في بلاد الشام .

وارسل السلطان قلاوون مملوكه حسام الدين لاجين الى دمشق فأقام في قلعتها. واعتقد سنقر الاشقر انه جاء للقضاء عليه ، تجمع الامراء المماليك بدمشق واخبرهـــم بمقتل السلطان ، ودعاهم الى طاعته ومبايعته ، فحلفوا له وبايعوه . وفي ٢٤ ذي الحجة من سنة ٦٧٨هـ (نيسان ١٢٧٩م) ركب سنقر الاشقر « بشعار السلطنة » مـــن دار السعادة التي كانت مقر النائب بدمشق الى القلعة ، وتلقب بالملك الكامل (٤٤) . ثـــم اخذ يثبت سلطته في دمشق ، فقبض على الامراء المؤيدين لقلاوون ، وعين الموظفين ، وبعث الى امراء المماليك في بلاد الشام يستميلهم اليه ، وارسل القوات من دمشق الى غزة « لحفظ البلاد ومنعها ودفع من يتطرق اليها من البلاد المصرية » ، وكتب الى اميري العرب عيسى بن مهنا واحمد بن حجي يعلمهما بما تم من امره ويطلب منهما القـــدوم اليـــه (٤٥) .

ولاقت دعوة السلطان الجديد استجابة سريعة من امراء العرب . ففي الخامس من محرم سنة ٦٧٩هـ (٧ ايار ١٢٨٠م) قدم الامير عيسى بن مهنا الى دمشق فاستقبله السلطان الملك الكامل احسن استقبال واجلسه عن يمينه « فوق الحاضرين» من جماعته وبعد ذلك بخمسة ايام قدم الامير احمد بن حجي من بلاد العراق (٤٦) . وقد وصـــل الاميران وعربهما في الوقت الذي بدأ فيه السلطـــان قلاوون يستعـــد لحرب الملـــك الكامـــل (٤٧) .

ولم يشارك العرب في الوقائع الاولى بين قوات مصر وقوات دمشق ، لكنهـــم اشتركوا في المعركة الحاسمة التي تقرر فيها مصير سلطنة سنقر الاشقر ، والتي وقعت في ١٩ صفر سنة ٦٧٩هـ (٢٠ حزيران ١٢٨٠م) (٤٨) . فقد رتب سنقر الاشقر للعرب

---

(٤٣) **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ١٠١ ب ، **تاريخ ابن الفرات** ، ص ١٦٢ .

(٤٤) **زبدة الفكرة** ، ج١٠ الاوراق ١٠١ أ — ١٠٢ ب ، **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ١١ ، **النهج السديد** ، ص ٣١٢ ، **المختصر** ، ج٤ ص ١٣ ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ١٦٢ .

(٤٥) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ١١ وما بعدها ، **زبدة الفكرة** ، ج ١٠ ورقة ١٠٣ ، **المختصر** ، ج٤ ص ١١ وما بعدها ، **البداية والنهاية** ، ج١٣ ص ٢٨٩ ، **درة الاسلاك** ، ج١ ورقة ٥٦ ب ، **تاريخ ابن الفرات**، ج٧ ص ١٦٢ ، ١٦٧ — ١٧٨ ، **السلوك** ، ج١ ص ٦٧١ — ٦٧٤ .

(٤٦) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٣٦ .

(٤٧) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٤٠ ، **السلوك** ، ج١٠ ورقة ١٠٣ ب ، **السلوك** ج١ ص ١٧٦ .

(٤٨) معركة الجسورة قرب دمشق . **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ١٠٣ ب ، **السلوك** ج١ ص ١٧٦ .

دورا كانوا يتقنونه تمام الاتقان ، اذ قرر « مع العربان الذين جمعهم ان يقاطعوا ساعة الملتقي على العساكر المصرية ويجيئوهم من ورائهم ويحطوا ايديهم في نهب الاثقال والغلمان والجمال ليثنوا اليهم عنا ... » (٤٩) . وقام العرب بما اوصاهم به السلطان ، لكن الحيلة لم تنطل على الافرم الذي كان يقود العساكر المصرية (٥٠) ، فانكسرت العساكر الشامية وتفرقت .

وعندما رأى سنقر الاشقر هزيمة عسكره وانضمام قسم منه الى العساكر المصرية ، هرب ومن بقي معه من الامراء على طريق البرية مع الامير عيسى بن مهنا ، وساروا معا الى بيوت الامير عيسى . واستجار سنقر الاشقر بأمير العرب واقام عنده (٥١) ، ثم اتصلا بملك التتار وطلبا اليه قصد بلاد الشام ، ووعداه بمساعدته في الاستيلاء عليها (٥٢) .

واتخذ السلطان قلاوون ، بعد نجاحه في القضاء على هذه الحركة ، موقفا حازما من امراء العرب الذين شاركوا فيها ، فعزل عيسى بن مهنا عن امرة العرب ، واخذ اقطاعه ، واعطاها والاقطاع الخاص بالامير للامراء عثمان بن مانع بن هبة ، ومحمد بن ابي بكر ، ودراج بن الطاهر (٥٣) . اما احمد بن حجي فقد كان اكثر دهاء من عيسى ، اذ تخلى عن سنقر الاشقر بعد المعركة مباشرة وعاد الى طاعة سلطان مصر بامان (٥٤).

---

(٤٩) **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ١٠٤ أ ، وهو نفس الاسلوب الذي كان الافرم يريد اللجؤ اليه فيما بعد . **الدر الفاخر** ، ص ٢٢٦ .

(٥٠) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٤٠ ، **الوافي بالوفيات** ، ج٨ ص ١٩٥ ب ، **البداية والنهاية** ، ج٣ ص ٢٩١ ، **درة الاسلاك** ، ج١ ورقة ٥٨ ب .

(٥٢) هذا ما تتفق عليه اكثر المصادر . ابن العبري ، **تاريخ مختصر الدول** (ط. ٢ ، بيروت ، ١٥٨) ، ص ٢٨٨ ، **زبدة الفكرة** ، ج١٠ ورقة ١٠٤ ب ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ١٧٢ ، **السلوك** ، ج١ ص ٦٧٧ — ٧٨ ، ولكن اليونيني يخالفهما في ذلك اذ ذكر انه عندما سمع التتار بالفوضى في بلاد الشام ، واختلاف الكلمة ، ظنوا ان سنقر الاشقر ومن معه سيتفقون معهم ، ويكونوا جميعا على العسكر المصري . **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٤٥ . ويؤيد ذلك موقفهما الى جانب السلطان في حرب التتار . اما رشيد الدين الهمذاني (**جامع التواريخ** ، ج٢ قسم ٢ من الترجمة العربية ، ص ٨٢) فقد ذكر انه عندما علم اباقا خان « ان اهل الشام يسيرون الى حدود الروم وديار بكر ويهاجمونها ، ويدمرون بلاد المسلمين ، ويأكلون الغلال ويثيرون الفتن ، كان يتألم من اعمالهم ، وصمم على المسير الى تلك البلاد » .

(٥٣) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ١٧٧ ، **السلوك** ،ج١ ص ٦٧٩ .

(٥٤) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ صص ٤٠ — ٤١ ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ١٧١ ، **السلوك** ، ج١ ص ٦٧٧ .

ولم يعد عيسى بن مهنا الى طاعة قلاوون الا بعد مدة تقارب العام ، وذلك بعد اتفاق الكلمة بين السلطان وسنقر الاشقر للوقوف في وجه التتار (٥٥) .

ب ـ حركة قراسنقر سنة ٧١١هـ (١٣١١م) (٥٦)

لم تكن حركة قراسنقر زمن الملك الناصر محمد مثل حركة سنقر زمن والده ، كما كان دور العرب فيها يختلف عن دورهم في الحركة السابقة . فقد كان قراسنقر مملوكا جركسيا اشتراه السلطان قلاوون واستخدمه في وظائف الدولة ، وترقى في المناصب حتى اصبح من كبار الامراء ، فتولى نيابة حلب ، وامير جاندار ، ونائب السلطنة زمن السلطان لاجين (١٢٩٦ ـ ١٢٩٨م) . واستمر يحتل هذا المنصب الاخير حتى اعتقاله (٥٧) . وتولى في زمن السلطان محمد بن قلاوون عدة نيابات منها الصبيبة وحماه وحلب ، كما قام زمن الناصر محمد بن قلاوون ـ في سلطنته الثانية (٦٩٧ ـ ٧٠٨هـ/١٢٩٨ ـ ١٣٠٨م) بتدبير المملكة حتى صار السلطان « تبعا له فيما يريد » (٥٨)، الى ان تغير عليه السلطان بعد مدة معينه نائبا بالشام ثم في حلب . وبقي في هذا المنصب حتى خروجه عن الطاعة سنة ٧١١هـ (١٣١١م) .

ولم يكن السبب الذي دفع قراسنقر الى الخروج عن طاعة السلطان هو رغبته بالاستئثار بالسلطة في بلاد الشام ، وانما كان تخوفه من السياسة التي اتبعها السلطان الناصر محمد تجاه الامراء الذين شاركوا في مقتل اخيه الملك الاشرف خليل (١٢٩٠ ـ ١٢٩٣م) ، لانه (قراسنقر) كان احد هؤلاء الامراء (٥٩) . فقد بدأ الناصر محمد بتتبع الامراء واحدا واحدا للقضاء عليهم مستعملا الابعاد والاعتقال والقتل « اظهارا لثأر اخيه وخوفا من ان يتجاسروا عليه بما تجاسروا على اخيه » (٦٠) . ولذلك فقد اتخذ الامراء قراسنقر والافرم والزر دكاش (٦١) موقفا حذرا من السلطان حتى انه كان لهم

---

(٥٥) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ صص ٨٨ ـ ٩٢ ، **المختصر** ، ج٤ ص ١٠٥ ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ٢٠٠ ، **السلوك** ، ج١ ص ٦٨٤ .

(٥٦) G. Wiet, "Un refugie mamlouk a La cour Mongol de Perse", **Melanges Henri Massé,** Teheran, 1963, pp. 388 - 404.

(٥٧) **الدرر الكامنة** ، ج٣ ص ٢٤٧ ، و « امير جاندار» هو الامير الذي يستأذن على دخول الامراء للخدمة السلطانية ويدخل امامهم الى الديوان . عاشور، **العصر المماليكي في مصر والشام** (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ٤٠٤ .

(٥٨) **الدرر الكامنة** ، ج٣ ص ٢٤٧ .

(٥٩) **رحلة ابن بطوطة** ، ص ٧٦ .

(٦٠) **المصدر ذاته** ، ص ٧٦ ، **السلوك** ، ج٢ ص ١٠٨ .

(٦١) **الدر الفاخر** ، صص ٢١٨ ـ ٢١٩ ، ٢٢٣ ـ ٢٢٥ ، والافرم والزردكاش من امراء المماليك .

جواسيس في القاهرة يعلمونهم بجميـــع ما كـــان يحاك فيها ضدهم . وعرف قراسنقر عن طريق مخبريه بخروج تجريدة كبيرة من مصر الى الشام للقضاء عليه ، فقام بحركته التي اشتهر امرها في جميع « اقاليم الشام » (٦٢) ، والتي انتهت بخروجه والامراء الذين شاركوه رأيه — الافرم والزردكاش — عن الطاعة والتجائهم الى التتار في العراق حيث اقطعوا هناك واستقروا .

وكان امير العرب في ذلك الوقت مهنا بن عيسى اشهر الامراء في القرن الثامـــن الهجري (الرابع عشر الميلادي) . وكانت علاقة هذا الامير مع السلطان الناصر قـــد بدأت تسؤ بسبب عدم قبول السلطان الاستجابة لشفاعاته . وفي ذات الوقت كانـــت علاقات مهنا مع قراسنقر حسنة نظرا لخدمة هذا الامير المملوكي الطويلة في حلب (٦٣) . وهذه العلاقة هي التي دفعت قراسنقر الى اللجؤ الى مهنا بن عيسى طالبا اجارته (٦٤) . وقبل مهنا استجارة قراسنقر بالرغم من معارضة اخيه فضل بن عيسى الذي كان يريـــد امساكه وارساله الى السلطان (٦٥) .

وقام الامير مهنا بمحاولة للاصلاح بين السلطان وبين قراسنقر ، خاصة وان الكتب التي وردت اليه من السلطان كانت تؤكد ان لا اساس لخوف قراسنقر ووهمه (٦٦) ، فطلب من قراسنقر الاقامة عنده في بيوته حتى يقوم بمكاتبة السلطان لتعريفه بما تم من امره ، والانتظار حتى يعود الجواب ، ثم يقررا بعد ذلك الاجراء المناسب (٦٧) . وارسل مهنا ابنه موسى مع هدية الى السلطان وطلب منه « ان يتصدق عليه (قراسنقر) بنيابة قلعة الروم » ليمضي فيها آخر ايامه (٦٨) .

وبعد سفر موسى بن مهنا وردت الى مهنا رسالة من السلطان . وجاء مع هـــذه الرسالة « الامان ... لقراسنقر وتقليد حلب على عادته ومستقر قاعدته ، ويعتب عليه

---

(٦٢) **الدر الفاخر** ، ص ٢٢٢ .

(٦٣) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٣٢ ، **الدر الفاخر** ، ص ٢١٩ .

(٦٤) كان السلطان قد طلب من قراسنقر ، قبل قيامهبحركته ، القبض على مهنا . وقد اطلع قراسنقر مهنا على هذه الرسالة وذلك في بداية حركته . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٣٤ ، **الدر الفاخر** ، ص ٢١٩— ٢٢٠ ، **المختصر** ، ج٤ ص ٦٤ .

(٦٥) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٣٣ .

(٦٦) **الدر الفاخر** ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

(٦٧) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٣٣ .

(٦٨) **الدر الفاخر** ، ص ٢٢٢ .

على ما قد خامره من الوهم الهذياني الذي لم تكن له صحة » ، وفي الجملـة « انـك (قراسنقر) رجل كبير ، ونحن برأيك نقتدي في الامور الكبار ، ترجع الى كلام الجهلـة والاعداء وتفعل ما لا تفعله الصغار ؟ » ويطلب منه ان « ... تترك هذا وترجع الـى حلب ... فأنت تعلم محلك عندنا وعظم منزلتك . ونحن قد اقمناك مقام انفسنا فـي جميع الممالك الشامية » . فكاد ان يقتنع مهنا بوجهة نظر السلطان ، لولا ان «مناصحي» قراسنقر في القاهرة ارسلوا يحذرونه من هذه المكيدة . فاطلع قراسنقر الامير مهنا على « البطاقة (الرسالة) » الواردة من اصحابه في القاهرة وذكره بحق الجيرة قائلا : « انا الان في جيرتك ، ومهما لحقني من الضيم كان عيبه عليك ، وعاره لازم عليك » . وكـان جواب مهنا الالتزام بحق الجيرة ، والاستعداد للمساعدة في كل ما من شأنه المحافظة على قراسنقر ومصالحه ، فرفض عودته الى حلب بناء على طلب السلطان (٦٩) .

ثم وردت كتب السلطان مع الرسل الذين بعثهم مهنا ، فزادت في تعقيد الامور . فقد طلب السلطان في هذه المرة عودة قراسنقر الى القاهرة لتعيينه نائبا للسلطنـة . وهنا ايضا حاول مهنا اقناعه بالعودة ، لكن خوف قراسنقر كان قد بلغ مداه ، وظهر ذلك واضحا في جوابه لمهنا : « يا ابا موسى ، انا في الاصل قطعة مملوك جركسي رأسي ورجلي ما يسوو ثلاث ماية درهم، وايش هو انا اذا قتلت ؟ انما عيبي يبقى لازمك وتلبس ثوب العار بين العربان الى اخر الدهر . اذ اشرت علي بشي ما اخالفك . ثم قـال قدموا الخيل اركب واتوجه اليه ... » ، فأثار ذلك الموقف نخوة مهنا ، الذي كان يعرف نية الملك الناصر محمد فصمم على تأييد قراسنقر حتى لا يلبس العار بين البدو الحضر(٧٠) . ثم قرر مهنا وقراسنقر التوجه الى ناحية الفرات .

وفي هذه الاثناء قدم اليهما الافرم نائب دمشق والزردكاش نائب طرابلس (٧١) . وكان من رأي الافرم ان يقوم المماليك والعرب بمحاربة العساكر التي ارسلها السلطان الملك الناصر ، الا ان رأي قراسنقر كان غير ذلك اذ رأى التوجه الى بلاد العـراق ومراسلة السلطان في مصر ليعطيهم بعض القلاع (٧٢) البعيدة عن مركز السلطنـة المملوكية ونوابها في بلاد الشام ، فأن رفض دخلوا في طاعة خدابندا (٧٠٣ — ٧١٧هـ/ ١٣٠٤ — ١٣١٧م) سلطان العراق . ورفض السلطان اعطاءهم ما طلبوا ، وانما قرر

(٦٩) **الدر الفاخر** ، ص ٢٢٣ — ٢٢٤ .
(٧٠) **الدر الفاخر** ، ص ٢٢٥ .
(٧١) **المصدر ذاته** ، صص ٢٢٢ — ٢٢٦ ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٤١ ، **البداية والنهاية** ، ج٤ صص ٢٦٣—٢٦٥
(٧٢) البيرة لقراسنقر ، وبهنسا للزردكاش ، والرحبة للافرم . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٣٣ .

لهم قلاعا كانت قريبة من مراكز الممالك الشامية (٧٣) ، فأدى ذلك الى ذهابهم جميعا ، ومهنا معهم ، الى التتار ، حيث استقبلوا احسن استقبال (٧٤) . اما مهنا فقد اكتفى بايصالهم الى الفرات ، وارسل الى سلطان العراق طالبا منه حمايتهم ، ومعلنا دخوله في طاعته ، وتعهده بخفارة طريق الحاج العراقي (٧٥) .

وهكذا انتهت هذه الفتنة الداخلية دون قتال ، لكن النتائج التي ترتبت عليها كانت بعيدة الاثر ، فقد ادت الى خروج آل مهنا عن الطاعة ، وتبع ذلك فترة من الفتن في بلاد الشام ، وبدأ امراء هذه القبيلة يتعاونون مع التتار ، ويشجعونهم على غزو البلاد، ويشاركون في بعض هذه الغزوات .

جـ ــ ثورة منطاش ٧٩١ ــ ٧٩٥هـ (١٣٨٩ ــ ١٣٩٣م)

لعل ثورة منطاش (٧٦) من اهم الحركات الداخلية التي قامت في بلاد الشام، والتي واجهت السلطان الظاهر برقوق اول سلاطين دولة المماليك الثانية او البرجية . فقد استمرت خمس سنوات ، واشترك العرب فيها او في مقاومتها على نطاق اوسع بكثير من الحركتين السابقتين ، وحتى « عشير » (٧٧) الشام من قيسية ويمنية كان لهم دور فيها .

---

(٧٣) اعطى السلطان لهم الصبيبة لقراسنقر ، وعجلون للافرم والصلت للزردكاش . **الدر الفاخر** ، ص ٢٢٦

(٧٤) **الدرالفاخر** ، صص ٢٢٦ ــ ٢٣٥ .

(٧٥) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٣٤ .

(٧٦) عالجت المصادر المعاصرة والمتأخرة حركة منطاش بالكثير من التفصيل . ومن اشهر المصادر المعاصرة : الجزء التاسع من **تاريخ ابن الفرات** ، و **الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية** (نشر وليم برينر ، بركلي ــ جامعة كليفورنيا ، ١٩٦٣) لابن صصرى الذي كان يعيش في دمشق في ذلك الوقت ومشاهدا لمعظم الاحداث التي دونها ، **والعبر لابن خلدون** (ج ٦ من طبعة بيروت)**وسيرة برقوق** التي الفها D. De Mignanelli . ومن المصادر المتأخرة **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** لابن تغرى بردى (ج١١ ، ١٢ من طبعة دارالكتب المصرية) ، **وبدائع الزهور في وقائع الدهور** لابن اياس (ج١ من طبعة بولاق) **وتاريخ بيروت** لصالح بن يحيى (بيروت ، ١٨٩٨) الذي ترد فيه بعض الاشارات عن علاقة امراء الغرب من بني بحتر بهذه الحركة ، **والذيل على تاريخ الاسلام** لابن قاضي شهبة (ج٢ ــ حوادث السنين ٧٩١هـ ــ ٧٩٥هـ) وانظر ايضا عن هذه الحركة : **السلوك** ، ج٣ ص ٥٩٥ وما بعدها ، الصيرفي **نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان** تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ ، ج١ ، ص ١٩٧ وما بعدها . ومن الدراسات الحديثة : **قيام دولة المماليك الثانية** حكيم السيد (القاهرة ، ١٩٦٧)، وهي من الدراسات الجيدة التي اعتمدت المصادر الاولية .

(٧٧) انظر عن دور العشيرة : **الدرة المضيئة** ، صص١٨ ، ٢٥ ، ٣٠ ، وما بعدها ، ص ٧٦ــ٩٠ . و « العشيرة » مصطلح يطلق على العرب او الاعراب الذين كانوا يسكنون الارياف والدروز . ارجع الى **السلوك** ، ج١ ص ٦٨٩ حاشية (٢) .

كان تمريغا الاشرفي ، المعروف بمنطاش ، من كبار الامراء المماليك الاتراك ، وقد شغل عددا من الوظائف في الدولة المملوكية حتى استقر اخر الامر في نيابة ملطية (٧٨) . وقد ولاه السلطان الظاهر برقوق الجركسي هذا المركز البعيد ليتخلص منه كما تخلص من الكثيرين من الامراء الاتراك بالابعاد او السجن او القتل (٧٩) . لكن منطاش اعلن ثورته على السلطان ، فاستقل في نيابته ، وانضم اليه عدد من الامراء المماليك الاتراك الناقمين على السلطان برقوق .

ثم قام امير تركي اخر وهو يلبغا الناصري بحركة مناهضة للسلطان برقوق في بلاد الشام ، فجمع الامراء والمماليك الاتراك في بلاد الشام ، واستمال منطاش ومن معه ، وقرر واياهم خلع السلطان برقوق (٨٠) . وسار يلبغا ومنطاش — بعد ان استقر لهما الامر في بلاد الشام — ومن كان يؤيدهما من المماليك والعرب والتركمان الى مصر ، فقاما بعزل السلطان برقوق ونفياه الى الكرك (٨١) ، وعينا مكانه السلطان المظفر حاجي (٧٩١هـ/١٣٨٩م) الذي كان قد عزله برقوق سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢م) . وكان النفـــوذ الفعلي في فترة سلطنة المظفر حاجي القصيرة (سنة واحدة) بيد يلبغا النــــاصري ومنطاش . ومن بداية سيطرتهما على أمور السلطنة المملوكية ، وقع بينهما نفور تطور الى صراع انتهى بسجن الناصري واستيلاء منطاش على المملكة . في هذه الاثناء تمكن السلطان برقوق من الخروج من سجنه وبدأ يعمل للعودة الى السلطنة . وعندما عرف منطاش بحركة برقوق هرب الى الشام .

وايد امير العرب نعير بن حيار حركة الناصري ومنطاش من بدايتها . ولم يكـــن هذا التأييد مرتبطا بالصراع بين المماليك الاتراك والمماليك الجراكسة على السلطنة ، وانما كان لاسباب شخصية مرتبطة بعلاقته مع السلطان برقوق الذي اخرج امـــرة العرب عنه واعطاها لابناء عمه آل فضل بن عيسى (٨٢) . ولذلك فقد كان على استعداد

---

(٧٨) **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٦٤ ، Ascensus Barcoch, p. 151

(٧٩) صور صاحب **قيام دولة المماليك** حركة منطاش على أساس أنها ردة فعل الامراء الاتراك على استيـــلاء الجراكسة على السلطنة . انظر الفصل الثالث صص ٦١ — ٩٢ .

(٨٠) **العبر** ، ج٥ ص ١٠٣١ — ١٠٣٤ ، **الدرر الكامنة**، ج٤ ص ٣٦٤ — ٣٦٥ ، **ذيل تاريـــخ الاســـلام** ، ج٢ ورقة ٢٩ ب ، **النجوم الزاهرة** ، ج١١ ص ٢٥١—٢٥٨ ، **قيام دولة المماليك** ، ص ٦٥ — ٦٨ .

(٨١) نجد الكثير من تفاصيل هذه الحركة في **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٥١ وما بعدها ، **النجوم الزاهرة** ، ج١١ ص ٢٥٥ وما بعدها .

(٨٢) لم اجد ما يؤيد قول De Mignanelli من أن السبب كان « لان نعيرا ، الذي كان من اصل عربي عريق ، كان يكره سيده (برقوق) لان هذا كان نصرانيا وبيع كمملوك عندما كان يعرفه نعير في شبابه». **Ascensus Barcoch, p. 153.**

للمشاركة بأي عمل يهدف الى القضاء على السلطان الظاهر برقوق ، خصوصا اذا كان هذا العمل سيؤدي الى وصول اصدقائه (٨٢) الى مراكز القوة في القاهرة .

وعندما تمكن الناصري ومنطاش من الاستيلاء على السلطة في القاهرة ، كان الامير نعير من اوائل الذين قدموا الى مصر لتقديم الولاء للسلطان المظفر حاجي مع انه « لم يكن قط حضر الى الديار المصرية في ايام الظاهر برقوق » (٨٤) . وفي القاهرة اخذ رأي امير العرب في مصير السلطان المعزول ، فكان من مؤيدي رأي صهره منطاش الذي قال بقتل الظاهر برقوق لا مجرد الاكتفاء بسجنه او نفيه (٨٥) . ولم يأخذ الناصري وغيره من كبار الامراء المماليك برأيهما واكتفوا بنفيه الى الكرك .

وعاد الامير نعير الى بلاده في رجب سنة ٧٩٢هـ/تموز سنة ١٣٨٩م. وعرف بعد عودته بما وقع بين يلبغا ومنطاش من الخلاف ، فصعب عليه ذلك الامر وخرج عن الطاعة ، واتفق مع الامير سولي بن قراجا بن دلغادر التركماني (٨٦) على العصيان ، وقاما ومن معهما من اتباع بالاستيلاء على بلاد كثيرة من بلاد حلب .

واما برقوق فقد بدأ حركة من منفاه في الكرك لاستعادة السلطنة ، فاستولى على الكرك واطاعه اهلها . ثم ايده امراء بني عقبة — امراء الكرك والمناطق الجنوبية من الاردن — وامير آل فضل المعارض لنعير (٨٧) . عند ذلك قرر برقوق المسير الى دمشق للاستيلاء عليها . وانضم اليه في الطريق عرب بني مهدي وجماعة من آل علي الذين كانوا على طاعته في سلطنته الاولى (٨٨) . وعندما عرف اهل دمشق بذلك « جفلت خواطر الناس » لانهم لم ينتهوا بعد من الفتنة السابقة (٨٩) .

وانقسم اهلها ما بين مؤيد لمنطاش ومؤيد للظاهر برقوق ، ويبدو ان غالبيتهم كانت « منطاشية » (٩٠) الهوى .

---

(٨٣) كان نعير على علاقة حسنة مع الناصري ، كما كان مصاهرا لمنطاش . **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ١٠٩ **قيام دولة المماليك** ، ص ٧٠ .

(٨٤) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ١٠٩ — ١١١ .

(٨٥) **التعريف بابن خلدون** ، ص ٣٢٨ — ٣٣٢ .

(٨٦) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ١٣٢ — ١٣٣ . وسولي هو والي نيابة الابلستين ومرعش عدة مرات . **الدرر الكامنة** ، ج٢ ص ١٧٩ .

(٨٧) **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ الاوراق ٤٢ ب — ٤٣ أ، **قيام دولة المماليك** ، ص ٨٥ .

(٨٨) **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ الاوراق ٤٣ ب — ٤٤ب. اما ابن صصرى فيذكر انضمام « العشران والفلاحين» الى الظاهر برقوق . **الدرة المضيئة**، ص‌ص ٢٥—٢٦ .

(٨٩) **الدرة المضيئة** ، ص ٢٥ .

(٩٠) **الدرة المضيئة** ، ص ٣١ ، Ascensus Barcoch, pp. 155-156. ، **بدائع الزهور** ، ج١ ص ٢٨٢.

وعندما عرف منطاش بحركة برقوق في الكرك وما حولها سار الى الشام وصحب معه السلطان والخليفة . وفي المعركة التي كانت بينه وبين برقوق عند شقحب — قرب دمشق — هزم منطاش (٩١) فهرب الى دمشق واعتصم بها (٩٢) ولحقه برقوق وقام بمحاصرة المدينة ، لكنه لم يستمر في محاصرتها اذ قرر العودة الى القاهرة بعد ان اصبح الطريق اليها مفتوحا (٩٣) .

ولم تؤد هزيمة منطاش في شقحب الى نهاية ثورته ، بل على العكس استمرت وقويت بانضمام آل مهنا بقيادة نعير وآل مرا بقيادة عنقاء بن شطي اليها (٩٤) . اما السلطان برقوق فبدأ يعمل للقضاء على ثورة منطاش ، فاستعان بيلبغا الناصري وغيره من الامراء الاتراك وعينهم قادة للجيش الذي ارسله الى الشام (٩٥) ، وارسل مرسوما بتقليد الامير نعير الامرة ، وحاول اقناع منطاش بأنه « اذا اطاع كان له الامان ، واي بلد اختار تكون له خلا دمشق وحلب » (٩٦) ، اما اذا امتنع هو ونعير عن قبول ذلك فعلى العسكر حربهم . ولم يوافق نعير ومنطاش على شروط برقوق فكانت الحرب .

ووقعت المعركة الاولى بين الجانبين في شعبان سنة ٧٩٢هـ (تموز ١٣٩٠م) ، وفيها تمكن الناصري من كسر نعير وهزيمته وتتبعه حتى منازله (٩٧) ، لكن بقية جيش السلطان لم تتمكن من احراز نصر حاسم على منطاش ومن معه ، بل على العكس فان منطاش تمكن ومن معه من عرب نعير وعنقاء من هزيمة الامراء المماليك واسر عدد كبير منهم (٩٨) . وادت هذه الهزيمة الى بلبلة في دمشق حتى « قالت الناس : ان منطاش والعرب يريد (ون) اخذ المدينة فانه لم يبق قدامه احد من العساكر » (٩٩) . ولم يأت

---

(٩١) معركة شقحب قرب دمشق ، وقد وصفتها المصادر بتفصيل زائد . وقد وصفها De Mignanelli وصفا دقيقا .Ascensus Barcoch, pp. 155-159 وذكر صالح بن يحيى وقوف الامراءالبحتريين الى جانب برقوق . **تاريخ بيروت** ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .

(٩٢) **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٦٥ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٥٥ ب ، **الدرة المضيئة** ، ص ٦٣ .

(٩٣) **قيام دولة المماليك** ، ص ٩٠ .

(٩٤) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٢١٧ ، **الدرة المضيئة** ، ص ١١٦ .

(٩٥) كان هدف السلطان برقوق القضاء على ثورة الامراء الاتراك بواسطة الاتراك انفسهم حتى يتمكن من اضعافهم وتثبيت حكم الجراكسة . **قيام دولة المماليك** ، صص ٩٤ — ٩٥ .

(٩٦) **الدرة المضيئة** ، ص ٦٤ .

(٩٧) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٢١٨ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٥٧ ب .

(٩٨) عزا ابن صصرى سبب هزيمة العسكر الى العرب. **الدرة المضيئة** ، ص ٦٦ . ايضا **تاريخ ابن الفرات** ج٩ ص ٢١٩ ، **الدرر الكامنة** ، ج٤ صص ٣٦٥—٣٦٦ .

(٩٩) **الدرة المضيئة** ، ص ٦٧ .

المنتصرون الى دمشق ، بل توجهوا جميعا الى حلب وحاصروها فلم يتمكنوا من الاستيلاء عليها (١٠٠) . وفي هذه الاثناء حدثت موقعة بين عرب نعير ونائب حلب كان نتيجتها هزيمة العرب واسر عدد كبير منهم ، من بينهم احد ابناء نعير (١٠١) . وادى ذلك الى تغير موقف نعير ، فأرسل الى السلطان برقوق كتابا شرح فيه موقفه وسأله « امانا شريفا » ، فاجابه السلطان الى ما طلب ، وارسل له « تقليده بالامرة على عادته » (١٠٢) .

وتوجه منطاش ، بعد رجوع نعير الى الطاعة ، الى مرعش ، ومنها عاد عن طريق البرية الى الشام (١٠٣) ، وتمكن من دخول دمشق والاستيلاء عليها . وحدث في المدينة نزاع شديد بين المؤيدين له والمؤيدين للسلطان برقوق (١٠٤) .

وتتابعت بعدذ لك الاحداث التي ادت في النهاية الى القضاء على ثورة منطاش . فقد انضم عنقاء بن شطي امير آل مرا الىمنطاش فيدمشق (١٠٥) وقاما معا بحرب عسكر الناصري ، فهزما وخرجا من دمشق (١٠٦) ولحقهما يلبغا الناصري بمن كان معه من العساكر . وفي هذه الاثناء توجه الامير نعير من منازله نحو دمشق (١٠٧) ، فالتقى في الطريق بالقوات التي كانت عائدة من ملاحقة الهاربين ، ووقعت بين الجانبين معركة (في شعبان ٧٩٣هـ/ حزيران ١٣٩١م) كسر فيها العسكر الناصري كسرة علق عليها بن صصرى بقوله : « ورجعت الترك مكسورين وراحت العرب منصورين ، ومن اعظم

---

(١٠٠) **الدرة المضيئة** ، ص ٦٩ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ،ج٢ ورقة ٥٨ — ٥٩ أ ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

(١٠١) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٢٢٠ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٥٨ أ .

(١٠٢) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ صص ٢٣٢—٢٣٣ ، ٢٥٠ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٥٩ أ . ويرد أن الامير عنقاء كان في هذا الاتفاق ، وانه التزم باحضار جثة منطاش ، وان السلطان وافقه على ذلك، لكن يبدو ان عنقاء لم يتقيد بالاتفاق واستمر في تأييد منطاش .

(١٠٣) **الدرة المضيئة** ، صص ٧٥—٧٦ ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٢٥٥ حيث ذكر البلاد التي مر بها وهي : العمق الى اعزاز الىسرمين الى حماه (استولى عليها) الى حمص (استولى عليها) الى بعلبك (دخلها) الى دمشق (استولى عليها).

(١٠٤) **الدرة المضيئة** ، ص ٨٠ — ٨١ .

(١٠٥) **الدرة المضيئة**، ص ٨٩ . وقد « دقت البشائر عند المناطشة في الميدان في دمشق وفرحوا بسبب قدومه » . ايضا **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٦٧ أ .

(١٠٦) **تاريخ ابن الفرات**، ج٩ ص ٢٦٥ ، **الدرة المضيئة**، ص ٩٠ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٦٧ ب .

(١٠٧) ذكر ابن قاضي شهبة انه كان قادما لنجدة منطاش . **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٦٧ ب ، لكن نائب حماه ، في كتابه الى السلطان ، ذكر ان نعيرا لم يكن خارجا عن الطاعة وانما كان قادما لتقديم الولاء . **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٢٦٥ . وفيهذه المعركة كان امراء الغرب من بني بحتر مع الناصري . **تاريخ بيروت** ، ص ١٩٨ — ٢٢٠ .

العظائم ان تفوز العرب من الترك بالغنائم » (١٠٨) . وتبع ذلك خروج نعير عن الطاعة من جديد (١٠٩) .

واما منطاش وعنقاء فقد وقع الاختلاف بينهما بعد هزيمتهما ، فتوجه عنقاء الى البرية وتوجه منطاش الى نعير واستجار به (١١٠) .

وفي سنة ٧٩٥هـ (١٣٩٣م) لحق بنعير ومنطاش ومن كان يؤيدهما من الهزائم ما ادى الى تغير آل مهنا عليهما (١١١) . ووقع الخلاف بين نعير وبعض امراء آل مهنا الذين رغبوا في العودة الى طاعة السلطان . وادى ذلك الى توجه عامر بن طاهر بن حيار الى القاهرة لمقابلة السلطان وشرح موقف آل مهنا المخالفين لنعير ، كما ارسل ابو بكر وعمر ابناء نعير رسالة الى السلطان عن طريق نائب حلب ابدا فيها مسعى عامر بن طاهر بن حيار (١١٢) .

ولما عاد عامر من القاهرة « تفاوض » مع جميع آل مهنا في حالتهم وفي الوعود التي وعدها السلطان لهم فاتفقوا « وعرضوا على يعبر (نعير) ان يجيبهم الى احدى الحسنيين من امساك منطاش او تخليه سبيلهم الى طاعة السلطان ويفارقهم هو الى حيث شاء من البلاد ، فجزع لذلك ، ولم يسعه خلافهم ، واذن لهم في القبض على منطاش وتسليمه الى نواب السلطان » (١١٣) . فأمسكوا منطاش وارسلوه الى نائب حلب الذي قتله وبعث برأسه الى دمشق والقاهرة للطواف به (١١٤) .

وبالقضاء على منطاش خمدت الفتنة التي استمرت خمس سنوات ، وتثبتت سلطة المماليك الجراكسة في بلاد الشام ، وعادت الامرة الى نعير ثم خرجت عنه حتى تولى السلطنة فرج بن برقوق سنة ٨٠١هـ (١٣٩٩م) « فاعيد الى الامرة كعادته » (١١٥) .

---

(١٠٨) **الدرة المضيئة** ، ص ٩٢ .

(١٠٩) لكنه حاول في نفس الوقت الابقاء على اتصالاتهمع السلطان . **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٢٦٥ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٨١ ب .

(١١٠) **الدرة المضيئة** ، ص ٩٣ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ الاوراق ٦٨ ب ، ٨٠ أ — ٨١ أ ، **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٢٦٧ .

(١١١) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٣٣٢—٣٣٣ ، **ذيلتاريخ الاسلام** ، ج٢ الاوراق ٨٩ ب — ٩٠ أ ، **الدرة المضيئة** ، ص ١٣٥—١٣٧ ، **النجوم الزاهرة** ، ج١٢ ص ٣٩ .

(١١٢) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٣٣٦ ، الملحق رقم ٥ .

(١١٣) **العبر** ، ج٥ ص ١٠٧٧ — ١٠٧٨ .

(١١٤) **تاريخ ابن الفرات** ، ج٩ ص ٣٣٨ — ٣٤١ ، **الدرة المضيئة** ، ص ١٣٩ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٩١ أ ، **الدرر الكامنة** ، ج٤ ص ٣٦٦ ، **النجوم الزاهرة** ، ص ٤١ — ٤٢ ، **بدائع الزهور** ، ج١ ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .

(١١٥) **ذيل تاريخ الاسلام** ، ورقة ١٤٣ ب .

الفصل السادس

امــراء العــرب وسلطنـــة المماليــك

ـ ٣ ـ

موقف امراء العرب من الصراع بين المماليك والتتار

في سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) استولى التتار على بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، واقاموا في العراق ادارة تابعة لهم . وكان يحكم مصر ، في ذات الوقت ، المماليك ، اما بلاد الشام فقد كانت في يد ملوك الايوبيين . ولم يكن الملوك الايوبيون في وضع يسمح لهم بالدفاع عن بلاد الشام في حال تقدم التتار اليها ، فأسرع الملك الناصر يوسف الايوبي صاحب دمشق وحلب الى اعلان خضوعه للتتار . لكن هذا الاستسلام الايوبي لم يمنع قوات التتار من التوجه نحو بلاد الشام ، والاستيلاء ، سنة ١٢٦٠م ، على حلب ودمشق وبقية بلاد الشام .

وتوجه التتار — بعد استيلائهم على بلاد الشام — الى مصر للقضاء على نفوذ المماليك فيها . لكن قوات المماليك ، التي كان يقودها السلطان المظفر قطز وبيبرس ، تمكنت من طرد التتار عن غزه ، ثم الحقت الهزيمة بهم في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) .

واصبحت معظم بلاد الشام ، بعد معركة عين جالوت ، تابعة لسلاطين المماليك ، فتولوا الدفاع عنها ضد هجمات التتار المتكررة عليها .

الصراع بين المماليك والتتار

كانت معركة عين جالوت بداية الصراع الطويل والمرير بين دولة المماليك في مصر والشام وبين دولة التتار في فارس والعراق (١) . وتمثل هذا الصراع بين هاتين الجارتين بالغارات التي كانت تشنها كل منهما على الاخرى ، والتي كانت تؤدي احيانا الى وقوع معارك كبيرة بينهما . ففي سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م) وقعت معركة الابلستين (٢) التي انتصرت فيها قوات المماليك على قوات التتار . وفي سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م) تغلبت جيوش المماليك مرة اخرى على قوات التتار في معركة حمص « قرب سلمية » (٣) .

وبعد موقعة حمص اتصل احمد تكودار ، ملك فارس والعراق ، بالسلطان قلاوون سلطان المماليك . ونتج عن المراسلات التي تبادلاها عقد معاهدة صلح بين المماليك

---

(١) G. Browne, **A Literary History of Persia**, vol. 3 (Cambridge, England, 1928), p. 20.

(٢) W. Muir, **The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt** (London, 1896), pp. 28 - 29.

والابلستين : مدينة مشهورة في الجنوب الشرقي من الاناضول . **EI(2)**, II, p. 693.

(٣) **النهج السديد** ، ص ٣٢٧ — ٣٢٨ ، **زبدة الفكرة** ، ج١٠ الاوراق ١١٤ أ — ١١٥ ب ، **ذيل مرآة الزمان** ، ج٤ ص ٩٤ . وقد ذكر رشيد الدين الهمذاني هذه المعركة بصورة موجزة . **جامع التواريخ** ، م٢ ج٢ (ترجمة محمد صادق نشأت ، القاهرة ، لا . ت .) ص ٨٢ — ٨٤ .

والتتار . وتلا عقد هذا الصلح فترة من الهدؤ ــ على الرغم مما تخللها من غارات ــ استمرت حتى تولى غازان سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٥م) الحكم على التتار . فقد قاد هذا الايلخان (٤) جيشا كبيرا توجه به الى بلاد الشام ، فهزم قوات المماليك في معركة مجمع المروج (او الخازندار) سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م ، واستولى على دمشق وجعلها تابعة لملكة التتار . ثم عاد الى بلاده ، وترك قسما من جيشه في بلاد الشام .

واستعاد المماليك دمشق . وعندما عرف غازان بعودة دمشق الى المماليك اتصل بالملك الناصر محمد بن قلاوون طلبا للهدنة والاتفاق ، لكن المراسلات بينهما لم تؤد الى نتيجة فاستؤنفت الحرب من جديد . وفي معركة مرج الصفر (٥) سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م) ثأر المماليك لهزيمتهم في موقعة الخازندار ، وشتتوا جيش التتار (٦) .

وتولى ابو سعيد سنة ١٣١٧م السلطة في فارس والعراق . وفي زمنه تم الاتفاق مع المماليك ، وعقد صلحا بين دولته ودولة المماليك . وكان اهم ما اشتمل عليه هذا الصلح ما تعلق بالطرق والتجارة والحجاج وغارات العرب على بلاد التتار (٧) .

وساد مملكة التتار في فارس والعراق ، بعد وفاة السلطان ابو سعيد (٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) فترة من الفوضى والفتن الداخلية دامت مدة تقارب نصف قرن ، الى ان تولى السلطة تيمورلنك سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٤م فوحد مملكة التتار ، واعاد النظام اليها ، واستأنف السياسة التوسعية التي بدأها أسلافه .

دور العرب في الصراع بين المماليك والتتار

كان للقبائل العربية ، بحكم موطنها ، دور في النزاع بين المماليك والتتار . فقد كان آل فضل وآل علي وآل مرا (والقبائل التابعة لهم) يسيطرون على منطقة جغرافية هامة بالنسبة للمماليك وللتتار . فنفوذ التتار كان يمتد غربا حتى نهر الفرات الذي كان يشكل الحد الفاصل بين دولتهم ودولة المماليك في القسم الاكبر من حدودهما المشتركة .

---

(٤) والايلخان اي التابع للخان الكبير . Bosworth, **The Islamic Dynasties,** p. 149.

(٥) بنواحي دمشق . **معجم البلدان** ، ج٢ ص ١٠١ .

(٦) Browne, **A Literary History of Persia,** p. 42.

وحسن ابراهيم حسن ، **دراسات في تاريخ المماليك البحرية** (القاهرة ، ١٩٤٩) ص ١٢٣ــ١٢٤ .

(٧) **السلوك** ، ج٢ ص ٢٠٩ ــ ٢١٠ ، ولخصها جمال الدين سرور في **دولة بني قلاوون في مصر** ، (القاهرة، ١٩٤٧) ، ص ٢٠٧ .

وامتد نفوذ المماليك الفعلي في بلاد الشام حتى نهر الفرات في الشمال الشرقي الى الرحبة جنوبا ، وحتى حدود المعمور من ناحية الشرق (٨) . اما البادية الواقعة بين الفرات شرقا وحدود بلاد الشام المعمورة غربا فقد كانت تحت سيطرة القبائل العربية التي كانت ترأسها فروع قبيلة طيء (٩) . وكانت هذه القبائل تتحكم بطرق المواصلات التي تمر عبر هذه البادية او على اطرافها . ولذلك كان لا بد لمن كان يسيطر على المناطق الواقعة الى الغرب او الى الشرق من هذه البادية ، من اكتساب ولاء هذه القبائل ، ليتمكن من المحافظة على طرق البريد وقوافل التجارة ومواكب الحجاج ، وحتى تبقى هذه الطرق متصلة الحركة دون عائق او مانع .

وعرف المماليك اهمية القبائل والمهام التي يمكن ان تقوم بها من المحافظة على الامن والاستقرار في البادية وعلى طرقها ، الى المساعدة في الحروب ضد اعدائهم . فأبقى سلاطين المماليك على امارة العرب التي انشأها الايوبيون ، ونظموها وحددوا مهامها تجاه الدولة ، واستمالوا امراء العرب بمختلف وسائل الترغيب من اقطاعات وهدايا وهبات . وبهذا تمكن سلاطين المماليك من الحصول على تأييد القبائل في صراعهم مع التتار ، على الاقل في نصف القرن الاول من هذا الصراع .

ويمكننا ان نميز مرحلتين في موقف امراء العرب من آل فضل من الصراع بين المماليك والتتار : الاولى مرحلة المشاركة الايجابية مع المماليك والثانية مرحلة خروجهم عن طاعة المماليك وتقربهم من التتار ومساعدتهم لهم ضد المماليك .

تعاون آل فضل مع المماليك

بدأت المرحلة الاولى من دور آل فضل في النزاع بين المماليك والتتار بمعركة عين جالوت . ويبدو ان مشاركة آل فضل في هذه المعركة كانت فعالة ، اذ انعم السلطان المظفر قطز على اميرهم بمدينة سلمية كاقطاع له . واشترك امراء العرب ، بعد هذه المعركة ، بمعظم ما اتخذه المماليك من اعمال للتصدي للخطر التتري ، من غارات وتجاريد واستكشاف وحروب ، حتى نهاية القرن السابع الهجري (الثالث عشر

---

(٨) كان نفوذ المماليك الفعلي في البادية لا يتعدى حدود المعمور من بلاد الشام . ارجع الى الخارطة في **دراسات في تاريخ المماليك** ، ص ١١١ .

(٩) كانت قبائل عبادة وخفاجة في العراق والى الجنوب الغربي من الفرات لا تخضع لسلطة آل فضل . وكان آل فضل يغيرون على هذه القبائل احيانا . انظر **تشريف الايام** ، ص١١١ ، **ذيل مرآة الزمان** ، ج٣ ص ١٧٦ ، ج٤ ص ٣٦ .

الميلادي) . ففي سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) اوقع امير العرب زامل بن علي بالتتار على الرستن بين حماه وحمص (١٠) . وفي السنة التالية سار العرب من آل فضل مع كشافة المماليك الى حدود العراق لكشف اخبار التتار (١١) . وفي سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٤م) امر السلطان الملك الظاهر بيبرس بعدم خروج عربان الشام الى البرية للحاجة اليهم في دفع التتار عن البلاد (١٢) . كما كان يستفاد من آل فضل في نواح اخرى . فعندما نزل التتار على بلدة البيرة وحاصروها ، أرسل السلطان نجدة الى حاميتها ، وطلب من امير العرب عيسى بن مهنا ان يسير عن طريق البرية الى حران للاغارة عليها « فلما بلغ التتار عبور العساكر (لنهر الفرات) وغارة ابن مهنا ، رحلوا عن البيرة . ورجعت التجريدة التي ارسلها السلطان الى بلاد الشام » (١٣) .

واستمر ولاء آل فضل للمماليك . ففي سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٩م) طلب السلطان من امير العرب الاستعداد لمرافقة الحملة التي كان يعدها السلطان لارسالها الى العراق(١٤) كما رافق امير العرب السلطان الظاهر بيبرس في بعض غزواته على جهة الفرات (١٥). وفي سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م) قام العرب من آل فضل وآل مرا وغيرهم باهم دور لهم في تأييد المماليك . فقد اشتركوا في معركة حمص ، وكانوا يشكلون جزءاً من ميمنة جيش السلطان . وانتصر المماليك في هذه المعركة على التتار ، وشاد المؤرخون بدور العرب في الحرب ، حتى نسب بعضهم سبب النصر لدور العرب فيها (١٦) .

ومن معركة حمص وحتى نهاية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) لا نجد في المصادر المعاصرة ما يشير الى دور العرب واثرهم في النزاع بين المماليك والتتار. وربما كان من اسباب ذلك ما وقع بين امراء العرب وبين السلطان الاشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ — ٦٩٣هـ/١٢٩٠ — ١٢٩٤م) من خلاف . فقد قام هذا السلطان بسجن مهنا بن عيسى امير العرب ، وعددا اخر من امراء بيته في قلعة القاهرة (١٧) .

---

(١٠) **السلوك** ، ج١ ص ٤٤١ .
(١١) **تاريخ ابن الفرات** (م. خوري) ج٦ ص ١١—١٢، ص ٣١ .
(١٢) **تاريخ ابن الفرات** (م. خوري) ج٦ ص ٨٧ ، **السلوك** ، ج١ ص ٥١١ .
(١٣) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٢ ص ٣١٨ .
(١٤) **السلوك** ، ج١ ص ٥٨١ .
(١٥) **ذيل مرآة الزمان** ، ج٢ ص ٤٦٨ . انظر ايضا **تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ٦ — ٣١ .
(١٦) **تاريخ ابن الفرات**، ج٧ ص٢١٥—٢١٨ ، **السلوك** ، ج١ ص ٦٨٤ — ٦٩١ .
(١٧) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ، **العبر** ، ج٥ ص ٩٤٠ .

واما دور العرب من آل فضل بن ربيعة في حروب المماليك مع غازان (٦٩٨ — ٧٠٢هـ/١٢٩٩ — ١٣٠٣م) فيكتنفه الكثير من الغموض . فابن خلدون يذكر انه لم تكن لهم مشاركة في هذه الحروب (١٨) ، والمقريزي يخالفه في ذلك فيذكر انهم اشتركوا في معركة الخازندار (١٩) سنة ٦٩٩هـ (١٣٠٠م) التي انتصر فيها التتار على المماليك ومعركة مرج الصفر (٢٠) سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٣م) التي انتصر فيها المماليك على التتار . ولكن يبدو ان رواية ابن كثير ادق من الروايتين السابقتين،فقد ذكر انه عندما وصل التتار الى بلاد الشام ، كان مهنا امير العرب خارجا عن طاعة المماليك . فقام عدد من كبار شخصيات الشام في ذلك الوقت — الشيخ احمد بن تيمية ، والشيخ ابراهيم الفارقي ، والشيخ زين الدين الفارقي — بالاتصال بأمير العرب لثني عزمه عن الامتناع عن الحضور لقتال العدو « فاجابهم بالسمع والطاعة » (٢١) ، واشترك وعربه في معركة مرج الصفر (٢٢) .

خروج امراء العرب عن طاعة سلاطين المماليك وتقربهم من التتار

بدأ آل مهنا من آل فضل بالتقرب من التتار بعد خروج الامير مهنا بن عيسى واخوانه واولاده من السجن في القاهرة سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٥م) . واخذ بعض ابناء مهنا يلجأون الى بلاد التتار ثم يشنون الغارات على اطراف بلاد الشام،وعلى طرق المواصلات والقوافل التجارية (٢٣) . وفي سنة ٧١١هـ (١٣١١م) خرج الامير مهنا عن طاعة السلطان الناصر محمد بن قلاوون بسبب حركة قراسنقر . واستمر خروج امير العرب عن طاعة المماليك مدة ربع قرن .

---

(١٨) **العبر** ، ج٥ ص ٩٤١ .

(١٩) **السلوك** ، ج١ ص ٨٨٦ — ٨٨٧ ، ولم اجد عند غير المقريزي ما يدل على اشتراك آل فضل في هذه الموقعة ، وما ذكره المقريزي ليس دقيقا . فقد قال ان الامير عيسى بن مهنا وقف على رأس ميمنة جيش السلطان . وعيسى هذا توفي سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٣م)، وهذه المعركة كانت سنة ٦٩٩ هـ (١٣٠٠م) . ويبدو انه وقع خلط عند المقريزي او ناسخه بين موقعةحمص سنة ٦٨٠هـ التي اشترك فيها عيسى وبين هذه المعركة التي لم يشترك فيها ابنه مهنا .

(٢٠) **السلوك** ، ج١ ص ٩٣٣ .

(٢١) **البداية والنهاية** ، ج١٤ ، ص ١٦.

(٢٢) **مسالك الابصار** ، ج٢٩ ورقة ٥٦ .

(٢٣) كان يلجأ امراء العرب في بعض الاحيان الى التتار بسبب خلافاتهم الداخلية ، مثل ما حدث لاحمد بن عميره الذي ذهب الى بلاد التتار وحارب امير الموصل وكسره، وولاه خدابنده، سلطان التتار ، امارة الموصل ، فبقي فيها مدة ثم رجع الى بلاد الشام. **الدرر الكامنة** ، ج١ ص ٢١٨ ، **تاريخ العراق بين احتلالين** ، ج١ ص ٤١٢ — ١٣ .

وفي خلال فترة خروج مهنا عن طاعة سلاطين المماليك هذه المرة ، حاول امـــراء العرب الاستفادة من المماليك والتتار في وقت واحد . فقد قـــال ابن فضل العمـــري ، المعاصر لمهنا : « كان الاخوين (الاخوان) (مهنا بن عيسى ، وفضل الذي بقي علـــى الطاعة) متفقين في الباطن مختلفين في الظاهر » (٢٤) . ويؤكد ذلك ما ذكره مهنا لابنائه واخوته ــ عندما الحوا عليه بالعودة الى طاعة سلطان المماليك بعد الصلح الذي عقد بين المماليك والتتار ــ اذ قال : « فاكتفوا بما اقول لكم وكلوا رزق هذا الرجل ، فوالله لولا مهنا ما رأيتم شيئا من هذا ، ودعه يطعمك علي فالهناء لكم » (٢٥) . وصارح موسى بن مهنا السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمثل ذلك فقال « والله يا مولانا السلطان ، لو اطاعك مهنا ما كنا عندك بهذه المنزلة ، والله ان عصيانه عليك جيد لنا ، والله لو اطعناك ما اطقناك ، فاحمر وجه السلطان خجلا » (٢٦) .

واخذ امراء العرب من آل فضل بن ربيعة الاقطاعات من التتار اضافة الى ما كان لهم من الاقطاعات من المماليك . وعلق ابو الفداء ، المؤرخ المعاصر ، على ذلك بقول له دلالتـــه :

« واستمر مهنا على ذلك يأخذ الاقطاعين بالشام والعراق ويصل اليه الرسل من الفريقين وخلعهما وانعامهما وهو مقيم بالبرية ينتقل من شط الفرات من منازله لا يروح الى احد من الفئتين . وهذا امر لم يعهد مثله ولا جـــرى نظيره فان كلا من الطائفتين لو اطلعوا على احد منهم انه يكتب الى الطائفة الاخرى قتلوه لساعته ولا يمهلونه ساعة » (٢٧) .

ولكي يستطيع آل فضل الاحتفاظ باقطاعاتهم التي حصلوا عليها من المماليك والتتار، كان لا بد لهم من القيام باعمال ترضي الفئتين . ففي سنة ٧١٢هـ (١٣١٢م) اشتـــرك سليمان بن مهنا في حصار الرحبة الذي قام به خدابندا ملك التتار وقراسنقر (٢٨) . وقام سليمان ايضا بعد ثلاث سنوات من حصار الرحبة بالاغارة على تدمر ونهبها ، ووصل في غارته الى قرب البيضاء بين القريتين وتدمر (٢٩) .

---

(٢٤) **مسالك الابصار** ، ج٢٩ ورقة ٥٠ ، ورقة ١٠١ .
(٢٥) **المصدر ذاته** ، ورقة ١٠١ .
(٢٦) **تاريخ العراق بين احتلالين** ، ج١ ص ٤٦٧ عـــن **عقد الجمان** للعيني ، ج٢٢ ص ٢١٦ .
(٢٧) **المختصر** ، ج٤ ص ٧١ .
(٢٨) **الدر الفاخر** ، ٢٥١ ــ ٢٦٤ ، **السلوك**، ج٢ ص١١٩ .
(٢٩) **السلوك**، ج٢ ص ١٤٥، **تاريخ العراق بين احتلالين** ، ج١ ص ٤٣٥ .

اما بالنسبة لامراء آل فضل الذين كانوا لا يزالون في طاعة سلطان المماليك فقد حاولوا الحد من تخريب الامراء الخارجين عن الطاعة من ناحية ، والقيام باعمال ترضي المماليك من ناحية اخرى . ومن ابرز الاعمال التي قام بها الامير محمد بن عيسى خدمة لدولة المماليك،قضاؤه على فتنة الشريف حميضة امير مكة (٣٠) . فقد التجأ هذا الشريف بعد خروج امرة مكة عنه ، الى التتار ، وطلب منهم ارسال جيش معه لغزو مكة وامتلاكها ، وتدمير قبري ابي بكر وعمر . فاغتنم اهل السنة لهذا الامر كثيرا (٣١) ، لكن محمد بن عيسى جمع جمعا من العربان وقصد جيش التتار الذي قدم مع الشريف حميضة فكسره ونهبه واخذ جميع ما كان معه من الاموال . وكان من جملة ما استولى عليه محمد بن عيسى من التتار « الفوس والمعاول التي هيأؤها لنبش الشيخين » (٣٢) . وكافأ السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون امير آل فضل على هذا العمل وثبته في اقطاعه معرة النعمان .

واستمر الامير مهنا يأخذ الاقطاعات من التتار ، لكنه لم يؤيدهم ضد المماليك ، ولم يطلب مساعدتهم للانتقام من المماليك ، على الرغم من انتشار الاخبار في بلاد الشام بانه كان يريد الاستنصار بالتتار على المماليك (٣٣) . وقد عبر الامير مهنا عن وجهة نظره حول هذه الاخبار في جوابه لملك التتار عندما سأله الملك عن سبب حضوره الى بلاد التتار ، فقال « نحن ناس عرب وعلينا طاعة مفروضة للملوك ، ورأينا من سلطاننا (سلطان المماليك) امر فخشينا عاقبته فخرجنا عن طاعته فسير يقول اخرج من بلادي. خرجت من بلاده الى بلادك ونزحت من طاعته . فان قبلتنا اقمنا وان كنت تكره جوارنا رحلنا عنك فالبر للبدوي متسع » (٣٤) .

وفي سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) تم الاتفاق بين المماليك والتتار ، وعقدت اتفاقية للصلح بينهما . وتضمنت هذه الاتفاقية شروطا تتعلق بالقبائل العربية . فقد طلب ابو سعيد ، ايلخان التتار ، من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون الامتناع عن ارسال العرب والتركمان للاغارة على بلاد التتار . ووافق سلطان المماليك ، في رسالته

---

(٣٠) **الدورة الكامنة** ، ج٢ ص ٧٨ — ٨١ .

(٣١) **الدرر الكامنة** ، ج٢ ص ٨٠ ، **تاريخ العراق بين احتلالين** ، ج١ ص ٤٤١ — ٤٢ عن **عقد الجمان** ، ج٢٢ (دون تحديد للصفحة) .

(٣٢) **المصادر ذاتها** في الحاشية رقم ٣١ ، والصفحات ذاتها .

(٣٣) **المختصر** ، ج٣ ص ٩١ ، **مسالك الابصار** ، ج٢ الاوراق ٥١ — ٥٢ .

(٣٤) **مسالك الابصار** ، ج ٢٩ ورقة ٥١ .

الجوابية ، على ذلك شرط ان يمتنع ملك التتار عن ارسال الغارات الى بلاد المماليك ، وان لا يسمح لآل مهنا ، الخارجين عن طاعة المماليك ، بالدخول الى بلاد التتار ، وان يتعاون المماليك والتتار على حرب آل مهنا (٣٥) .

وبدأ آل مهنا ، نتيجة لاتفاق المماليك والتتار عليهم،بالاعتداء على طرق المواصلات في البادية . فاعترض سليمان بن مهنا رسل المماليك العائدين من بلاد التتار واستولى على ما كان معهم من التقادم والهدايا التي ارسلها ايلخان العراق وفارس الى سلطان مصر . وبرر سليمان عمله هذا بقوله ان « البلاد التي للملك الناصر طردنا منها ، وخرجنا عن طاعته ، واعطى أخبازنا لغيرنا من العرب ، وما بقي لنا معاش ومكسب الا قطع الطريق واخافة السبل والذي معكم نأخذه » (٣٦) . وفي نفس الوقت قرر مهنا اعتراض ركب كبير للحجاج كان قد سار من العراق بعد عقد الاتفاق مباشرة ، فارسل الى الحجاج مع رسوله طالبا منهم : « لنا خفر عليكم خمسة الاف دينار ، وبذلك جرت العادة من العرب » (٣٧) ، لكن الحجاج رفضوا دفع الخفارة مستندين الى الاتفاق الذي تم بين « ملك مصر وملك بغداد والموصل » ، وانه لولا معرفتهم بذلك الاتفاق لما خرجوا من بلادهم (٣٨) .

وعندما عرف الملك الناصر محمد باعتراض مهنا لركب العراق ، ارسل الى سيف ابن فضل طالبا منه التدخل لانه ، كما قال السلطان له ، « ما عملت اباك اميرا على العرب الا ان يمنع مهنا واولاده من التعرض لبلادي » (٣٩) . فتوجه سيف — بناء على رغبة الملك الناصر ورغبة والده — الى حيث كان يقيم مهنا ، وطلب منه عدم التعرض للركب العراقي ، لكن مهنا امتنع — في البداية — عن قبول وساطته على اساس انه « ما لابيك فانه يأكل خبز مهنا وانت تأكل خبز اولاده ولم تحفظون البلاد وتراعون حق السلطان في كل ما يقصده ؟ فأنتم تأكلون الاخباز ومهنا يأكل من كسب سيفه وكيف ارجع عن هذا الركب العراقي وفيه مكسب يقوت لمهنا سنة كاملة ، واذا اخذت بحقي فاني

---

(٣٥) **السلوك** ، ج٢ ص ٢٠٩ — ٢٢٠ ، **تاريخ العراق بين احتلالين** ، ج١ ص ٤٦٩ عن **عقد الجمان** ، ج٢٢ ص ٢٢١ .

(٣٦) **تاريخ العراق بين احتلالين** ، ج اص ٤٦٩ عن **عقد الجمان** (دون تحديد الجزء والصفحة) . وقد اطلق سليمان الرسل بسبب رجاء صديق له كان معهم .

(٣٧) **المصدر ذاته** ، ج١ ص ٤٦٦ ، عن **عقد الجمان** ، ج ٢٢ (دون تحديد الصفحة) .

(٣٨) **المصدر ذاته** ، ج١ ص ٤٦٦ .

(٣٩) **تاريخ العراق بين احتلالين** ، ج١ ص ٤٦٦ .

رجل ما انا تحت طاعة سلطان مصر ولا سلطان العراق وانما آكل من سيفي » (٤٠) لكن الامير سيف الح عليه حتى قبل بتخلية سبيل ركب الحجاج (٤١) .

وفي الفترة التالية لوفاة الامير مهنا (٧٣٥هـ/١٣٣٥م) بدأت مرحلة جديدة من النزاع بين المماليك والتتار ، لم يكن دور العرب فيها واضحا الى حد كبير . فالمصادر المعاصرة لهذه الفترة تورد بعض الاخبار المتفرقة التي تدل على تعاون امراء آل مهنا مع سلاطين الدولة الجلائرية في العراق (٤٢) . وكان يتم مثل هذا التعاون في الاوقات التي كان يخرج فيها بعض امراء العرب عن طاعة السلطان المملوكي . ففي سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٨م) توجه حيار بن مهنا وجماعته من العرب الى العراق والتحقوا بالشيخ حسن الكبير سلطان العراق (٤٣) . وبعد ذلك بمدة ثار فياض بن مهنا وقرر الاتصال بالتتار ليحثهم على اخذ بلاد الشام ، الا ان صاحب ماردين منعه من الاتصال بالتتار وشفع به لدى السلطان المملوكي الذي اعاد الى فياض اقطاعه . وساعد حيار بن مهنا صاحب بغداد في حرب جماعة من العرب في برية العراق (٤٤) .

ووقع في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) حوادث تدل على تأييد امراء آل مهنا للتتار (٤٥) . وكانت اهم حادثة من هذه الحوادث اتصال تيمورلنك ملك التتار بالامير نعير بن حيار ، امير العرب الخارج عن طاعة سلطان المماليك . فارسل تيمورلنك الى نعير خلعة حتى يستميله الى جانبه . وقبل امير العرب الخلعة ولبسها (٤٦) لكنه لم يقدم للتتار خدمات تذكر (٤٧) .

---

(٤٠) **تاريخ العراق بين احتلالين** ، ج١ ص ٤٦٦ عن **عقد الجمان** للعيني ، ج٢٢ (دون تحديد الصفحة) .

(٤١) **المصدر ذاته** ، ج١ ص ٤٦٦ .

(٤٢) وجلائر قبيلة مغولية كبيرة قدمت خدمات جليلة للايلخانيين .
Al-Feel, The Historical Geography of Iraq, pp. 39 - 40.

(٤٣) **السلوك** ، ج٢ ص ٤٤٥ والشيخ حسن الكبير هو صاحب العراق بين ١٣٣٧م و ١٣٥٦م .

(٤٤) **السلوك** ، ج٢ ص ٨١٥ .

(٤٥) انظر **البداية والنهاية** ، ج١٤ ص ٢٦٦ — ٢٦٧ ،ص ٣١٣ ، **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج١ الاوراق ١٣٢ ب ، ١٥١ أ ، ١٥٧ ب .

(٤٦) **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٩٣ ب .

(٤٧) وسبب عدم تأييد نعير لتيمور لنك يرجع الى التجاء احمد بن اويس سلطان العراق — الذي هرب من العراق امام تيمورلنك — الى نعير . **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ٩٢ ب .

وعاد الامير نعير الى طاعة سلطان المماليك ، وارجع السلطان اليه اقطاعه (٤٨). ووقف امير العرب الى جانب قوات المماليك عندما استعدت هذه القوات لمجابهة جيوش تيمورلنك التي توجهت الى بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م (٤٩) .

نرى مما تقدم ، انه كان لامراء العرب من آل فضل (خاصة آل مهنـــا) دور في الصراع بين المماليك والتتار . فقد ايدوا في البداية المماليك ضد التتار ، لكنهم كانوا على استعداد للجؤ الى التتار ومساعدتهم في الغارات على بلاد الشام في الاوقات التي كانت تخرج فيها الامرة والاقطاعات عن آل مهنا الى اقربائهم من آل فضل بن عيسى وآل علي ابن حديثة .

وعرف امراء العرب اهميتهم لكل من المماليك والتتار ، فحاولوا الاستفادة مـــن الجانبين المتنازعين . واخذوا الاقطاعات من المماليك والتتار ، والتي كانت تشمل احيانا مناطق كثيرة من الشام والعراق . واما اذا فشل امراء العرب في الاستفادة من المماليك والتتار ــ نتيجة لاتفاق الجانبين ــ فقد كانوا يلجأون الى البادية ، حصنهم الامين ، ويبداون بالاعتداء على طرق المواصلات ويستولون على ما كانوا يجدونه مع القوافل التجارية ومواكب الحجاج من اموال ومتـــاع .

---

(٤٨) **السلوك** ، ج٢ ص ٨١٥ .

(٤٩) **ذيل تاريخ الاسلام** ، ج٢ ورقة ١٧١ أ ، **بدائـــع الزهور** ، ج١ ص ٣٢٦ .

الفصل السابع

دور الامـــارة الطائيـــة

في بـــلاد الشـــام

قال ابن خلدون عن العرب الذين قاموا بالفتوحات الذين نصروا « الايمان والملة، ووطدوا اكناف الخلافـــة » :

« ... هؤلاء كلهم انفقتهم الدولة العربية الاسلامية ، فنبا منهم الثغور القصية ، واكلتهم الاقطار المتباعدة ، واستلحمتهم الوقائع المذكورة ، فلم يبق منهم حي يطرق ولا حلة تنجع ولا عشير يعرف ، ولا قليل يذكر ... متفرقين في الامصار ألوى الخمـــول بجملتهم ، فتقطعوا في البلاد ، ودخلوا بين الناس فامتهنوا واستهينوا واصبحوا خــولا للامراء ، وبهما للذائذ وعالة على الحرف . وقام بالاسلام والملة غيرهم ، وصار الملـــك والامر في ايدي سواهم ... فغلب اعاجم المشرق من الديلم والسلجوقية والاكـــــراد والغز والترك على ملكه ودولته ، فلم يزل مناقلة فيهم الى هذا العهد » .

العبر ، ج٦ (ط. بيروت) ص٦

ثم قال :

« ... واندرج العرب اهل الحماية في القهر واختلطوا بالهمج ولم يراجعـــــوا احوال البداوة لبعدها ، ولا تذكروا عهد الانساب لدروسها فدثروا وتلاشوا شأن من قبلهم ومن بعدهم ، سنة الله قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

« وانتبذ بقية هذه الشعوب من هذه الطبقة بالقفار واقاموا احياء بادين لـــــم يفارقوا الحلل ولا تركوا البداوة والخشونة فلم يتورطوا في مهلكه الترف ولا غرقـــوا في بحر النعيم ، ولا فقدوا في غيابات الامصار والحضارة » .

العبر ، ج٦ ص ٦ـ٧

« ... واعتز بعض اهل هذا الجيل (الفترة السابقة) غربا وشرقا **فاستعملتهم الدول وولوهم الامـــارة على احيائهم واقطعوهم في الضاحيـــة والامصـــار والتلـــول** واصبحوا جيلا في العالم ناشئا ، كثروا سائر اهله من العجم . ولهم في تلك الامارة دول فاستحقوا ان تذكر اخبارهم وتلحق بالاجيال من العرب سلفهم ... »

العبر ، ج٦ صص ٧ـ٨

ويطلق ابن خلدون عليهم اسم « العرب المستعجمة » .

ومن هؤلاء العرب ، في ارض الشام :

« بنو حارثة بن سنبس وآل مراء من ربيعة اخوة آل فضل الملوك على العرب في برية الشام والعراق ونجد . . . فلنذكر الان خبر اولاد فضل امراء الشام والعراق من طيء فنبين (حال) (٢) اعراب الشام جميعا » .

العبر ، ج٦ ص ١١

---

(٢) او « فبهم يتبين حال اعراب » . **العبر** ، ج٦ ص١١ حاشية (٢) عن نسخة اخرى .

ظهرت الامارات القبلية في العراق والجزيرة الفراتية وبلاد الشام في فترات تسلط غير العرب من اتراك وبويهيين وسلاجقة ومماليك على هذه المناطق . فقيام الامارة الحمدانية في الموصل والجزيرة — ثم امتداد نفوذها الى حلب وبلاد الشام جنوبا حتى دمشق والبادية — كان مرافقا لفترة التسلط التركي ثم البويهي على الخلافة العباسية . وكانت بدايات الامارة الطائية في جنوبي فلسطين وشرقي الاردن مرافقة لقيام الدولة الفاطمية في مصر وامتداد نفوذها الى بلاد الشام شمالا حتى دمشق .

ويلاحظ ، من ناحية اخرى ، انه لم تقم امارات عربية قبلية ، كتلك التي بدأت تظهر من النصف الثاني للقرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، قبل سيطرة الجماعات غير العربية على امور العراق والجزيرة وبلاد الشام . فاذا استثنينا الامارة الحمدانية ، فان ظهور امارات اسد وعقيل وخفاجة وكلاب وكلب وطيء (وحتى بني مروان الاكراد) كان من بداية النصف الثاني للقرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) .

وكانت الفترة التي بدأت تظهر فيها الامارات القبلية هي فترة الانقسام الداخلي في العالم الاسلامي (والخلافة العباسية بشكل خاص) ، والنزاع بين الخلفاء العباسيين والمتسلطين عليهم من بويهيين وسلاجقة ، والصراع بين العباسيين والخلافة الفاطمية التي كانت تطمع بمد نفوذها على المنطقة (العراق والشام والجزيرة الفراتية) باجمعها .

وقد ضعفت معظم الامارات القبلية وكادت تتلاشى في بداية استيلاء السلاجقة على الخلافة العباسية والجزيرة وبلاد الشام . وربما كان سبب هذا الضعف والانحلال ان السلاجقة كانوا قوة موحدة تمكنت من فرض سيطرتها على الجميع . ولكن انقسام قوة السلاجقة على نفسها بحيث اصبحت تعيش في صراع داخلي دائم ادى الى عودة القبائل الى المسرح السياسي في المنطقة .

ومما زاد في الفوضى السياسية في المنطقة ، وساعد في استرداد القبائل لقوتها، مجيء الصليبيين وتكوينهم عددا من الامارات والممالك في الجزيرة الفراتية وعلى طول ساحل بلاد الشام . وقد صار الصليبيون ، منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي ، قوة لها اثرها في تاريخ هذه المنطقة .

ومن القبائل التي استعادت نفوذها من بداية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) قبيلة طيء (آل مرا وآل فضل ابني ربيعة) التي اخذت منذ ذلك الوقت

تلعب دوراً متزايدا في حياة بلاد الشام السياسية ، حتى اصبح لها — في نهاية دولة الايوبيين وفي دولة المماليك — الامرة على جميع القبائل الاخرى .

ان البحث عن دور القبائل العربية في الحياة السياسية لبلاد الشام وباديتها ، وعلاقات هذه القبائل بالدول التي قامت في هذه المنطقة ، يقود بالضرورة الى البحث عن الاسس التي كانت تقوم عليها هذه العلاقات والتي قررت الدور الذي كان للقبائل في البلاد التي خضعت لنفوذ هذه الدول . وهذه الاسس كانت تستند الى نقطة يمكن اعتبارها الاساس الذي تركزت حوله العلاقات بين القبائل وبين الدول ، هذه النقطة هي « المصالح المشتركة » التي جمعت بين امارات القبائل وبين الدول المتتابعة التي قامت في المنطقة الممتدة من مصر الى العراق .

فماذا كانت مصالح القبائل ؟ وماذا كانت مصالح الدول ؟ من العلاقات التي كانت بين الطرفين ؟

كانت تتلخص مصالح القبائل ، من مشاركتها في الحياة السياسية للمنطقة ، بالمكاسب المادية التي كانتتحصل عليها سواء أكانت هذه المكاسب نقدية مما كان يعطي لها من الجهات التي شاركتها ، او عينية من المغانم التي كانت تحصل عليها . وقد كانت هذه المكاسب موردا من موارد رزقها يضاف الى مواردها التقليدية التي لم تكن ثابتة — تنقص وتزيد حسب الظروف نتيجة للغزو — نظرا لطبيعة الحياة البدوية . وتتمثل هذه الموارد التقليدية بتربية الابل والماشية ، وبالقليل من الزراعة (ان وجدت في مواطن الاستقرار) ، وبالمكاسب التي كانت تحصل عليها القبائل عندما كانت تشارك في الحروب ، وبالتجارة في مواسم الحج وغيرها من المواسم . فهل كانت هذه الموارد كافية لحياة القبائل ؟ يبدو أن القبائل التي كانت تسكن البادية قد اكتفت خلال القسم الاكبر من القرون الثلاثة الاولى من الاسلام ، بهذه الموارد المحدودة . وسواء أكان هذا الاكتفاء بسبب قناعتها بتحصيل ما هو ضروري لبقائها او بسبب قوة الدولة خلال هذه الفترة — العامل الذي كان يمنعها من الاعتداء على المصالح العامة وحقوق الآخرين — فاننا لا نلاحظ ان القبائل كانت تعتدي على مصالح الدولة خاصة طرق المواصلات وما كان يمر بها من قوافل حجاج وتجارة ، او على الارياف والحواضر ومن كان يسكنها . وقد بدأت هذه الاعتداءات وفرض الخفارات والاتاوات على الحجاج والتجار في نهاية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، مع بداية تسلط الفئات غير العربية من تركية (وبويهية) وسيطرتها على الدولة والجيش . وهو ذات الوقت الذي بدأت

تظهر فيه الامارات البدوية التي كانت على استعداد لتقديم خدماتها — اذا كان في مثل هذا العمل خدمة لمصالحها — لهذا الجانب أو ذاك من الفئات المسيطرة على المنطقة التي كانت بدورها على استعداد لقبول خدمات القبائل والاستعانة بها في تحقيق مصالحها المتعددة .

ويمكن ان نلخص مصالح الدول التي كانت على علاقة مع القبائل بما يلي :

اولا ، المحافظة على الامن والاستقرار في المناطق التي كانت تتبع الدولة او الدول، ومنع القبائل من الاعتداء على الارياف والحواضر .

ثانيا ، المحافظة على طرق المواصلات — البريد والتجارة والحجاج — الهامة لحياتها : البريد للاتصال بين بلادها ، والتجارة لاقتصادها ، والحجاج لهيبتها وسمعتها .

ثالثا ، المساعدة في الحروب . فقد كانت القبائل قوة عسكرية لها اساليبها الخاصة في الحروب والتي كان لها اثرها ، في حالات كثيرة ، في هزيمة الاعداء . يضاف الى ذلك التجسس ، ومعرفة الطرقات في البادية معرفة جيدة الامر الذي لم يكن ممكنا بالنسبة للقوات الغريبة عن المنطقة والقادمة من الشرق (الديالمة والاتراك) ومن الغرب (الفاطمية) .

رابعا ، الاستعانة بالقبائل في القضاء على الفتن والثورات الداخلية .

خامسا ، تزويد الجيوش (خاصة زمن المماليك) بما كانت تحتاج اليه من الخيل والابل .

وكانت المصلحة المشتركة هي الرابطة التي جمعت بين الامارات القبلية والدول في بلاد الشام وباديتها . ومن البداية وجدت هذه الدول صعوبة في التعامل مع القبائل . فقد كانت هذه القبائل تعيش متنقلة بين مصايفها ومشاتيها ، لها مواطن لكن ليس لها وطن او ارض تعيش من نتاجها ، فالارض والبلاد ارض وبلاد هذا السلطان او ذاك كائنا من كان .

وعدم ارتباط القبائل بالارض معناه عدم ارتباطها بدولة ، فالدولة في نظرها دولة السلطان المسيطر وليس دولتها . وولاء القبائل لاي دولة كان مرتبطا بمصلحتها ، فاذا انتهت المصلحة انتهى الولاء . وعند ذلك تبدأ القبائل في البحث عن مصدر جديد لمصلحتها

وولائها (٣) ، فان لم تجد هذا المصدر الجديد فانها كانت تلجأ الى البرية ، فالبرية للبدو هي الموطن وفيها متسع لهم دائما .

وبالاضافة الى فقدان الارتباط بالارض والولاء للدولة ، لم يكن للقبائل ولاء حقيقي لعقيدة دينية يدفعها الى الوقوف الى جانب المسلمين ضد اعدائهم . والامثلة التي توضح ذلك كثيرة . فتعاون القبائل العربية مع الروم والصليبيين والتتار ، ونهبها لجيوش المسلمين وقت هزيمتها في الحروب ، تتردد كثيرا في الاخبار ، ومن الاسباب التي اثارت نقمة المؤرخين المعاصرين — ومعظمهم من اهل المراكز الحضرية ومن المتدينين — عليها .

فكيف يمكن ، والحالة هذه ، التوفيق بصورة دائمة او شبه دائمة بين مصالح القبائل ومصالح الدول التي قامت في هذه المنطقة ؟ في رأيي ان انشاء امارة العرب واعطاءها لاقوى القبائل واكثرها نفوذا — آل فضل من طيء — مع قلة عددها (٤) ، هو الحل الذي توصل اليه الايوبيون ، والذي نظمه وثبته المماليك . فقد تمكن المماليك عن طريق امارة العرب الرسمية من تحديد دور القبائل بالشكل الذي يخدم الدولة على افضل وجه ، ومن ارضاء امراء القبائل باعطائهم الامتيازات من اقطاعات وهبات ، وهؤلاء الامراء هم الذين قال عنهم ابن خلدون : « فاستعملتهم الدول وولوهم الامارة على احيائهم واقطعوهم في الضاحية والامصار والتلول واصبحوا جيلا في العالم ناشئا » (٥) .

وكان انشاء امارة العرب ، وتعيين الامراء على القبائل ، وربطهم بجهاز الدولة، الحل المناسب — وان لم يكن الحل المثالي — الذي ادى الى نتائج ايجابية تظهر واضحة من دور القبائل في بلاد الشام في فترة المماليك البحرية على الرغم مما كانت تقوم به

---

(٣) من الامثلة التي توضح ذلك ، وان كان يرتبط بامارة حلب المرداسية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، ما قاله محمود بن صالح بن مرداس اميرها عند بدأ زحف السلاجقة الى الشام :

« قد ذهبت دولة المصريين (الفاطميين) ، وهذه دولة جديدة ومملكة سديدة ونحن تحت الخوف منهم ، وهم يستحلون دماءكم لاجل مذهبكم (الشيعة) ، والرأي ان نقيم الخطبة خوف ان يجيئنا وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل ... فأجاب مشايخ البلد الى ذلك فلبس المؤذنون والخطباء السواد (شعار العباسيين) » .

(٤) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٤٧ .

(٥) **العبر** ، ج٦ ص ٧ .

هذه القبائل أحيانا من أعمال كانت تؤثر على هذه الايجابية وتحولها الى سلبية تتمثل بالتخريب والنهب والسلب والاعتداء على طرق المواصلات .

ولتوضيح ما تقدم سنأخذ تاريخ فروع قبيلة طيء في بلاد الشام كمثال على موافقة الاحداث في تاريخ القبائل على النقاط الرئيسية التي ذكرت في ما سبق من هذا الفصل . وبذلك نستطيع ، كما قال ابن خلدون ، أن نبين « (حال) اعراب الشام جميعا » (٦) .

لقد ميزنا في تاريخ فروع طيء ، كما عرض في هذه الدراسة ، بين مرحلتين : مرحلة ما قبل الامارة الرسمية التي امتدت فترة قرنين ونصف قرن ، ومرحلة الامارة الرسمية التي امتدت مدة قرنين بالنسبة لهذا البحث . ومع ان هدفنا هو دراسة دور واثر آل فضل وغيرهم من بني ربيعة في المرحلة الثانية ، فان تبين المعالم الرئيسية للمرحلة الاولى يساعد في معرفة ما طرأ من تغير على الدور والاثر في المرحلة الثانية نتيجة لقيام الامارة الرسمية .

المرحلة الاولى : الامارة غير الرسمية

قدم آل الجراح من طيء الى بلاد الشام — على الارجح — في بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، واستقروا في المناطق الجنوبية من فلسطين وشرقي الاردن ، واقاموا امارة قبلية في هذه المناطق ، لكنهم لم يفقدوا ارتباطهم بالبادية والجبلين — أجأ وسلمى — موطن قبيلة طيء الاصلي ، وملجأ آل الجراح الامين في وقت الشدة .

ولم يكن يهم آل الجراح ومن كان معهم من طيء امر الارض التي تغلبوا عليها ولا أمر الدولة الفاطمية التي كانوا تابعين لها . وكل ما كان يهمهم من السيطرة على الارض والارتباط بالدولة هو ما كانوا يستفيدونه من الضرائب التي كانوا يفرضونها على اهل فلسطين والاردن والتي كانت تؤدي احيانا الى هجرة السكان من البلاد والى خراب المدن العامرة . واما ما كانوا يستفيدونه من الدولة فقد تمثل بالاقطاعات التي كانوا يحصلون عليها من خلفاء الفاطميين .

وكان اهم مورد لآل الجراح هو تأجير خدماتهم في الحروب لمن كان يدفع اعلى ثمن، للفاطميين ومن حكم بعدهم بلاد الشام او لاعدائهم . وكان في تلك الخدمات مكسب لآل

---

(٦) **العبر** ، ج٦ ص ١١ .

الجراح من ناحيتين : الاولى ما كان يدفع نقداً للأمير وقبيلته ، والثانية ما كان يعطي لهم عينا من الاقطاعات والهدايا ، وما يضاف الى ذلك مما كان يؤخذ من المغانم من رجال ومتاع . والامثلة على المساعدات التي قدمها آل الجراح مقابل المال كثيرة منها : تخلي آل الجراح عن القرامطة مقابل المال الذي دفعه الفاطميون لهم ، وتأييدهم افتكين التركي في بداية حركته ثم التخلي عنه واسره وارساله الى الخليفة الفاطمي مقابل مبلغ من المال ، وتخليهم عن الفاطميين والانضمام الى اتسز بن أوق الخوارزمي القائد السلجوقي — وذلك في بداية سيطرته على الشام — ثم تركه والرجوع الى تأييد الفاطميين مقابل المال ، مما ادى الى هزيمة اتسز امام الفاطميين ، وامساكهم احد الاشراف « وبيعه » من الافضل بن بدر الجمالي حتى قال الناس في دمشق « اما هذه **عادتهم** ؟ » (٧) .

هذا زمن الفاطميين . فماذا كان دور آل ربيعة من طيء زمن آل طغتكين والزنكيين والايوبيين ؟ ضعف دور قبيلة طيء ، نتيجة لاستيلاء السلاجقة والصليبيين على بلاد الشام ، لفترة قصيرة ، اخذوا بعدها يشاركون — منذ بداية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) — في الاحداث التي كانت بين اصحاب دمشق من آل طغتكين وآل زنكي والايوبيين وبين الصليبيين . وفي هذه الفترة كانت هنالك مصلحة مشتركة بين بني ربيعة من طيء وحكام دمشق . فقد وقف مرا بن ربيعة الى جانب حكام دمشق في حروبهم مع الصليبيين ، بينما كان فضل بن ربيعة تارة الى جانب الاتراك وتارة الى جانب الصليبيين . وقد اغضب فضل بتذبذبه صاحب دمشق فطرده ، من الشام ، فذهب الى العراق ، ثم رجع من هناك ليستقر هو وعربه قريبا من حمص وحماه .

وقد استفاد الاتراك من العرب في هذه الفترة في عدة مجالات منها : التجسس على الصليبيين وتزويد الاتراك باخبارهم ، والاشتراك في الحروب خاصة الكمائن التي برعوا فيها ، وعدم التعرض لطرق المواصلات .

وكان استمرار التوافق في المصالح بين العرب من ربيعة طيء وبين اصحاب مصر ودمشق — او اي منهما — خلال هذه الفترة مرتبطا بالامتيازات التي كان يحصل عليها العرب ، خاصة الاقطاعات . اما اذا انقطعت هذه الامتيازات ، فان ذلك كان يعني خروج العرب عن الطاعة واثارتهم الفتن ، وربما ادى الى تعاونهم مع اعداء المسلمين

---

(٧) **ذيل تاريخ دمشق** ، ص ٩٤ .

اذا كان هؤلاء الاعداء على استعداد لدفع المال مقابل الخدمات التي كان الاعراب على استعداد لتقديمها دون ان يكون هنالك وازع من ولاء لارض او دولة او دين .

ومن الامثلة التي توضح عدم ارتباط آل الجراح وآل ربيعة من طيء ،في هـذه الفترة ، بأي من انواع الولاء المذكورة ما رأيناه من التجاء آل الجراح زمن الفاطميين اكثر من مرة الى ملك الروم طالبين مساعدته وحمايته وواضعين انفسهم تحت تصرفه . ومثل ذلك ما كان من علاقتهم مع الصليبيين الامر الذي ادى الى طرد فضل بن ربيعـة وعربه من الشام ، وما اتخذه صلاح الدين الايوبي الاول من اجراءات ضد عرب الكرك بسبب مساعدتهم للصليبيين .

الفترة الثانية : الامـارة الرسميـة

في مطلع القرن السابع الهجري انشئت امارة العرب الرسمية واعطيت لآل فضل ابن ربيعة من طيء الذين كانوا ينزلون على اطراف البادية قرب حمص وحماه وحلب . وقد ساعدت ظروف القبائل الاخرى هؤلاء العرب في الوصول الى ذلك المركز . فبنـو كلاب ــ اصحاب امرة العرب غير الرسمية حتى ذلك الوقت ــ كانوا ضعفاء متوزعي الولاء بين عدة امراء ولم يظهر بينهم شخصية توحدهم ــ وكذلك الامر بالنسبة لآل بشار في منطقة حلب (٨) ــ حتى فقدوا زعامة العرب التي كانت لهم واصبحوا من احلاف آل فضل . وآل مرا بن ربيعة (من طيء) ، كانوا ايضا ضعفاء بتفرقهم ففقدوا ما كان لهم من سيطرة على جميع فروع طيء الشام واكتفوا بما اعطوا زمن المماليك من امرة على العرب في « البلاد القبلية » مع بقائهم رسميا تحت طاعة امراء كل « عرب الطاعة » ــ آل فضل بن ربيعة . أما آل علي بن حديثة من طيء فقد اكتفوا باقطاعاتهم ونفوذهـم المحدود ، كما كانوا على استعداد لتولي امرة العرب عامة اذا منحهم اياها سلطـان المماليك ، الامر الذي كان يحدث احيانا بسبب خروج آل فضل عن الطاعة . واما بقية قبائل بلاد الشام فقد كانت ترتبط بالسلاطين مباشرة كالقبائل التي كانت مسؤولة عن طرق البريد بين مصر والشام ، وبني عقبة (٩) وبني مهدي ، والتي لم يكن لها اهميـة بالمقارنة مع آل فضل .

---

(٨) **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٥١ .

(٩) ذكر ابن فضل الله العمري ان السلطان الحق بني عقبة بآل فضل وآل مرا . **مسالك الابصار** ، ج٣ ص ٢٥ .

وكانت امارة العرب ، في بداية قيامها ، محدودة التنظيم ،وكل ما نعرفه عنها خلال نصف القرن الأول من قيامها هو اسماء الامراء الذين تولوها وبعض الخدمات التي قدموها .وقد تبع عدموضوح التنظيم لدور القبائل فيهذه الفترة،تنظيم دقيق — استمر بعد ذلك عدة قرون — قام به الملك الظاهر بيبرس واضع اسس دولة المماليك البحرية . فقد قام هذا السلطان بتحديد دور القبائل وعلاقتها مع الدولة على الاسس التي تضمن تحقيق اكبر قدر ممكن من مصالح كل منهما .

واعتمدت هذه الاسس على التوازن بين مصالح القبائل ومصالح الدولة . وكان كل اخلال بهذا التوازن ، من أي جانب منهما ، يؤدي غالبا الى عدم تحقيق امارة العرب الرسمية للاهداف التي قامت من اجلها . وكان يحدث هذا الاخلال بالتوازن في الحالات التي كان يخرج الامراء من آل مهنا من آل فضل عن الامرة ، والحالات التي كان يخرج فيها هؤلاء الامراء عن الطاعةبسبب من السلاطين وعلاقتهم مع الامراء او بسبب الظروف السياسية التي كانت تدفع الامراء على الانغماس في المؤامرات والمشاركة في الفتن والثورات الداخلية . وفي هذه الحالات فقط ، ولان من اعطيت لهم الامرة مكان آل مهنا كانوا عاجزين عن السيطرة على الامراء الخارجين وعلى اوضاع القبائل ، كانت تتعطل بعض المهام التي كان يفترض في امارة العرب القيام بها ، ويختل التوازن في المصالح بين دولة المماليك وامراء العرب .

ويؤدي بنا ما تقدم من بحث الى السؤال التالي عن دور الامارة الرسمية وهو : الى اي حد نجحت امارة العرب او فشلت في تحقيق الاهداف التيانشئت من اجلها ؟ وهذا السؤال يدفعنا الى البحث عما حققه كل من امراء العرب وسلطنة المماليك من مصالح من ارتباطهما عن طريق امارة العرب .

فمن ناحية امراء العرب حلت الاقطاعات ، التي منحها المماليك لمعظم امراء العرب ، المشكلة المادية بأن اصبح لهم ولقبائلهم مواردرزق ثابتة . واذا اضفنا الى ذلك موارد القبائل التقليدية، والاموال التي كان يحصل عليها الامراء منبيع الخيول والجمال من السلاطين بمبالغ كبيرة ، والهدايا الكثيرة التي كان يرسلها السلاطين الى امراء العرب، لاصبح من الممكن القول بأن القبائل — وآل فضل بشكل خاص — حصلت على ما هو اكثر من الضروري لمعيشتها بكثير ، بل والترف الذي تذمر منه بعض الامراء . فقد عاتب احد امراء العرب السلطان الناصر محمد بن قلاوون لانه افسد بهداياه نساء البدو حتى

قال للسلطان « ... ومتى سمعت عن بدوية انها تلبس غير الثوب من القطن والبرقع المصبوغ وفي يدها سوار من حديد ؟ .. فوالله ! لقد افسدت العرب وحال نسائهم واطعمتهم في شيء لم يكونوا يطمعون فيه قبلك » (١٠) .

وحصلت دولة المماليك ، نتيجة لتنظيمها لدور القبائل ، على الشيء الكثير : الامن والاستقرار وعدم تعدي العرب على الارياف والحواضر في بلاد الشام ، والمحافظة على طرق المواصلات والاتصال السريع بين ممالك الدولة ، والاستمرار لحركة القوافل التجارية ، والمساعدة من العرب في القضاء على فتن امراء المماليك — الا اذا كانت مؤيدة من القبائل — وعلى اخماد فتن القبائل ، والمشاركة من القبائل — خاصة آل فضل — في الحروب والغزوات والمهمات العسكرية الاخرى . ووصل تنظيم دولة المماليك لدور العرب في فترات « توازن المصالح » الى حد ان كانت تطلب الدولة منهم عدم الخروج الى البرية (مشاتيهم) في الاوقات التي كانت تحتاج فيها الى خدماتهم ، وعدم العودة الى مصايفهم كالعادة ، الا بعد جمع الغلات .

ولكن هذا التوازن بين مصالح الدولة المملوكية خلال فترة المماليك البحرية لم يكن حالة دائمة . وان نظرة الى تاريخ امارة العرب الرسمية وتوضيح ذلك . فقد كانت ظروف سلاطين المماليك وامراء العرب والعلاقة بينهما من ناحية ، وظروف بلاد الشام السياسية الداخلية والخارجية من ناحية اخرى ، تساعد في الاخلال بهذا التوازن . وكان ينتج عن ذلك ضرر بمصالح الدولة المملوكية بالدرجة الاولى ، اما امراء العرب وقبائلهم فقد كانت تتكرر الحالة التي عرفناها في السابق — زمن الفاطميين ومن جاء بعدهم — والمرتبطة بمبدأ عدم الولاء لارض او دولة او دين، فكانوا يخرجون عن الطاعة ويلجأون الى التتار أو البرية ثم يبدأون بالتعرض للارياف والحواضر والحجاج والتجار .

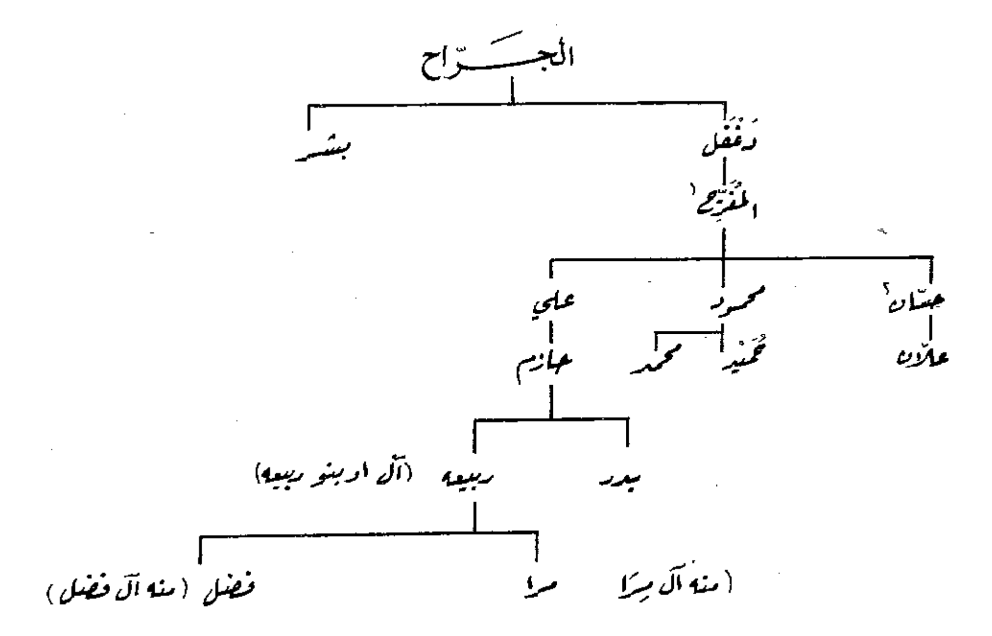
وعلى الرغم من كل ما كان يقوم به العرب من آل فضل من « فساد » — في فترات خروجهم عن الطاعة — بعد قيام الامارة الرسمية ، فانه يمكن القول انهم كانوا يقومون بذلك خدمة لمصالحهم اما للاستفادة من اكثر من جانب في نفس الوقت أو لاجبار سلاطين المماليك على اعادتهم لمناصبهم واقطاعاتهم .

---

(١٠) **السلوك** ، ج٢ ص ٥٢٩ .

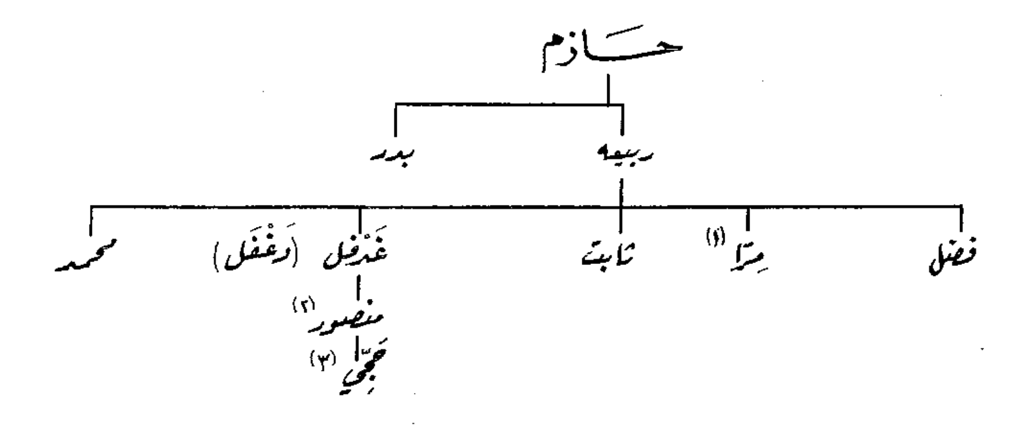
الملاحق والخرائط

آل الجراح امراء طيء زمن الفاطميين



١ مات سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ - ١٠١٤م .
٢ مات بعد سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤٢ م .

بنو ربيعة من آل الجرّاح امراء طيّ زمن السلاجقة والزنكيين والأيوبيين

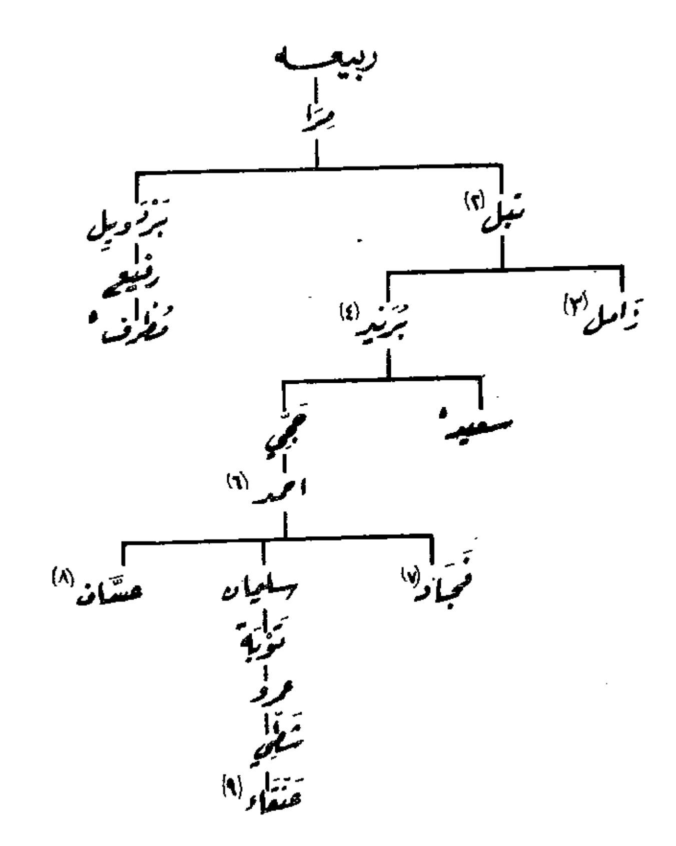


(١)- قتل سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٤م .

(٢)- صاحب اسامة بن منقذ ، وقد ذكره في كتاب الاعتبار ، ص ٢٧ - ٢٨ عند وروده في منطقة وادي موسى من الأردن .

(٣)- قتل سنة ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩م . في معركة مرجعيون بين قوات صلاح الدين و الصليبيين .

آل مِرا[1] بن ربيعه امرا العرب في البلاد القبلية



(١) - يكتب على عدة صور : مراد ، مره ، مري ، مرا . وقد ضبطه ابن تغري بردي في المنهل الصافي ، جـ ٢ ورقة ٤٩٣ بما يلي : مِرا

(٢) - ويرد على رسم شبل .

(٣) - كان امير/ النقرة / ومسرى الأسرة زمن صلاح الدين الأيوبي (٥٨٥ هـ) الفتح القسي/ ص ٢٩٤

(٤) - ويرد على رسم يزيد

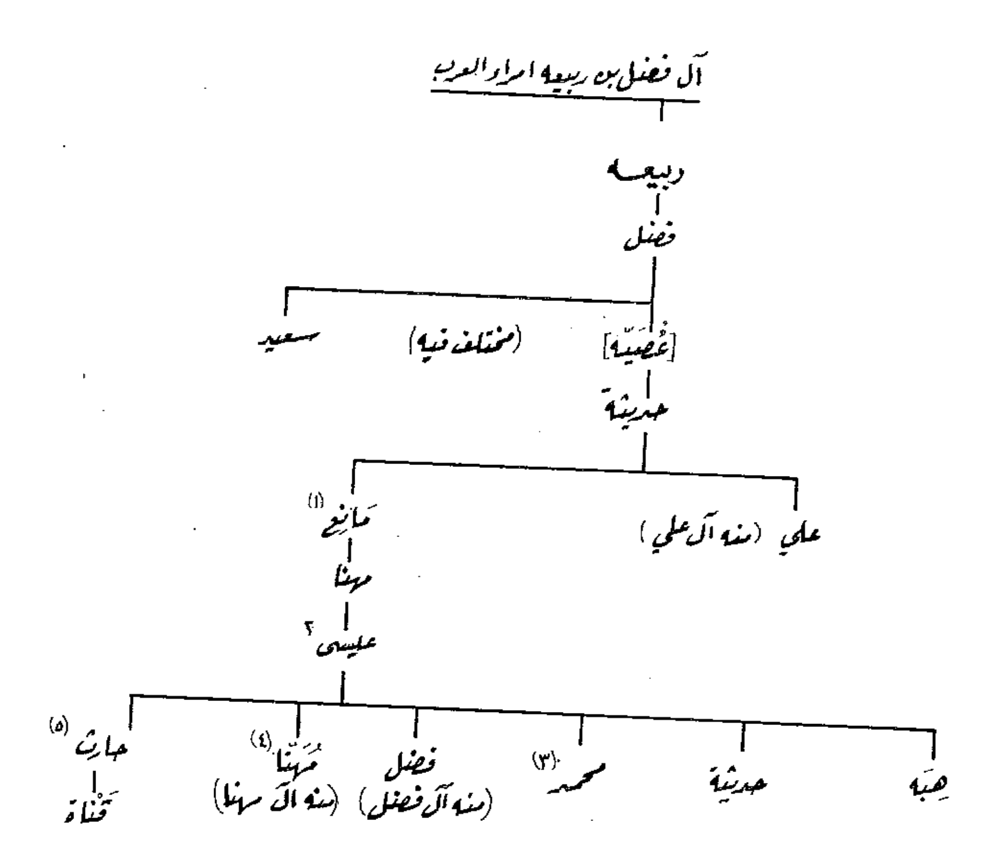
(٥) - يرد في تحفة المستفيد في تاريخ الإحساء في القديم والجديد (الرياض، ١٩٦٠) ، لمحمد عبد الله الإحسائي ، اسم مسعود بن بريك (بريد) مع مانع بن حديثة وسعيد بن فضل ، وهم رؤساء ربيعة بن حارثة (حازم) ، ص ١٠٤ .

(٦) - ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م وبقيت بيت الامرة في آل مرا .

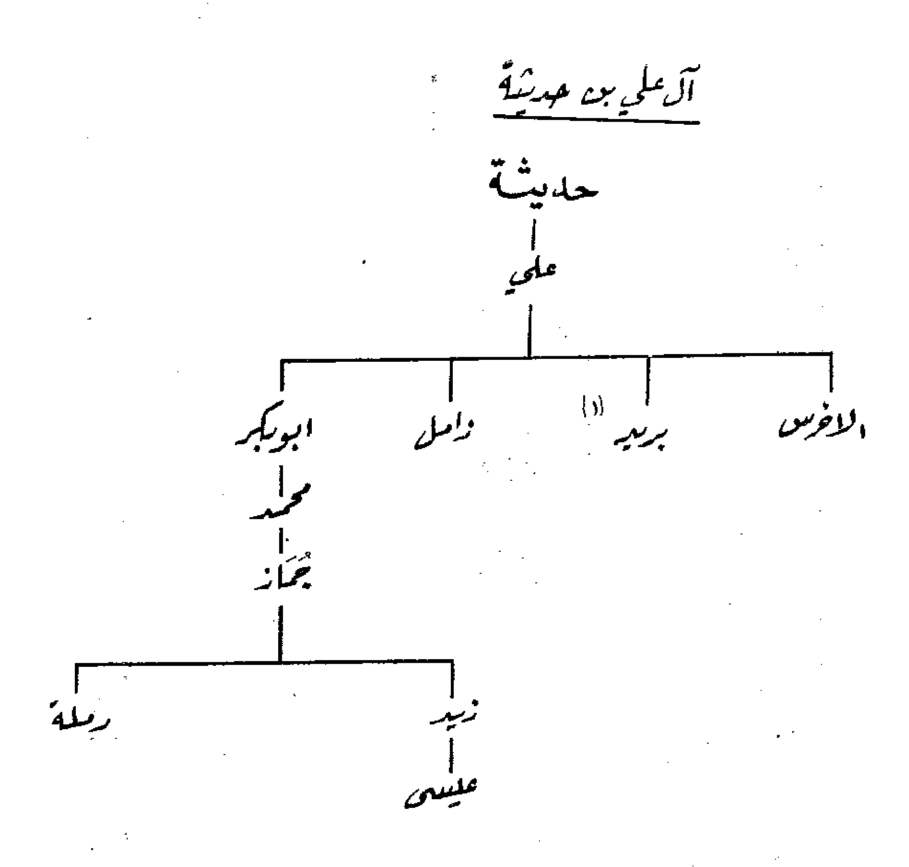
(٧) - ت ٧١٥ هـ / ١٣١٥ م .

(٨) - قتل سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م .

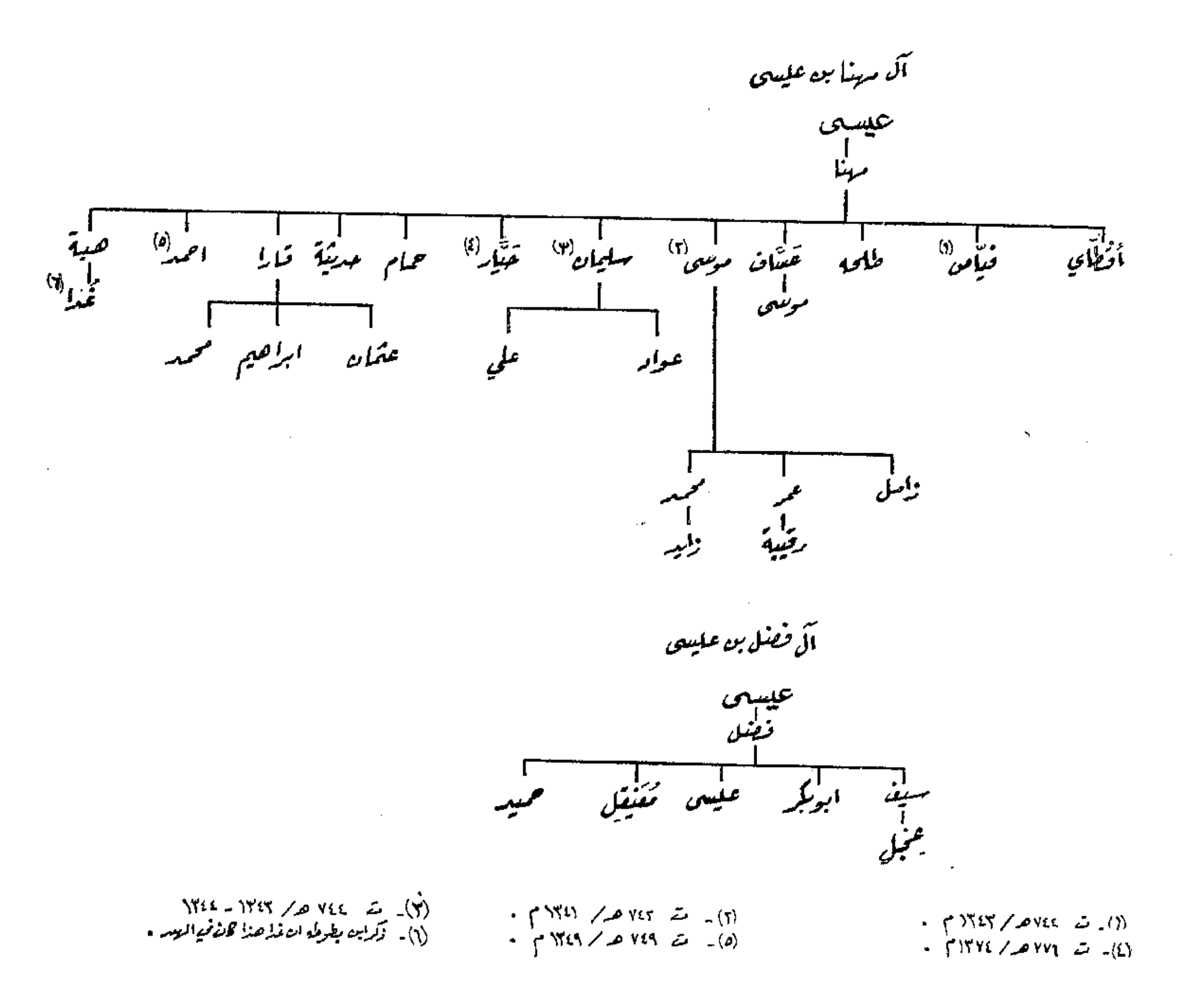
(٩) - قتل سنة ٧٩٤ هـ / ١٣٩٢ م .



١ ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م .
٢ ت ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م .
٣ ت ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م .
٤ ت ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م .
٥ يرد ايضاً على شكل "حارثة" .



(1) يرد اسمه كذلك على صورة "بُرَيد"



(١)- ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م .
(٢)- ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م .
(٣)- ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ - ١٣٤٤ .
(٤)- ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م .
(٥)- ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م .
(٦)- ذكر ابن بطوطة ان غذا هذا كان في الوجه .

آل عيار بن مهنا

- مهنا
  - عيار
    - محمد نُعَير[1]
      - العجل
      - عمر
      - غنّام
      - علي
        - عذراء
          - قرقماس
        - شنزلجي
      - الحسين
      - أبو بكر
      - ثابت
        - قيس
    - طاهر
      - عامر

(١) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م . وكان اسمه قبل الإمرة نعير

ملحــق رقم (٢)

نسخة تقليد (١) الامير فخر الدين عثمان انشاء القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الانشاء الشريف في شهر ربيع الاول (تموز) من هذه السنة (٦٧٩هـ — ١٢٨٠م) .

« الحمد لله الذي خص من والى هذه الدولة بالتقدمة والفخر ، ورمى من عاداها بالمذلة والقهر ، ومد في عمر ايامها حتى يستنفد الدهر ، حتى توصف ايامها وان قصرت بالمسار بان (٢) كل شهر يمر منها كالعام واليوم كالشهر . نحمده على ما منحها به من تأييد وظفر ونصر (٣) ونشر دعــوة من ظافرها بعد الطي (٤) ، وطــوى دعوة مــن عاندها (٥) بعد النشر . ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة ان دخلت شواهدها تحت الاحصاء فلا تدخل فوايدها تحت الحصر . وان محمدا عبده ورسولــه الذي جعل به الهداية في المبدأ والشفاعة في المعاد يوم الحشر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد بعد الشقاء وتجبر بعد الكسر .

« وبعد فان الله سبحانه وتعالى لما مكن لنا في الارض وجعل بيدنا البسط والقبض، وارانا كيف نصنع الجميل ونجمل الصنع ، وكيف نجبر قلب من جعل في ايامنا جبره بعد الصدع ، وكيف تصبح انجم ذوي الاقدار في سماء مملكتنا نيرة المطالع ، وكيف يلقــى الخير من في عراضها (٦) من رامه اذا كان على الخير في غير ايامنا مانع ، وكيف نحــل التقدمة في من اذا رفل (٧) في حللها قيل هذا احق بها ممن كان ، وهذا الذي ما برحت التقدمة في بيته في صدر الزمان ، وهذا الذي اذا ذكر آل فضل وآل علي كانت له مرتبة الشرف لعثمان رأينا ان لا يمتطي (٨) صهوة العز الا اهلها ولا ينسخ الآية لمن تقدم في

---

(١) اعتمد هنا على النص الذي اورده ابن الفرات (**تاريخ ابن الفرات** ، ج٧ ص ١٧٧ — ١٧٩) ثــم قورن بالنص الموجود عند القلقشندي (**صبح الاعشى** ، ج١٢ ص ١٢٨ — ١٣٠) ، الذي عنوانه نسخة مرسوم شريف بالتقدمة على عربي آل فضل وآل علي .

(٢) « بأن » ليست في **صبح الاعشى** .

(٣) « ونصر » ليست في **صبح الاعشى** .

(٤) « ونشر دعوة من ظافرها بعد الطي » ليست في **صبح الاعشى** .

(٥) في **صبح الاعشى** « عاندنا » .

(٦) في **صبح الاعشى** « عراصها » .

(٧) في **صبح الاعشى** « عقل » .

(٨) في **صبح الاعشى** « واننا لا نمطي » بدل « رأينا ان لا يمتطي » .

التقدمة الا خير منها أو مثلها ، ولا يتسلم (٩) رأيتها ألا من تعقد عليه الخناصر ، ولا يتسنم ذروتها الا من هو احق بها واهلها في الاول والآخر .

« ولما كان المجلس السامي الامير فخر الدين عثمان بن مانع بن هبة هو المــراد بهذا القول الحسن ، والروح لجسد هذا المدح التي تسر (١٠) السر والعلن ، والحقيق من الاحسان بكل ما (١١) والجدير (١٢) بان ، والخصيص من سوالف الخدم بما والمفضل على سائر النظراء ولو قيس بمن اقتضى حسن الرأي الشريف ان خرج الامر العالي (١٣) لا زال ذو القدر في ايامه يرتفع ، وذو الفضل في دولته لا يعز عليه مطلب عز (١٤) ولا يمتنع ، وذو الاصالة يجتمع له فيها من النعماء ما لا يلتئم له في غيرها ويجتمع ،

« أن تفوض له (١٥) التقدمة علىالعربان بالشام المحروس ، وهم من يأتي ذكره على ما يستقر عليه الحال في ترتيبهم ، وان يكون (١٦) منازله (١٧) اللازم له حفظها بعدا وقربا حضرا وبدوا ،عامرا وغامرا ، رايحا وغاديا ، من الرستن الى الملوحة . والعرب آل فضل وآل علي ، حيث شاءوا (١٨) نزلوا بمنزله ، او بمنزل الامير شمس الدين محمد بن ابي بكر ، والخدمة واحدة والكلمة على اتفاق المصالح متعاضدة . فليكن للتقوى (١٩) جسد روحها لا بل روح جسدها ، ولجموع (٢٠) القبايل أوحد عددها ، اذ (٢١) اصبح الاول من عددها ،وقطب فلكها الذي على تدبيره مدارها ، وعلى تقريره اقتصادها (٢٢) واقتصارها ، وعلى تقدمته تعويلها ، والى نسبة امارته جملتها وتفصيلها . وليجعلهم على الطاعة فان الطاعة ملاك الامر للآمر وأسى الخير للبادي والحاضر . وليعلم ان لكل

---

(٩) في **صبح الاعشى** « نسلم » .
(١٠) في **صبح الاعشى** « الذي يسر » .
(١١) في **صبح الاعشى** « بكلما » .
(١٢) في **صبح الاعشى** « والخير » .
(١٣) في **صبح الاعشى** « ان رسم بالامر الشريف » .
(١٤) « عز » ليست في **صبح الاعشى** .
(١٥) في **صبح الاعشى** « اليه » .
(١٦) «يكون» ليست في **صبح الاعشى** .
(١٧) اضاف في **صبح الاعشى** بين « منازلة » و « اللازم » « الداروم » .
(١٨) في **صبح الاعشى** « ساروا » .
(١٩) في **صبح الاعشى** « للتوى » .
(٢٠) في **صبح الاعشى** « ومجموع » .
(٢١) في **صبح الاعشى** « اذ » .
(٢٢) « اقتصادها » ليست في **صبح الاعشى** .

منهم بيتا به يعرف (٢٣) أو (٢٤) علمية اصالة بها يعرف ، ومنزلة يرثها الولد عن الوالد، ومشيخة ترجع من ذلك البيت الى ذلك الواحد ، فليحفظ لهم الانساب ، وليرع لهم الاسباب ، واذا امروا بامر من مهام الدولة يتلو عليهم ادخلوا الباب، (٢٥) واللازم (٢٦) له ولهم مخايض (٢٧) تحفظ مفاوز تلحظ ومطارح لا تلفظ ، ومشاتي ومصايف ومقانص (٢٨) ومصارف ومرابع ومراتع ودنو واقتراب وتوطن واغتراب واغارة ونهيض وبرق ووميض . فليرتب ذلك اجمل ترتيب ، وليسلك فيه خير مهذب (٢٩) وتهذيب ، وليردع الصادي (٣٠) وليلاحظ الرائح والغادي ، وليؤمن ذلك تأمينا تطرب انبايه (٣١) المحدو والحادي .وعليهم عداد مقرر ، وقانون محرر ، فليكن على يد شاده شادا ، ولسبب تأييدهم مادا ، ويعلم انه وان كان قد اغمض عن حقوقه (٣٢) فيما مضى ، واعرض عنه في الزمن الاول من انقضى ، وقدم عليه من كان دونه ، وقد رد الله له ابكار الامر وعونه ، فلا يجعل لقابل عليه طريقا ، ولا يدخل في امر يقال عنه فيه كان غيره به حقيقا ، بل يفوق من تقدم في الخدمة والهمة والصرامة والعزمة ، والله تعالى يوزعه شكر (٣٣) النعمة (والخط الشريف) (٣٤) .

---

(٢٣) في **صبح الاعشى** بدل « بيتا به يعرف » ، « نقابة تعرف » .
(٢٤) في **صبح الاعشى** « و » .
(٢٥) قرآن كريم ٢ : ٥٥ .
(٢٦) في **صبح الاعشى** « والالزام » .
(٢٧) في **صبح الاعشى** « مخاوض » .
(٢٨) في **صبح الاعشى** « نفائض » .
(٢٩) في **صبح الاعشى** « مذهب » .
(٣٠) في **صبح الاعشى** « العادي » .
(٣١) في **صبح الاعشى** « ابياته » .
(٣٢) في **صبح الاعشى** « جفونه » .
(٣٣) اضاف في **صبح الاعشى** بين « شكر » و «النعمة» ، (هذه) .
(٣٤) ما بين الاقواس من **صبح الاعشى** .

ملحـق رقم (٣)

نسخة منشور **مهنا ((بدومة))** سنة ٧٣٤هـ

« الحمد لله الذي جعل الفايز بكرمنا مهنا والحايز لنعمنا لا يتعنى ، والجايز لحرمنا لا يحتاج الى شم برقا ولا يستسقى مزنا .

نحمده على ان احسن الى ابوابنا العالية الرجوع ، واعاد بقربنا ما كان ينكـــره البعيد عنا من الهجوع ، وعوض بمواهبنا الشريفة عما كان طعامه لا يسمن ولا يغني من جـــوع .

ونشهد ان سيدنا محمدعبده ورسوله ، الذي عفا الله به عما سلف ، وشفـا بتجاوزه من الاسف .

وبعد

فان الطيف ينفر ويعود ، والطير وان اطال الحوم لا بد له من الورود ، والليـل يمحوه الصباح ، والطور لا تحركه الرياح ، والشجرة تميل ثم تستقيم ، والدرر تفترق ثم يجمعها العقد النظيم .

وكان الجناب العالي الاميري الحسامي مهنا بن عيسى هو آخر من بقي من السلف الكريم ، ولقى حقما ايتلف من ولاية القديم ، وهو صاحب الهجرتين ، والتابع منهمـا باحسان السابقتين الاولين ، ومن اوتي اجره مرتين . فكم له من سابقة جميلة قصرت الجياد عن مداها ، وعارفة جليلة تتيقظ لها وقد مالت اعناق النجوم مثقلـة بكراهـا . وتمسك على مو(ا)لاتنا في وقت كان المتمسك فيه بدينه كالقابض على الجمر ، وتظاهـر بمحبتنا ولم يخشى زيد ولا عمرو. وكانت له بين ايادينا الشريفة من المواقف التي شهـد لديها الله والملائكة الكرام، والاجتهاد التي لم يترك السيوف تقر في الاغماد ولا الارواح في الاجسام . فكم له موطن اتجد فيه باياراته وآخر بحضوره وعد الله على اعدائه .وله في مرج الصفر اليد الطولى والمجاهدة ، الذي اتبع في النوبة الاخيرة سبيل الصحابة رضي الله عنهم في النوبة الاولى ، ثم يتبع من ولى منهم مدبر لم يعقب، ونوع دماهم بين غريق في الفرات وتايه في القفار وقتيل بدمه مختضب . فلما اوجس في نفسه خيفة فارق بيته راجع ، ونزع السهم المراجع ، وغاب كالنجم ثم اقبل مثله وهو طالع ، وذهب فقال كل احد انه غير طائع ، ثم بدا له ولقومه من بعد ما رأوا الآيات ، وعلموا ان حكمنـا

الشريف لا يؤاخذ بما فات ،وعرفوا من سجايانا الشريفة الرعاية لحسناته فكيف سرب واحد والعز من وفايانا بالحقوق القديمة ما لا تضيعه لانه خرج عنا وما كان لاحساننا مجاحد وحضر الى ابوابنا من غير طلب ، فجاء وفود ولاية يسعى لديه وحسن ظنه بالله وبنا يحفظه بمعقبات من بين يديه ومن خلفه . فانعمت صدقاتنا الشريفة عليه بما لـــم ينهض به همه شكره ، ولا يقدر على مثله في مكافأة وليه السحاب اذا جاد بقطره . ولم يكن له معين يرجع اليه اذا نابت النوب الى حاصله ، ولا يسكن اليه اذا سحب السحب اذيالها مثقلة بواصله . ورسمنا له فتوقف تحقيقا ، وأبى ان يسوم برانا وهو البحـــر الزاخر تكليفا . فابت نعمنا الا ان تشمله ودينا الا ان تجوده ، امطارها المختلفة ونهمله. فخرج الامر الشريف الملكي الناصري لا زال يولي اوليائه اكراما ويدر لهم انعاما عاما ان يجري في اقطاعه دومة من غوطة دمشق المحروسة. وهذه بارقة يتلوها امطاروشارفه يجلوها نهار ومعه عدوها مناسى غرار وموهبة يتبعها امثالها مما لا يعد من مواهبـــه البحار وهي نعمة صادقة محلها ، واودعت المعروف في اهلها ووفى بالشكر حقها التمام واستغن عن دومة الجندل بدومة الشام وتعاول بداوم الخصب لان مشتقة من الديـــم ودالة على الدوام . والله يدر الى المزيد ويفسح في باع عمرك المديد ،ويبقى بك سعد العشيرة في عز دائم وسعد جديـــد .

مسالك الابصار ، ٢٩ الاوراق ٥٦ــ٥٧

ملحـــق رقم (٤)

وصية امير العرب

عن ابن فضل الله العمري ، **التعريف بالمصطلح الشريف** ، القاهرة (مطبعـــــة العاصمة) ١٣١٢هـ . ص ١٠٩ ـــ ١١١ .

« والتقوى درعك الحصين ، والشرع الشريف سبيلك المبين ، والحدود والقصاص بهما تمنع المحارم ، والجهاد فان فيه شفاء لصدور الصوارم . فاقتد بالانصاف زمـــام زمانك ، واثن الى الحق عنان عنانك . وفرغ فكرك لمصالح الاسلام ، وامنع كل طـــارق حتى الطيف في الاحلام . وفرق بعزمك جلابيب الديجور ، وفرق بغوثك وللصبـــــح بالكواكب الدرى منحور . واستعلم اخبار العداء في طليعة كل صباح ، وتأهب لهم قرب يوم يجيء بوجهه وقاح . واثبت في اللقاء ثبات مجرب ، وتطلع الى جموعهم التي كـــم ناظر اليها مع الصبح نجم مغرب ، ولا تفارق في وجه البلاد وسيما ، ولا تشم من غـــير الطيبة نسيما ، واذا نزلت على الباب سوى بالبراعة له قسيما . ولا تتبدل بالفـــرات واردا ولا تتبعك المناظر اذا ارسلت طرفك الى سواها رائدا . واضرب بقارعة الطريق خيامك ، وانشر المعتفين غمامك وطنب دخانك الى السماء ، وابسط ضرامك . واقبـــل على الذكر الجميل فكل شيء غاد ورائح ، وانزل بساحتك الضيوف وانحر لهم كـــرم الهجان وكل طرف سانح . واحفظ اطراف البلاد ممن يتولع ببنائها او يترصد لمرابــــع اسودها او مراتع غزلانها . وخص الرعايا برعاية تنبت لهم الزروع ، وتـــدر مـــــن سوائمهم الضروع . ولا تدخل الى البرية الا اذا لم يبق لك بالبلاد مقام ، ولا منزل بين شيخ وخــــــزام .

واما العرب فهو اميرهم المطاع ، وآمرهم وهم له اتباع . وهو يعرف مقاديرهم ، وكيف يعامل كبيرهم وصغيرهم . فليجمعهم على طاعتنا الشريفة ما استطاع ، وليمنعهم من طبع الطباع ، وليصدعهم بالحق على حكم استحقاقهم في كل اقطاع واقتطاع .

وهو بما يصلح لركابنا العالي من الخيل جد خبير ، وبما يناسب سرجنا الشريف من كل سابق وسابقة ما لها نظير . فليأخذ نفسه واخوته وبني عمه واهله وعترتـــــه الاقربين ، بأن يكونوا بالجياد الينا متقربين . ومتى وردت عليه مراسيمنا الشريفة بأمر سارع الى العمل بحكمه ، او اتصل متجدد يعلمنا منه بما وصل الى علمه . وهـــذا

تقليدنا الشريف حجة على من سمعه او قصد في خلافه تفريق كلمة مجتمعة . ومرسومنا ان ينقل مضمونه الى الآفاق ، ويعلم به كل مصعد الى الشام ومنحدر الى العراق ، ليحدو به كل حاد والركاب تساق ، ويسمر به في كل حي سامريتجاذب حواشي حديثه الرفاق ، ويتناجى كل راكب مطية وفارس مطهمة عناق . فمن بلغنا انه حاد عن امــره أو تأول في نقض لرفعة قدره، فالسيف اسبق إلى نحره ، والموت اعجل اليه لانه فتــح من فمه ما كان مسدودا من باب قدره » .

ملحــق رقم (٥)

نصوص كتب تتعلق بآل مهنا زمن نعير .

أ ــ « اما المطالعات المختصة بالسلطان فلم اقف عليها . واما كتــاب نايــب السلطان الى الامير سيف الدين بتخاص حاجب الحجاب بالديار المصرية فاني وقفــت عليه . ومن مضمونه بعد بسم الله الرحمن الرحيم :

الملكي الظاهري يقبل الارض ، وينهى بعد ابتهاله الى الله تعالى بالادعية بدوام الايام الكريمة المخزومية وخلود سعادتها وعلو درجاتهاالكريمة في الدنيا والاخرة . ان مملوك مولانا السلطان خلد الله تعالى ملكه ، ومولانا عز نصره الامير عامر بن طالــم (طاهر) ابن حيار حضر الى الطاعة الشريفة واحضر صحبته أبا بكر وعمر ولدي نعير، وحضر بعدهم غنام ولد نعير وحضر صحبتهم خلق كثير من العربان ممن كان صحبــــة نعير المخذول ، ولم يتأخر عند المخذول الا القليل من العربان والتركمان ممن لم يقــدر على الانفصال منه . وقد هاجرالامير عامر المذكور الى الابواب الشريفة خلــــد الله سلطانها راجيا من مراحمها الشاملة الصفح والعفو والتجاوز عن ذنوبه السالفـــة . وبعده يحضر الى بين يدي المواقف المعظمة خلد الله سلطانها اولاد نعير كلهم ، وقد جهز المملوك الى خدمة الابواب الشريفة صحبته الولد شهاب الدين احمد دوادار المملــوك وضمن له عن المراحم الشريفة كل خير ونعمة . وليس يخفى عن العلوم الكريمة ان هذا عامر هو جناح نعير المخذول وعمدته ، وفعل ما يجب عليه من الرجوع الى الطاعـــة الشريفة ، واحضار اولاد نعير طايعين . وهو يتدرك للمواقف الشريفة كلما يراد منـــه من الخير ، وتأمن البلاد والعباد . وقد حصل بقدومه من الخير ما لا يخفى عن العلوم الكريمة . والمملوك يسأل من الصدقات العميمة جبر خاطره والاقبال عليه ومساعدته بين يدي المواقف الشريفة ، خلد الله تعالى سلطانها ، والقيام معه بكل ممكن ، والوفاء بضمان المملوك له فيما تكفله من الخير بحيث يعود مجبورا بحسن النظر الكريم ، قرير العين بحصول الرضى الشريف عليه ، اجابة لسؤال المملوك وجبرا لخاطر المشار اليه. وقد حمل الولد امير شهاب الدين منتقبيل الارض له والادعية ورفع الادعية الصالحـــة واستعراض المراسيم العالية والمهمات الجليلة ما ينهيه الى الوالد من العلوم الكريمة، وهو المحسن في الاصغاء الى قبول ما يحمله من ذلك ويشرف المملوك بالمراسيم العالية والمهمــات الشريفـــة » .

تاريخ ابن الفرات ج٩ ص ٣٣٦ ــ ٣٣٧

ب ـ كتاب اولاد نعير الى الامير بتخاص حاجب الحجاب

« ومن مضمونه بعد بسم الله الرحمن الرحيم :

الملكي الظاهري يقبلون الارض وينهون ان المماليك مماليك مولانا السلطان خلد الله ملكه ونشو صدقاته واحسانه ، ومماليك مولانا امير حاجب اعز الله انصـــاره . وأن المماليك ما تأخروا عن الحضور الى الطاعة الشريفة من مدة الا اتباع رضا خاطر والد المماليك، لان طاعة الوالد واجبة لقوله تعالى (فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما) (١) . فلما تحقق المماليك ان والدهم ينيب الى شيء واحد اجتمع المماليك بعامر ابن عمهم وتوافقوا معه انهم يكونون في الطاعة المفترضة . فأناب الى ذلك ورغب فيه وتحالفوا معه انهـــم يكونون مجتهدين بالطاعة المفترضة والخدمة الشريفة ، يعادون من عاداها ويناصحون من ناصحها . وان المماليك حضروا بمن معهم من العربان الى الطاعة ، واجتمع رأي المماليك على تجهيز عامر بن عم المماليك الى خدمة الابواب الشريفة ، لانه هو كبـــير المماليك وشيخهم والحاكم في امرهم ، ولا يخالفونه بما يعزم عليه ، وانه اذا يدرك بشيء من ما يكون فيه رضا الخواطر الشريفة ، كانوا المماليك قايمين معه ولا يقفون عن امره جملة كافية . وسؤال المماليك من الصدقات الكريمة اعز الله انصارها حسن سفارتها الكريمة لدى المواقف المعظمة ، مساعدته على اعادة ارزاق المماليك وجبر خاطر عامر المذكور بحيث ان يعود طيب القلب منشرح الصدر. واذا حضر بخير وعافية يحضـــر مملوك الابواب الشريفة المملوك ابو بكر مملوك مولانا ، واذا حضر ابو بكر يحضـــر المملوك عمر .وقد جهز المماليك مماليك الابواب العالية ميسرة وربيعة حجاب المماليك على يديهم المطالعات ، وقد حملاها مشافهة يعيداها على المسامع الكريمة . والمماليك يسألون الاصغاء اليها والاستماع . انهوا ذلك والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه وحسبنا ونعم الوكيل .

وبحاشية الكتاب المماليك عمر وابو بكر ولدي نعير والله أعلم » .

تاريخ ابن الفرات ٩ : ٣٣٧ ــ ٣٣٨

---

(١) الآية ٢٣ ، الاسراء رقم ١٧ .

مصـــادر البحــث

ملاحظة : تم ترتيب مصادر هذه الدراسة على الاسس التالية :

١ ـــ على اساس مجموعات مثل المصادر المخطوطة والمصادر المطبوعة . وقد قسمت المصادر المطبوعة الى فئات مثل الجغرافيا والرحلات ، الحوليات والسير والتاريخ المحلـــي ، التراجـــم .

٢ ـــ ثم ترتيب كل فئة من الفئات حسب تاريخ وفاة المؤلفين .

٣ ـــ اما الدراسات الحديثة ، فقد تم ترتيبها حسب احرف الهجاء لاسم عائلة المؤلف.

اولا : المصادر العربية المخطوطة

البكري ، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)
كتاب المسالك والممالك ، نسخة مصورة بالفوتوستات ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ، رقم MS 910 : B 16 bA

الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٦٠هـ/١١٦٠م)
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نسخة مصورة بالفوتوستات ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ، رقم MS 910 : 121 nuA

ابن العديم ، كمال الدين عمر (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)
بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج٤ ، نسخة مصورة بالفوتوستات عن مخطوطة مكتبة احمد الثالث ، في اسطنبول ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم 920.568 : I 13bA

كتاب في تاريخ حلب ، ٣ج ، نسخة مصورة بالفوتوستات في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم MS 956.8 : I 13KA

ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
كتاب نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب اي الجزء الاول من **القدح المعلى في التاريخ المحلي** . ميكروفيلم مأخوذ عن مخطوط توبنجن في المانيا رقم ١١١٦ ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم Mic - A : 133

ابن شداد ، ابو عبد الله محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)
الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، ج١ ، نسخة مصورة بالفوتوستات عن مخطوط سراي رواق كوشك في اسطنبول ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم 956.9 : I 138 aIA .

بيبرس الدوادار ، ركن الدين (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٥م)
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ج١٠ ، ميكروفيلم مصور عن مخطوط المتحف البريطاني رقم ١٢٣٣ (ملك خاص) .

النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)
نهاية الارب في فنون الادب ، ج٢٩ ، مخطوط ايا صوفيا رقم ٣٣٥٦ ، ج٣٠ ، مخطوط ايا صوفيا رقم ٣٥٢٩ .

الجزري ، **حوادث الزمان** ، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم ٦٣٧٩ (عربي)

ابن فضل الله العمري ، احمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)

مسالك الابصار في ممالك الامصار ، ج٣ ، نسخة منه مصورة بالفوتوستات عن مخطوطة طبقبوسراي (احمد الثالث) باسطنبول رقم ٢٧٩٧ ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت . ج ٢ ـ ٤ من مخطوطة ايا صوفيا (الارقام ٣٤١٥ ، ٣٤١٦ ، ٣٤١٧)، نسخة مصورة بالفوتوستات ، في مكتبة الجامعة الاميركية رقم MS 915 : I 13mA ج٢٧ ، ميكروفيلم عن مخطوط ايا صوفيا رقم ٣٤٣٩ ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم ٦٥ : Mic - A ٢٩ (أو ٢٢) ميكروفيلم عن مخطوط أيا صوفيا رقم ٣٤٣٤ ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم Mic - A : 41 وقد حقق د. ب. لتل هذا المجلد بأنه قطعة من كتاب اليوسفي ، **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر** . انظر
Journal of the American Oriental Society, (1974), pp. 42-54.

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م).

الوافي بالوفيات ، ج٨ ، ميكروفيلم في مكتبة المعهد الالماني الشرقي ببيروت ، مصور عن مخطوط دار الكتب الوطنية بباريس رقم ٢٠٦٤ .

ابن حبيب ، الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/١٢٧٥م)

درة الاسلاك في دولة الاتراك ، ٢ج ، نسخة مصورة بالفوتوستات عن نسخة جامعة دمشق ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم MS 956.1 : I13 dA

ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)

تاريخ ابن الفرات مجلد ٦ ، نسخة مصورة بالميكروفيلم عن مخطوط مكتبة الزاوية الناصرية بالرباط ،في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم Mic - A : 217

ابن قاضي شهبة ، تقي الدين ابو بكر بن احمد (ت ٨٥١هـ/١٤٤٧م)

الذيل على تاريخ الاسلام ، ٢ج ، ميكروفيلم عن مخطوط دار الكتب الوطنية بباريس رقم ١٥٩٨ ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم AS 144

ابن قاضي شهبة ، بدر الدين محمد بن ابي بكر (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

الدر الثمين في سيرة نور الدين ، ميكروفيلم مصور عن النسخة الخطية بدار الكتب المصرية رقم ١٢٢٧ تاريخ ، في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقم Mic - A : 145 وميكروفيلم مصور عن النسخة الخطية بمكتبة بلدية الاسكندرية

رقم ١٣٣٦ ، في مكتبة الجامعة الاميركية رقم Mic - A : 147

ثانيا : **المصادر العربية المطبوعة**

اليعقوبي ، احمد بن واضح (ت نهاية القرن ٣هـ/٩م)
كتاب البلدان ، تحقيق م. دي غويه (نشر مــع **الاعـــلاق النفيسة** لابن رسته) ، بريل ، ليدن ، ١٨٩١ .

ابن خرداذبه ، ابو القاسم عبيد الله (ت حوالي ٣٠٠هـ/٩١٢ — ٩١٣م)
المسالك والممالك (يليه نبذ من **كتاب الخراج وصنعة الكتابــة** لقدامة بن جعفر) ، تحقيق م. دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٨٩ .

ابن رسته ، أبو علي احمد بن عمر (ت النصف الاول من ق ٤هـ/١٠م)
الاعلاق النفيسة ، تحقيق م. دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٩١ .

ابن الفقيه الهمذاني ، ابو بكر احمد بن محمد (ت ق ٤هـ/١٠م)
مختصر كتاب البلدان ، تحقيق م. دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٣٠٢هـ.

الاصطخري ، ابو اسحق ابراهيم بن محمد (ت ق ٤هـ/١٠م)
المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني ومراجعة محمد شفيق غربال ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦١ .

ابن حوقل ، ابو القاسم محمد (ت ق ٤هـ/١٠م)
كتاب صورة الارض ، ٢ج ، تحقيق جان هنريك كريمرس ، بريل ، ليدن ، ١٩٣٩ .

الهمداني ، ابو محمد الحسن بن احمد (ت ٣٣٤هـ/٩٤٩م)
صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن بليهد النجدي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

المقدسي ، محمد بن احمد (ت ٣٧٥هـ/٩٩٠م)
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تحقيق م. دي غويه ، بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ .

خسرو ، ناصر (ت ٤٨٠هـ/١٠٨٨م)
سفر نامه ، ترجمة يحيى الخشاب ، لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

البكري ، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)
معجم ما استعجم ، ج١ ، تحقيق مصطفى السقا ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

ياقوت الرومي الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ /١٢٢٩م)
معجم البلدان ، ٥ج ، دار صادر ـــ دار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٥ ١٩٥٧ .

ابن جبير ، ابو الحسين محمد بن احمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)
رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

القرويوتي ، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢/١٢٨٣)
آثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ـــ دار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠م .

ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
بسط الارض في الطول والعرض ، تحقيق خوان ن. خينيس ، تطوان ، ١٩٥٨ .

شيخ الربوة الدمشقي الانصاري ، ابو عبدالله بن محمد (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م).
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تحقيق أ. مهران ، بريل ، ليدن ، ١٩٢٣ .

ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)
كتاب البلدان ، تحقيق م. رينو وم. ديسلان . باريس ، ١٨٥٤ .

ابن بطوطة ، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)

رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ـــ دار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٤ .

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح بول راويس، باريس،١٨٩٤ .

ب ــ الحوليات والسير والتاريخ المحلي

الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)
تاريخ الرسل والملوك ، ٣ مجموعات في ١٥ جزءا، نشر باشراف دي غويه، بريل، ليدن ، ١٨٧٩ ــ ١٩٠١ .

ابن البطريق ، سعيد (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م)
التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق (ويليه **تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي**)، ٢ج ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٩ .

مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)
تجارب الامم ، ج ٥ــ٦، نشر هـ. أمدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ١٩١٤ ــ ١٩١٩ .

الانطاكي ، يحيى بن سعيد (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م)
تاريخ يحيى بن سعيد ، تحقيق أ. ى. كراتسكوفسكي وأ. فازيلياف ، باريس ، ١٩٣٢ .

الروذراوري ، أبو شجاع محمد بن الحسين (ت ٤٨٨هـ/١٠٩٥م) .
ذيل تجارب الامم ، ج٣ ، نشر هـ. امدروز ، مطبعة شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، ١٩١٦ .

ابن القلانسي ، ابو حمزه يعلي (ت ٥٥٠هـ/١١٥٥م)
ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق هـ. امدروز، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،١٩٠٨ .

ابن الجوزى ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م)
المنتظم في تاريخ الامم والملوك ، ج٦ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٥٧ ــ ١٣٥٨ هـ .

عماد الدين الكاتب الاصفهاني ، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م)
الفتح القسي في الفتح القدسي ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، ١٣٢١هـ .

ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) .
الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، دار صادر — دار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٥—١٩٦٧ .
الباهر في الدولة الاتابكية ، تحقيق عبد القادر احمد طليمات ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

ابن شداد ، ابو المحاسن يوسف بن رافع (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٥م)
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، مطبعة محمود محمد صبح ، القاهرة ، لا . ت.

سبط بن الجوزي ، ابو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)
مرآة الزمان ، ج٨ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ١٣٧٠هـ.

ابن العديم ، كمال الدين عمر (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م) .
زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٣ج ، تحقيق سامي الدهان ، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق ، دمشق ، ١٩٥١ — ١٩٦٨ .

ابو شامه ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)
الروضتين في اخبار الدولتين، ٢ج، مطبعة وادي النيل، القاهرة ١٢٨٧—١٢٨٨هـ

ابن الساعي ، ابو الطالب علي بن أنجب (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م)
الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، ج٩ ، تحقيق مصطفى جواد ، المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ، ١٩٣٤ .

ابن ميسر ، محمد بن علي (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)
اخبار مصر ، ج٢ ، تحقيق هنري ماسيه ، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية ، القاهرة ، ١٩١٩ .

ابن شداد ، عز الدين بن علي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)
الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، ج١ ، تحقيق د. سورديل ، ج٢ قسم ١—٢ ، تحقيق سامي الدهان ، منشورات المعهد الفرنسي بدمشق، دمشق، ١٩٥٦ — ١٩٦٢ .

ابن العبري ، ابو الفرج يوحنا غريغوريوس (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
تاريخ مختصر الدول ، ط ٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٨ .

ابن عبد الظاهر ، محي الدين (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٣م)
تشريف الايام والعصور في سيرة المنصور ، تحقيق مراد كامل ، نشر قسم الدراسات الاسلامية في المعهد الالماني للآثار بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٦١ .
نبذة من الالطاف الخفية في السيرة الشريفة السلطانية الاشرفية ، نشر موبرغ ، ليبسك ، ١٩٠٢ .

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٧٩هـ/١٢٨٠م)
مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ، ٣ج تحقيق جمال الدين الشيال ، منشورات الادارة العامة للثقافة بمصر، القاهرة ، ١٩٥٣ — ١٩٦٠ .

الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م)
جامع التواريخ ، م٢ ج٢ ، ترجمة محمد صادق نشأت وفؤاد الصياد وراجعه يحيى الخشاب ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، لا. ت.

ابن الفوطي ، عبد الرزاق (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)
الحوادث الجامعة ، تحقيق مصطفى جواد ، المكتبة العربية ، بغداد ، ١٣٥١هـ .

اليونيني ، قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)
ذيل مرآة الزمان ، ٤ج ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ، ١٩٥٤ — ١٩٥٥ .

ابو الفداء ،الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)
المختصر في أخبار البشر (ويليه **تتمة المختصر في اخبار البشر** لابن الوردي ، ت ٧٥٠هـ/١٣٥٠م) ، ٤ج ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ.

الدواداري ، ابو بكر عبد الله بن ايبك (منتصف ق ٨هـ/١٤م)
كنز الدرر وجامع الغرر ، م٦ : **الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية** ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، م٩ : **الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر** ، تحقيق هانس رويمر ، نشر قسم الدراسات الاسلامية بالمعهد الالماني للآثار بالقاهرة ، القاهرة، ١٩٦٠ — ١٩٦١ ، م٨ : **الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية** . تحقيق أ. هارمن، القاهرة ، ١٩٧١ .

زيتر ستين ، ك، ن. (ناشر)
تاريخ سلاطين المماليك من ٦٩٠هـ ـــ ٧٤١هـ ، نشر ك. ن. زيتر ستين ، بريل ، ليدن ، ١٩١٩ .

الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م)
العبر في خبر من غبر ، ج٥ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ، ١٩٦٦ .

ابن ابي الفضائل ، المفضل (ت بعد ٧٥٩هـ/١٣٦١م)
النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، تحقيق أى . بلوشيـــه ، باريس ، ١٩١١ ـــ ١٩٣٢ .

ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٣ ـــ ١٤ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٤٨ـــ ١٣٥٨ هـ .

ابن صصرى ، محمد بن محمد (ت نهاية ق ١٨ او بداية ق ٩هـ/١٤ او ١٥م)
الدرة المضيئة في الدولة الناصرية ، تحقيق ولْيم بريئر، بركلي ـــ جامعة كاليفورنيا، الولايات المتحدة الاميركية ، ١٩٦٣ .

ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)
تاريخ ابن الفرات ، م٤ ج١ ، تحقيق حسن محمد الشماع، مطبعة حداد، البصرة، ١٩٦٧ وم٦ قسم ١، تحقيق ميخائيل خوري ، **في ســـيرة الملك الظاهـــر بيبرس** ، رسالة ماجستير في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت رقـــم T : 83 A سنة ١٩٦١ وج ٧ـــ٩ تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، المطبعة الاميركانية ، بيروت ، ١٩٣٦ ـــ ١٩٤٢ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)
العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ج ، منشوورات دار الكتاب اللبناني ، بـيروت ، ١٩٥٦ ـــ ١٩٥٩ وطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٤هـ .

ابن يحيى ، صالح (ت ٨٤٠هـ/١٤٣٩م)
تاريخ بيروت واخبار الامـــراء البحتريين من بنـــي الغرب ، نشر لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٨٩٨ .

المقريزي ، احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفـــاء ، تحقيق جمـــال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
السلوك لمعرفة دول الملوك ، ٢ج ، تحقيق محمد مصطفى زياده ، مطبعة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٤ — ١٩٥٨ ، ج٣ ، تحقيق سعيـــد عاشور ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

الصيرفي ، علي بن داود
نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ، ٢ج ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٧٠ — ١٩٧١ .

ابن تغرى بردى ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت بعد ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ج ، مطبعـــة دار الكتب المصريـــة ، القاهرة ، ١٩٢٩ — ١٩٥٨ وج٦ قسم ١ من الطبعة تحقيق وليم بوبر ، مطبعـــة الجامعة ، بركلي ، الولايات المتحدة، ١٩٠٩ — ١٩٢٩ .

ابن الشحنة ، ابو الوليد محمد بن محمد (ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م)
الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تحقيق يوسف سركيس ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، ١٨٩٨ .

ابن اياس ، محمد بن احمد (ت نحو ٩٣٠هـ/١٥٢٤م)
بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج١ ، بولاق ، القاهرة ، ١٣١١ هـ .

جـ — التراجـــم

ابن الصيرفي ، ابو القاسم علي بن منجب (ت ٥٥٠هـ/١١٥٥م)
الاشارة الى من نال الوزارة ، تحقيق وتعليق عبد الله المخلص ، مطبعة المعهـــد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٢٤ .

ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ/١١٧٦م)
التاريخ الكبير ، ٥ج ، اعتنى بترتيبه وتصحيحه مع حذف التكرار والاسانيد محمد عبد القادر بدران ، مطبعة روضة الشام ، دمشق ، ١٣٢٩ — ١٣٣٣ هـ.

ياقوت الرومي الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)
معجم الادباء ، ج٤ ، تصحيح مرجليوث ،نشر في مجموعة جب التذكارية ، ليدن ، ١٩٠٩ — ١٩٣١ .

ابو شامه ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م)
تراجم رجال القرنين السادس والسابع او **الذيل على الروضتين في اخبار الدولتين** صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري ونشره عزت العطار ، القاهرة ١٩٤٧.

ابن خلكان ، ابو العباس احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/٢٨٢م)
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ٢ج ، بـــولاق ، القاهـــرة ، ١٢٩٩هـ و٦ج ، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م)
الوافي بالوفيات ، ٤ج ، تحقيق هـ. ريتر ، س. ديدرنج ،مطابع مختلفة ، ١٩٣١ — ١٩٥٩م .

ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩م)
الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، ٤ج ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٤٨ — ١٣٥٠ هـ .
انباء الغمر بابناء العمر ، ج١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، ١٩٦٧ .

ابن تغرى بردى ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (بعد ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)
المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، ج١ ، تحقيق احمد يوسف نجاتي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

السخاوي ، ابو الخير محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٠٧م)
الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، ١٢ج ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣ — ١٣٥٥ هـ .

ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ١٢ج ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٠ — ١٣٥٣هـ.

د ـ النظـم والموسوعات

النابلسي ، عثمان
لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية ، تحقيق ك. كاهين وبيكر ، مجلة المعهد الفرنسي بدمشق ، ج ١٥—١٦ ، ١٩٥٨.
النويري ، احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)
نهاية الارب في معرفة الادب ، ج٨ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١

ابن فضل الله العمري ، احمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)
التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ، ١٣١٢ هـ .

القلقشندي ، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ١٤ج ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩١٣ — ١٩١٩ .

المقريزي ، احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٢ج ، بولاق ، القاهرة ، ١٢٧٠ هـ .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)
حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، ٢ج ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، ١٣٢٧ هـ .

هـ ـ مصادر متفرقـة

الشيباني ، محمد بن الحسن (ت ١٨٩هـ/٧٩٦م)
شرح كتاب السير الكبير ، املاء محمد بن احمد السرخسي (ت ٤٨٣هـ/١٠٩٠م) ج١ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

البلاذري ، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)
فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله الطباع وانيس الطبـــاع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٨ — ١٩٥٩ .

المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين (ت حوالي ٣٤٥هـ/٩٥٦م)
التنبيه والاشراف ، تحقيق م. دى غويه ، نشر (بالتصوير) مكتبة خياط ، بيروت، ١٩٦٥ .

الاصبهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م)
الاغاني ، ج١٣ ، طبعة دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٨ .

التهامي ، علي بن محمد (ت ٤١٦هـ/١٠٢٥م)
ديوان علي بن محمد التهامي ، منشورات المكتب الاسلامي ، دمشق ، ١٩٦٥ .

الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م)
تتمة اليتيمة ، عني بنشره اقبال عباس ، طهران ، ١٣٥٣ هـ .

ابن حزم ، ابو محمد علي بن سعيد (ت ٤٥٧هـ/١٠٦٥م)
جمهرة انساب العرب ، تحقيق أ. ليفي بروفنسال ، ، دار المعـــارف ، القاهرة، ١٩٤٨ .

ابن منقذ ، ابو المظفر مجد الدين اسامه (ت ٥٨٤هـ/١١٨٨م)
كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حتي ، مطبعة جامعة برنستون ، الولاياتالمتحدة ، ١٩٣٠ .

القلقشندي ، احمد بن علي (ت ٨٣١هـ/١٤١٨م)
قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق ابراهيـــم الابيـــاري ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
نهاية الارب في معرفة قبائل العرب ، تحقيق ابراهيم الابياري ، الشركة العربيـــة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

المقريزي ، احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)
البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، ملتزم الطبع والنشر عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٦١ .

الجزيري ، عبد القادر بن محمد (ت بعد ٩٧٦هـ/١٥٦٨م)
درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، القاهرة ١٣٨٤هـ .

ثالثا : **الدراسات الحديثة باللغة العربيـــة**

آل عبد القادر الانصاري الاحسائي ، محمد بن عبد الله
تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد ، القسم الاول ، طبع وتعليـــق حمد الجاسر ، الرياض ، ١٩٦٠.

البخيت ، محمد عدنان ، **مملكة الكرك في العهد المملوكي** ، عمان ، ١٩٧٦ .

جب ، هاملتـــون
« جيوش صلاح الدين » في **دراسات في حضارة الاسلام** ، ترجمة احسان عبـــاس ومحمد يوسف نجم ومحمود زايد ،نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٩٧ ــ ١٢٠ .

حسن ، علي ابراهيم
دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

الخفاجي ، محمد عبد المنعـــم
بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والادبي ، ج١ ، المطبعـــة الفاروقية الحديثـــة ، القاهرة ، ١٩٥١ .

الدوري ، عبد العزيـــز
مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ .

الراوي ،عبد الجبـــار
الباديـــة ، بغداد ، ١٩٤٩ .

زكريـــا ، وصفي
عشائر الشام، ٢ج ، دار الهلال ودار اليقضة العربي، دمشق ، ١٩٤٥—١٩٤٧.

سعداوي ، نظـــير حسان
جيش مصر في أيام صلاح الدين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الايوبي ، مكتبة النهضة المصريـــة ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

سرور ، محمد جمال الدين .
دولة بني قلاوون في مصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

الطباخ ، محمد راغب
اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ٧ج ، ط١ ، المطبعة العلمية ، حلب ، ١٩٢٣ —١٩٢٦ .

عاشور ، سعيد عبد الفتـــاح
العصر المماليكي في مصر والشام ، ط١ ، دار النهضة القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥.

عبد السيد ، حكيم امين
قيام دولة المماليك الثانية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

العزاوي ، عبـــاس
تاريخ العراق بين احتلالين ، ج١ : حكومة المغول ، مطبعة بغداد، بغداد،١٩٣٥.

علي ، جـــــواد
تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٤ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٥٥

العلي ، صالـــح
التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية في البصرة في القرن الاول الهجري ، مطبعـــة المعارف، بغداد ، ١٩٥٣ .

كراتشكوفسكي ، أ. ي.
تاريخ الادب الجغرافي العربي ، قسم ١—٢ ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشـم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣ — ١٩٦٥ .

كرد علي ، محمد
خطط الشام ، ٥ج ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٢٥ ــ ١٩٢٧ .

كرد علي ، بســـام
سوريا ولبنان : جغرافيا ، ط١ ، مكتبة العلوم والآداب للطباعة والنشر ، دمشق، ١٩٤٩ .

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ٢ج ، ط٣ ، ترجمـــة محمد عبـــد الهادي ابو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

النص ، احسان
العصبية القبلية في الشعر الاموي ، دار اليقضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٧ .

رابعا : **المصادر والدراسات باللغات الاجنبيـــة**

Al-Feel, M.R.
The Historical Geography of Iraq Between the Mongolian and Ottoman Conquests 1258-1534,, Najef, 1965.
"Iraq and al-Jazira as Desribed by Ibn Sa'id al-Maghribi",
Majallat Kulliyat al-Adab (Eng. Sestion Baghdad University, vol. V (1962), pp. 85-100 (Arabic text and English Trans.).

Ayalon, D.
"Studies on the Structure of the Mamluk Army", **BSOAS,** vol. 15 (1953) pp. 203-228, vol 16 (954) pp. 57-90.
"The System of Payment in the Mamluk Military Society",
Journal of the Economic and Social History of the Orient,
vol. I (1958), pp. 37-65, 257-296.

Bosworth, C. E.
The Islamic Dynasties, Series of Islamic Surveys, no. 5, ed. by W. M. Watt, Edinburgh, the University press, 1967.

Brockelmann, C,

Geschichte Der Arabischen Littertur, Vol. 1-2, Leiden, E. J. Brill, 1943-1949, **Supplement,** vol. 1-3, Leiden, E. J. Brill, 1937-1942.

Browne, G,

A Literary History of Persia, vol. 3, Cambridge, England, 1928.

Cahen, C.

"Une Chronique Syrienne Du VIe / XIIe Siecle : Le Bustan Al-Jami,", **Bulletin D'EtudesOrientales,** Institut Francais De Damas, T. VII - VIII (1937 -1938) pp. 113-158.

"La chroniqu Abregee D'al-Azimi", **Journal Asiatique,** vol. 230 (Juill. -Sep. 1938) pp. 356 ff., "Nomades et sedentaires dans Le monde musulman des milieu Moyen-Age" in D. S. Richards (ed.) **Islamic Civilization 950 - 1150,** London, 1973.

Encyclopaedia of Islam, First edition, 4 volumes, Brill, Leiden, 1913-1942; Second edition, volumes 1 & 2, Leiden and London, continuing.

Fischel, W. J. (Translator)

"Ascensus Barcoch" : A latin Biography of the Mamluk Sultan Barquq of Egypt, **Arabica,** vol. 6 (1959) pp. 57-74, 152-172.

Gibb, H. A. R.

A Damascus Chronicle of the Crusades, London, 1932.

"The Caliphate and the Arab States", in **A History of the Crusades,** (ed. by K. M. Setton) vol, I, ed. by M. Baldwin, Philadelphia, University of Penn. Press, 1955, pp. 81-98.

Hiyari, M. A.,

"The Origins and development of the amirate of the Arabs during the seventh/thirteenth and eighth/centuries," **BSOAS,** vol. 38 (1975), pp. 509 - 524.

Lapidus, I. M.
Muslim Cities in the Later Middle Ages, Cambridge, Mass.
Harvard University Press, 1967.

Little, D. P.
"The recovery of a lost source for Bahri Mamluk history : al-Yusufi's Nuzhat al-Nazir fi sirat al-malik al-Nasir, JAOS, (1974), pp. 42 - 54.

Kortantamer, S.,
Egypten und Syrien Zwischen 1317-1341 in der chronik des Mufaddal b. Abi al-Fadail, 1973.

Le Strange, G.
Palestine Under the Muslims, Khayats' Oriental Reprints no. 14, Beirut, 1965.

Makdisi, G.
"Notes on Hilla and the Mazyadids in Medievel Islam", **Journal of the American Oriental Society,** vol. 74 (1954), pp. 249-267.

Muir, W.
The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt, London, 1896.

Poliak, A. N.
Feudalism in Egypt, Syria, Palestine, and the Lebanon, 1250-1900, London, 1939.
"Some Notes on the Feudal System of the Mamluks", **Journal of the Royal Asiatic Society,** 1937, pp. 98-107.

Popper, W.
Angeles, University of California jress, 1955-1957.
Egypt and Syria Under the Circassian Sultans, vol. 1-2, Berkeley - Los

Rabie, H.
The Financial System of Egypt, A. H. 564-741, A. D. 1169-1341, London, 1982.

Rabin, C.
Ancient West - Arabian, London, 1951.

Sadique, F.
Baybars I of Egypt, Pakistan, Oxford University press, 1956.

Smith, W. R.
Kinship and Marriage in Early Arabia, Boston, The Beacon press, N. D.

Wiet, G.
Les biographies du Manhal Safi, le Caire, Impr. de L'Institut Francais d'archeologie Orientale, 1932.

William of Tyre.
A History of Deeds Done Beyond the Sea, Translated and Annotated by E. A. Babock and A. C. Krey, 2 vol., New York, 1943.

Ziadeh, N. A.
Urban Life in Syria Under the Early Mamluks, Beirut, 1953. (Publication of the Faculty of Arts & Ssiences, American University of Beirut No. 24).

الفهارس العامة

فهرس الاعلام

«أ»

((ب))

« ت »

« ث »

« ج »

« ح »

« خ »

« د »

« ذ »

« ر »

« ط »

« ظ »

« ع »

((غ))

((ف))

((ق))

« ن »

« هـ »

« و »

فهرس القبائل والجماعات

« ع »

« غ »

«م»

«ن»

«هـ»

(ي)

فهرس الاماكن

(أ)

((ب))

((ت))

((ث))

((ج))

« ح »

« خ »

« د »

((ش))

((ص))

((ض))

((ط))

((ع))

« غ »

« ف »

« ق »

« ك »

« ل »

« م »

« ن »

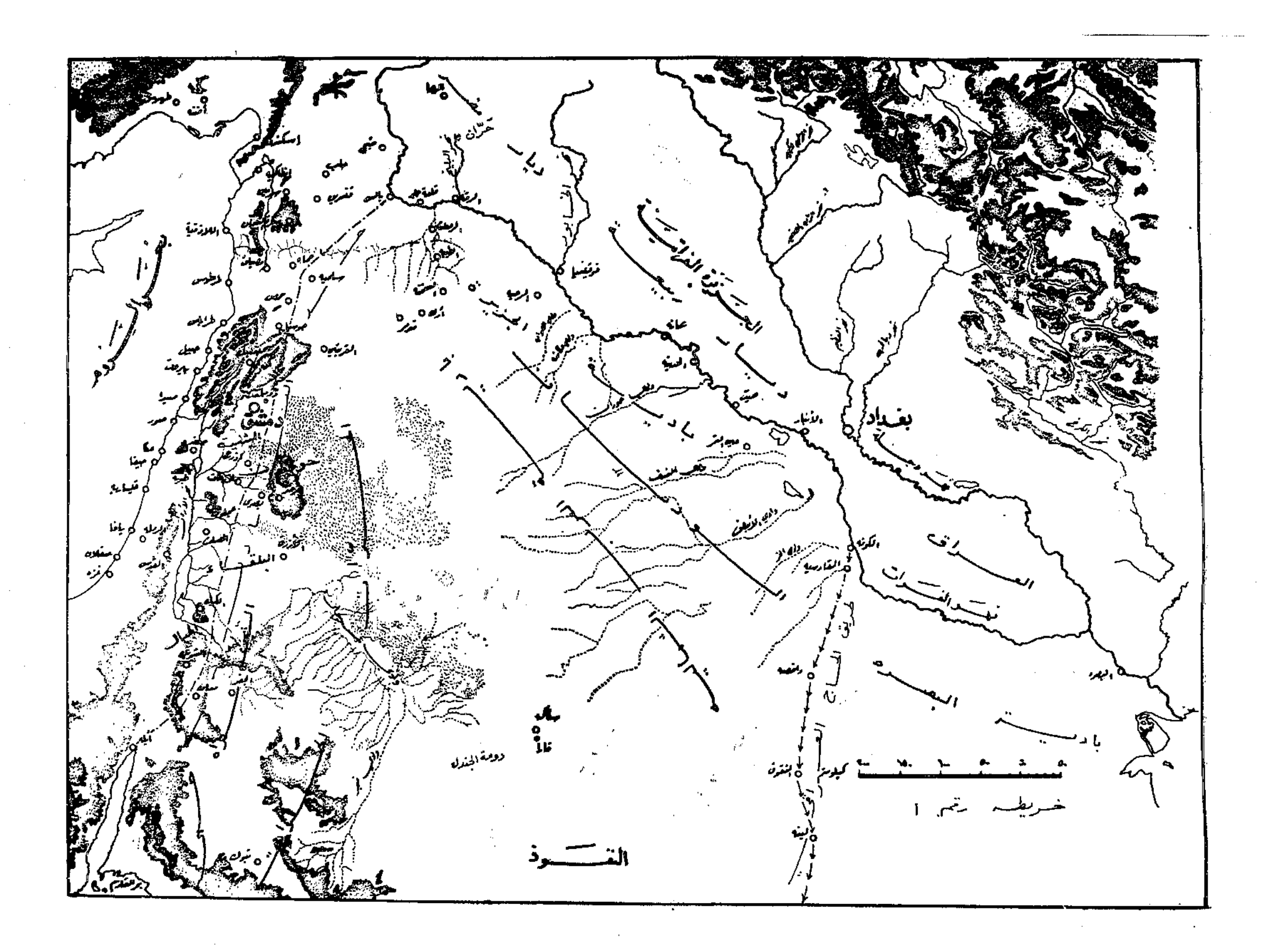
« هـ »

« و »

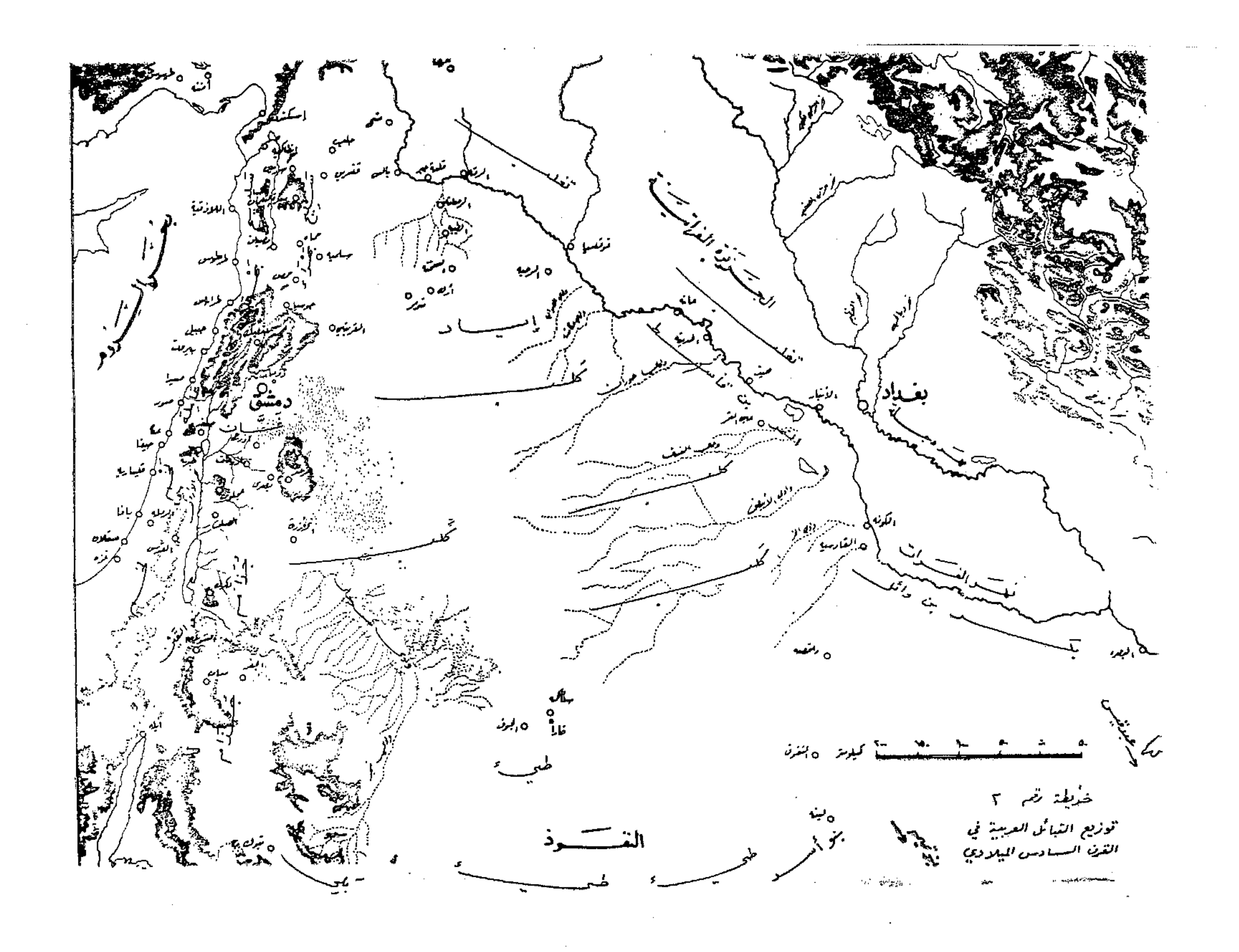
« ي »

فهرس المصطلحات

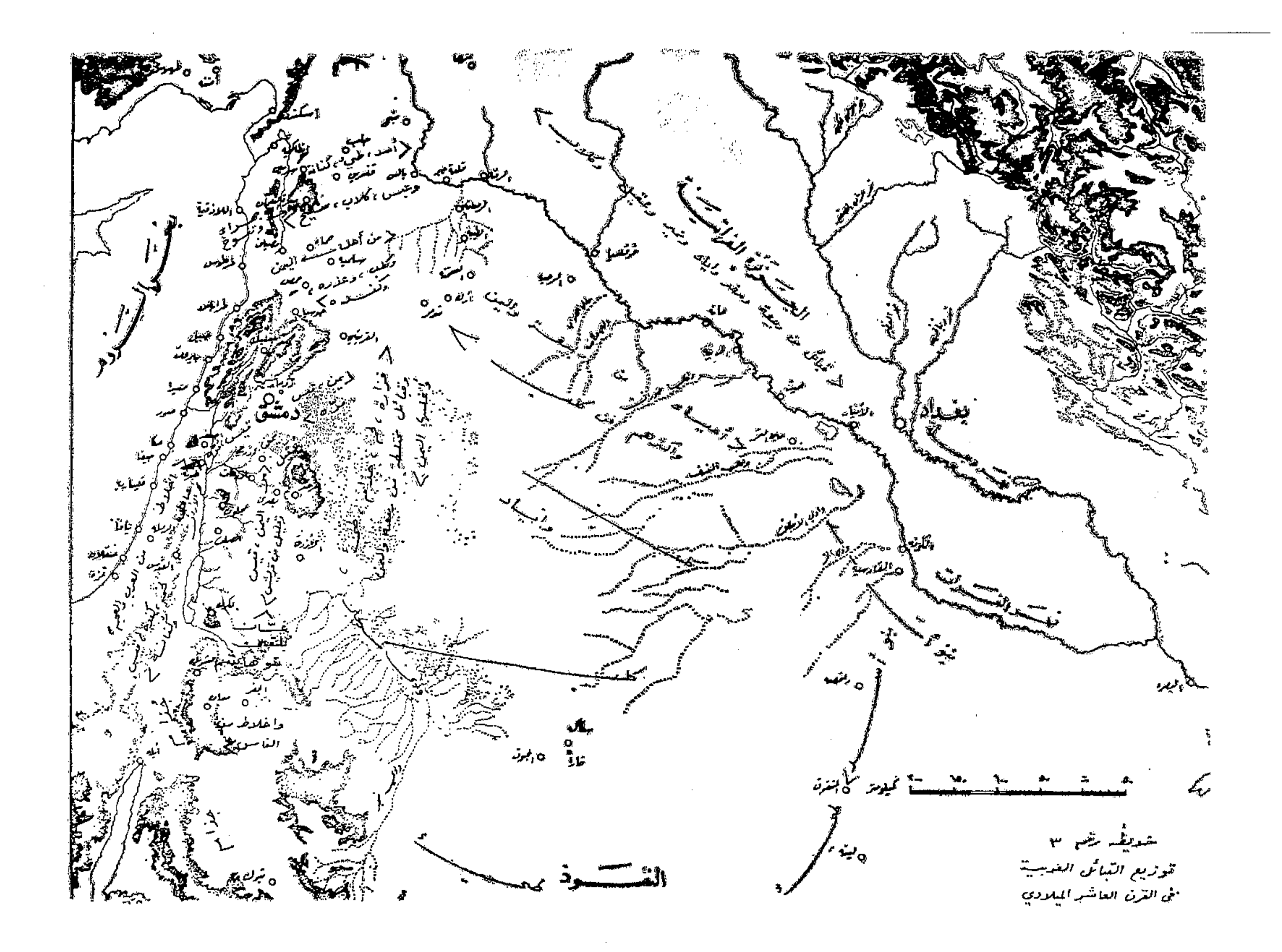
« أ »



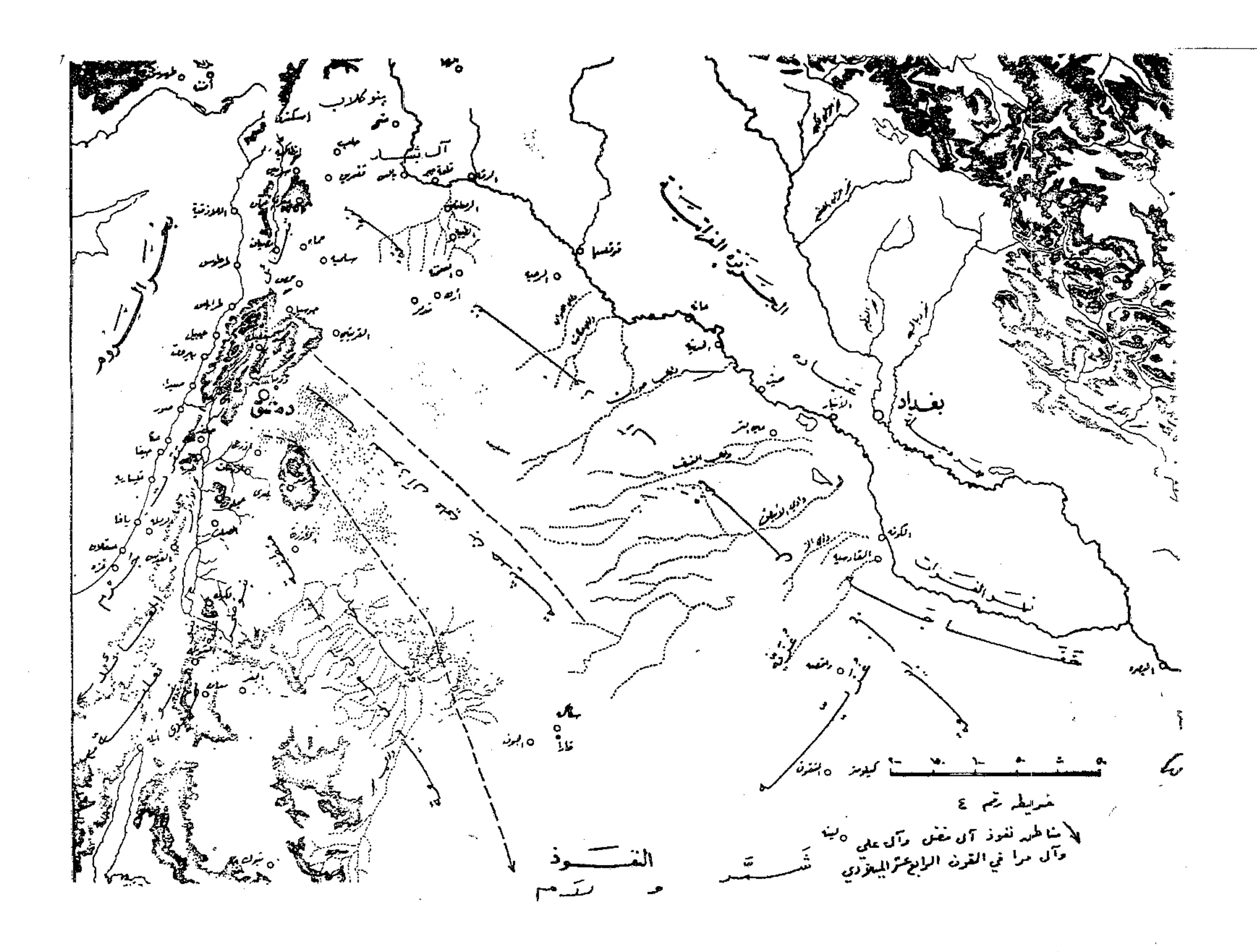
بغداد
دمشق
الأنبار
الكوفة
القادسية
البصرة
النفود
دومة الجندل
كيلومتر
خريطة رقم ١



خريطة رقم ٣
توزيع القبائل العربية في القرن السادس الميلادي



خريطة رقم ٣
توزيع القبائل العربية
في القرن العاشر الميلادي



خريطة رقم ٤

مناطق نفوذ آل فضل وآل علي وآل مرا في القرن الرابع عشر الميلادي

المحتويات

ب ـــ اعتراف الخلفاء الفاطميين بامارة آل الجراح .

جـ ـــ علاقة آل الجــراح مــع :

١ ـــ الفــاطميين .

٢ ـــ القبائــل العربيــة الاخرى .

٣ ـــ الـــــــروم .

د ـــ اشهر امراء هذه الامارة :

١ ـــ المفرج بن دغفل بن الجــراح .

٢ ـــ حسان بن المفرج بن دغفل .

هـ ـــ اختفاء الامارة بعد ٤٣٠هـ/١٠٣٩ م .

٢ ـــ بنو ربيعة امراء طيء في بلاد الشام زمن آل طغتكين وآل زنكي والايوبيين .

أ ـــ دورهم في حياة بلاد الشام خلال هذه الفترة .

ب ـــ اشهر امراء بني ربيعة .

١ ـــ مرا بن ربيعة .

٢ ـــ فضل بن ربيعة .

الفصل الثالث : امارة العرب الرسمية ٦١

١ ـــ امرة العرب الرسمية لطيء على جميع قبائل بادية العرب الشمالية :

أ ـــ بداية الامرة لآل فضل بن ربيعة من طيء .

ب ـــ قسمة الامرة على القبائل قسمين زمن المماليك .

١ ـــ امرة عرب البلاد الشمالية والشرقية لآل فضل بن ربيعة .

٢ ـــ امرة عرب البلاد القبلية لآل مرا بن ربيعة .

٣ ـــ امرة الجميع لآل فضل : آل مهنا وآل علي .

٢ ـــ اشهر امراء العرب في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين :

أ ـــ مانع بن حديثة .

ب ــ عيسى بن مهنا واحمد بن حجي .

جـ ــ مهنا بن عيسى .

د ــ حيار بن مهنــا .

هـ ــ محمد نعير بن حيار .

الفصل الرابع : امراء العرب وسلطنة المماليك ــ ١ ــ ٨١

١ ــ امرة العرب منصب رسمي في دولة المماليك .

٢ ــ مهام امراء العرب تجاه الدولة المملوكية .

أ ــ المحافظة على طرق المواصلات .

١ ــ البريد .
٢ ــ الحجــاج
٣ ــ التجــارة .

ب ــ مشاركة جيوش المماليك في الدفاع عن البــلاد .
١ ــ التجسس .
٢ ــ الاستكشاف والتجاريد .
٣ ــ المعــارك .

جـ ــ تزويد السلطان والجيوش السلطانية بالخيل والجمــال .

هـ ــ اعمــال اخــرى .

١ ــ الدلالــة على الطرق في الباديــة .

٢ ــ تتبع اخبار بلاد الشام وحركات العصيان فيهــا .

٣ ــ عدم الخروج الى البرية عند الحاجة اليهم ، وعدم العودة منها الا بعد شيل الغــلال .

٤ ــ المساعدة في جمع زكاة الغنم (العداد) .

٥ ــ واجبــات اخــرى .

٣ ــ اقطاعات امراء العرب .

أ ــاقطاعات امراء العرب جزء من النظام الاقطاعي المملوكي .

الدكتور مصطفى الحياري

الامارة الطائية

وزارة الثقافة والشباب

هــــذا الكتــــاب

يبحث هذا الكتاب في تاريخ الامارة الطائية في بـلاد الشام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، وهي الفترة التي كان لفروع طي فيها الامرة على جميع القبائل العربية . كما ويبحث في الجذور التاريخية لهذه الامارة والدور الذي لعبته في الحياة السياسية للمنطقة الواقعة بين البحر الابيض المتوسط غربا ونهر الفرات شرقا .

المطبعة الاردنية
The Jordanian Printing Press

الثمن دينار اردني واحد